



# مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث

مجلة علمية دورية  
مختصة في دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية  
تصدر عن مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث وجمعية إنكي العلمية

مدير التحرير  
الدكتور  
ذكاء طالب الربيعي

رئيس التحرير  
الأستاذ الدكتور  
عامر حسن فياض

العدد (8) / شباط 2024

# إنكي ENKI

مجلة علمية دورية

[inky.publishing@gmail.com](mailto:inky.publishing@gmail.com)

الأيمل:

[www.enki.press](http://www.enki.press)

الموقع الاللكتروني:

□ ٠٠٩٦٤٧٧٢٧٢٠٠٢٠٠

رقم الموبائل:

ISBN:978-9922-91-468-8

الرقم المعيارى الدولى:

© جميع الحقوق محفوظة

لدار إنكى للنشر والتوزيع

لا يسمح بإعادة إصدار هذه المجلة، أو أي جزء منها، أو تخزينها في نطاق استعادة المعلومات، أو نقلها بأي شكل من الأشكال من دون إذن خطي مسبق من جهة الإصدار.

تستند هذه المجلة إلى ميثاق علمي وأخلاقي ومهني في ما تنشره من بحوث، وتعتمد تقويم اللجنة العلمية الاستشارية المشكلتة من داخل العراق وخارجه، والمجلتة غير مسؤولتة عن الأفكار والآراء والمتبنيات الواردة في البحوث المنشورة في أعدادها. □

## هيئة التحرير:

- أ.د. كامل القيم - جامعة بابل / كلية الآداب  
أ.د. حسن عباس - جامعة واسنطن / مستشار اول في جامعة هارفارد  
أ.د. قاسم محمد عبد - جامعة النهريين - كلية العلوم السياسية  
أ.د. شيرزاد أحمد النجار - جامعة صلاح الدين - كلية العلوم السياسية  
أ.د. جمال عبد المنعم الزوي - أستاذ الإعلام والعلاقات الدولية - ليبيا  
أ.د. محمود حيدر - مفكر وباحث في الفلسفة السياسية ولاهوت الأديان - لبنان  
أ.د. صابرين زغلول السيد شعبان - جامعة عين شمس - كلية البنات - مصر  
أ.د. ثريا بن مسمية - جامعة الزيتونة - المعهد العالي لأصول الدين - تونس  
أ.د. زهير محمد علي / جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد  
أ.د. عباس كاظم - رئيس برنامج العراق في المجلس الاطلسي في واشنطن  
أ.م.د. حسن احمدديان - جامعة طهران / زميل برنامج التشيع والشؤون العلمية في جامعة هارفارد  
أ.د. سهاد إسماعيل خليل - جامعة النهريين - كلية العلوم السياسية  
أ.د. فراس عبد الكريم محمد علي البياتي - جامعة النهريين - كلية العلوم السياسية  
أ.م.د. عادل بديوي - جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية  
أ.م.د. علي فارس حميد - جامعة النهريين - كلية العلوم السياسية  
أ.م.د. مصدق عادل طالب - جامعة بغداد - كلية القانون  
أ.م.د. منتصر مجيد حميد - جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية  
م. د. أحمد كريم علوان العلياوي - مدير دار المخطوطات العراقية  
م. د. علي عيسى اليعقوبي كلية المنصور الجامعة - قسم القانون

## التدقيق اللغوي:

- أ.د. زهير محمد علي / جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد (اللغة العربية)  
م.د. زينب عبد الحسين خضير الشمري / جامعة الامام الصادق النجف الاشرف / قسم اللغة الإنكليزية

## مدير الإدارة:

كوثر حميد لطيف الغرابي

## المشرف الإداري والمالي:

محمد سلطان القريشي

وسام علي

تصميم الغلاف: نور فائز الأعرجي

## مجلة (إنكي) للعلوم الإنسانية والاجتماعية

حرصا منا على مواكبة التطور في مجال النشر العلمي، ورغبة في توفير نافذة رصينة للنشر الأكاديمي ، تسعى نحو العالمية، نعلن انطلاق المجلة العلمية (إنكي) المتخصصة بنشر البحوث الأكاديمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية على وفق الضوابط والمعايير المعتمدة عربيا ودوليا.

تسعى المجلة إلى توفير نافذة نشر رصينة للباحثين الأكاديميين، وإتاحة الفرصة لهم لنشر بحوثهم مع مراعاة الالتزام بقواعد التفكير العلمي منهجا ولغة في عرض الأفكار وتقديمها أو تحليلها وصولاً إلى إدراج المجلة ضمن قواعد البيانات العالمية للمجلات ذات معامل التأثير (Impact Factor).

### رؤيتنا:

التغيير يبدأ من الإنسان، وينطلق من رؤية علمية واقعية قادرة على تصحيح المسارات وبناء قاعدة رصينة توصل إلى الأهداف وتحقق الطموحات.

### رسالتنا:

تقديم محتوى يجعل المجلة مرجعا علميا أصيلا للباحثين، ومنهلا ثراً لأبناء المجتمع.

### أهدافنا:

- استقطاب الباحثين المتميزين للنشر في المجلة، وتقديم نتاجاتهم العلمية ، وما توصلوا إليه من نتائج تطور الرؤية العلمية وتلبي حاجات الباحثين على المستويات الوطنية والعربية والعالمية في مجال بحوث العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- المشاركة في بناء مجتمع المعرفة من خلال نشر البحوث العلمية لمتخصصين رفيعي المستوى.
- توطيد العلاقة بين الأكاديميين وأبناء المجتمع ، والإفادة من مخرجات البحث الأكاديمي في تطوير رؤية المجتمع وبنيته الفكرية.
- ترسيخ الثقافات المجتمعية التي تتواءم مع مخرجات البحوث الأكاديمية، وتعزيز وجودها في المجتمع .

## قواعد النشر

- لغة المجلة هي العربية والإنجليزية، على أن يراعى الوضوح وسلامة النص.
- تستقبل المجلة البحوث والدراسات الإنسانية النظرية والتطبيقية، المحلية والخارجية التي تتناول قضايا تاريخية أو حالية أو مستقبلية على وفق الضوابط الآتية:
١. أن لا يقل عدد كلمات البحث عن (٥٠٠٠) ولا تزيد على (٨٠٠٠) مطبوعة بنسختين مرفقة مع قرص مرن (CD) بصيغة (word).
  ٢. أن تعتمد الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد البحوث والدراسات وكتابتها ولا سيما التوثيق بحيث تتضمن بالنسبة للكتاب الآتي : اسم المؤلف، عنوان الكتاب، مكان النشر الاسم الكامل للنشر، تأريخ النشر، أرقام الصفحات، أما بالنسبة للمقالة : فتتضمن اسم الكاتب، عنوان المقالة، اسم الدورية، مكان صدورها عددها، تأريخها، وأرقام الصفحات، ويجب أن تثبت الهوامش في نهاية البحث.
  ٣. أن تتصف البحوث والدراسات بالموضوعية والدقة العلمية.
  ٤. أن تعتمد الترقيم العشري للعناوين الأساسية والفرعية أو التصنيف المعياري العام.
  ٥. يرفق مع كل بحث مستخلصان، أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية، على أن لا يزيد عدد كلمات كل منهما على (٢٥٠).
  ٦. يرفق مع كل بحث ودراسة سيرة ذاتية مختصرة للباحث.
  ٧. تخطر المجلة الباحثين بإجازة بحوثهم أو دراساتهم بعد عرضها على محكمين مختصين على نحو سري.
  ٨. يمكن للمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية أو شاملة على البحث أو الدراسة قبل إجازتها للنشر بما يتماشى مع أهدافها.
  ٩. لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث والدراسات التي تعتذر عن نشرها.
  ١٠. ترحب المجلة بالمناقشات الموضوعية لما ينشر فيها أو في غيرها من الدوريات وبأية ردود فكرية أو تصويب، وكذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات ذات العلاقة ومراجعات الكتب وملخصات الرسائل الجامعية التي تتم إجازتها على أن تكون من إعداد أصحابها .



# المحتويات

## الافتتاحية

١١..... قُلْنَا ونُكْرِرُ القول

أ.د. عامر حسن فياض

---

## بحوث العدد

١٥..... الأبعاد السوسولوجية في الصحيفة السجادية

أ.د. ثريا بن مسمية

٢٩..... الاستعارة القرآنية: أصنافها وتجلياتها في الصحيفة السجادية

أ.م.د. ناجي الحجلأوي

٤٥..... المغالطات الاستشراقية في مآثر الثورة الحسينية: فلهاوزن أنموذجاً

أ.د. صابرين زغلول السيد

٨٩..... المحددات الإقليمية اتجاه الاستراتيجية (الإسرائيلية) في منطقة شرق أفريقيا

م.م. أنوار عباس مطشر أ.د. خلود محمد خميس

التحوط الاستراتيجي الأمريكي-الإيراني: التنافس الدولي في منطقة آسيا الوسطى

١٢٣..... أنموذجاً

أ.م.د. طارق محمد طيب القصار بسام داود سليمان المولى

١٥٩..... تأملات في تاريخ النظم القانونية والاجتماعية الخارجية عن دائرة الدولة

م.د. محمد عامر حسن

التنوع المجتمعي وتأثيره في عملية بناء الدولة (العراق أنموذجاً)..... ١٨٥

م.م. زهراء عبد الأمير الحربي

### وثيقة

السلام العادل والتنمية المستدامة: كلمة السيد عمار الحكيم في مؤتمر البابطين. ٢٢١

### عرض كتاب

الأغبياء لا يدخلون الجنة (د.حازم دوس)..... ٢٢٩

ملاحظة الابداع (د.سمير الغراوي)..... ٢٣١

### مؤتمر الآفاق المستقبلية لأتباع أهل البيت (عليه السلام)

الشيعة ومشكلة الهوية والولاء..... ٢٣٥

د.صلاح الفضلي

التكامل بين لبنان وسوريا والعراق: نموذج مثلثات النمو..... ٢٥٥

د.عبد الحلیم فضل الله

Research Paper for 'A Middle Nation' conference in Baghdad, Iraq.  
25-26 Jan 2024..... 279

Mohammed Baqer Ali Khan

### ورقة بحثية

العنف ضد المرأة في الإعلام العراقي..... ٣٠١

عالية طالب

تقرير

مؤتمر الآفاق المستقبلية لأتباع أهل البيت (عليه السلام).....٣٠٩

البحوث باللغة الإنجليزية

The Question of Constitution and Engineering State Buildin.....313

Prof. Amer Hassan Fayyad      Prof. Hisham H. Abdulsattar

Education policies and building social awareness to confront  
extremism in Iraq (scientific article).....345

Prof. Dr. Ali Faris Hameed

The Position of the Kingdom of Saudi Arabia Toward Iraqi  
Governments After 2003.....355

Hussam Ali Omran



## (قُلنا ونُكرّر القول)

أ.د عامر حسن فياض

قلنا ونكرر القول إن الوطن بحاجة إلى سورين كيما يكون حراً ويصبح سعيداً، الأول سور الحماية الأقوياء من الأبناء، والسور الثاني هو سيادة القانون في ربوع الوطن كله... وقلنا ونكرر القول إن الحق لا يعلو ويعلى عليه دون أن يُدستر، أي يُضمن ضماناً دستورياً، ودون أن يُقنن لينظم بقانون ودون أن يُمأسس للتمكن من ممارسته وتذوق طعمه الحلو.. وقلنا ونكرر القول إن السيادة الحقّة للعراق لا يمكن أن تكون صلبة، ولا يمكن أن تكون سيالة. فعندما تكون صلبة تُحتكر بيد طاغية يحارب دواخل الوطن ويعزله عن حوارجه.. وعندما تكون سيالة ستكون سيادة مخترقة ومستباحة من حوارج الوطن لتسود الفوضى دواخله.. فلا السيادة البودانية الصلبة تنفع الإرادة الوطنية الحرة المستقلة، ولا السيادة السيالة التي تروجها وتريد فرضها حفنة الاحتكار الرأسمالي المتوحش تفيد الإرادة الوطنية الحرة المستقلة في الرد على كل عدوان خارجي على الوطن، أما السيادة الحقّة فإنها تتحقق في وطن محمي من جيشه ومن شعب يرفل بالحرية والأمن والسلم الأهلي... وقلنا ونكرر القول إن الشعبوية في العمل السياسي مآلها أحد مصيرين لا ثالث لهما، الأول نزوع الحكم نحو الاستبداد، والثاني نزوع الوطن نحو الفوضى... وقلنا ونكرر القول إن منطلق كل تقدم وتطور ينطلق أول ما ينطلق من إيقاف التدهور.. وإن المسؤولين عن ارتفاع منسوب الفقر في البلاد هم الأقلية المتطفلة على السياسة بالمحاصصة والمسيطرة على المال بالفساد والمتحكمة بالسلاح خارج سيطرة الدولة... وقلنا ونكرر القول إن

العلمنة الحقيقية المطلوبة هي ليست فصل الدين عن السياسة وعن الدولة وعن المجتمع، بل هي نهج التمايز الوظيفي بين وظائف المؤسسة السياسية ووظائف المؤسسة الدينية بالشكل الذي لا يسمح بغلبة وهيمنة مؤسسة على أخرى بل بالشكل الذي يسمح بممارسة كل مؤسسة وظائفها بحرية تامة. واستكمالاً لسياق الحرية قلنا ونكرر القول إن حرية التعبير لا تعني الإساءة والتجريح والازدراء لحرية تعبير الآخر المختلف، ومن ينشد أن يستبدل عقيدته عليه ألا يبرر هذا الاستبدال بالإساءة أو التجريح أو الازدراء بالعقيدة التي غادرها أو المعتقد الذي يختلف معه، بل عليه فقط أن يبرر هذا الاستبدال بمحاسن العقيدة التي انتقل إليها، وله الحق والحرية بذلك.

سبق أن قلنا ونكرر القول أينما حل الغرب الرأسمالي المتوحش حضر الإرهاب ورحل السلام بأدلة كثيرة آخرها أن المطالبة الأفريقية برحيل الغرب الاستعماري عن النيجر وبوركينوفاسو ومالي قابلها مع التهديد من المستعمر الفرنسي والغرب المتآلم من الطرد عمليات إرهابية متأصلة الهوية في البلدان الأفريقية الثلاثة هذه وفي ظرف لا يزيد عن أيام معدودة بعد ما حصل في النيجر.. وزيادة على ذلك قلنا ونكرر القول إن الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة الرأسمالية الغربية المتوحشة هي حليف قوي بيد أنه حليف غير موثوق به ليس من قبل خصومه فحسب بل من قبل حلفائه وأتباعه أيضاً.. وقلنا ونكرر القول إن الحلم الأمريكي الذي يتطلع إليه المتوهمون هو في حقيقته كابوس؛ لأن مانح هذا (الحلم) نظام سياسي سجل أرقاماً قياسية في الحروب العدوانية على الشعوب بمختلف ألوان هذه الحروب (تقليدية وحادثية واستباقية وجرثومية وهجينية وبالنسبة.. الخ) كما سجل أرقاماً قياسية في الحصارات والتجويع والتعطيش والتوظيف غير البريء للقوة تحت يافطات حقوق الإنسان ونشر المدينة والدفاع عن الحريات والديمقراطية. نعم إن الولايات المتحدة الأمريكية أثبتت بجدارة أنها أسرع وأفضل حليف يتخلى عن حلفائه، وأسرع وأفضل متهور في استخدام القوة العدوانية ضد خصومه، وأن إدارة هذا النظام تعمل مع الحلفاء لها وفق منطق الاستخدام والتشغيل الوظيفي لحين تنتهي المصلحة من هذا التشغيل والاستخدام، حيث يتم التخلي

بلا سابق إنذار عن المستخدم؛ لأن استمرار التبني والرعاية الأمريكية لهذا المستخدم سيعني العبء الذي لا يتحمله السيد الذي استخدمه.. عليه فحذار من استسهال العمالة القائمة والمعوّلة على غير الوطني وحذار من الاستقواء بالأجنبي.

في جدلية العلاقة بين العراق وتركيا قلنا ونكرر القول من حيث المبدأ إن تركيا تمثل جاراُ أدياً للعراق كما هي الدول الخمسة الأخرى الجارة المحيطة بالعراق، الأمر الذي يحتم عليها جميعاً وجود واستمرار علاقة دائمة مع بعضها البعض بعيداً عن القطيعة التامة وعن العزلة الدائمة فيما بينها.

إن التجربة التاريخية في العلاقة بين العراق وتركيا أثبتت أن طبيعة العلاقة ومساراتها تراوحت بين السخونة والدفء والبرودة التي لم تكن لصالح العراق، بل كانت لصالح تركيا في كل الأحوال.. وقد تحكمت في تلك المراوحة عناصر وعوامل وظروف عديدة تمددت على خط النهج البراغماتي النفعي الثابت نسبياً للطرف التركي بعيداً عن أي اعتبار للمشترك العقيدي الإسلامي ومشارك التجاور الجغرافي بينهما .

إن العلاقة بين العراق وتركيا بحاجة إلى إصلاح لتصبح العلاقة عادلة متكافئة ومعتدلة تخدم الطرفين، ولا بد أن تفهم بواقعية تفيد أن العلاقة بين الطرفين هي بمثابة لعبة لكل طرف فيها أوراقه في اللعب مع الطرف الآخر. فإذا كانت بيد تركيا ورقتان هي ورقة المياه وورقة القدرة العسكرية المتفوقة على العراق، فإن للعراق أوراقاً أكثر تتمثل بالنفط والتبادل التجاري والاستثمار والإعمار والكورد والتركماني.. ولكن رغم ذلك فإن اللعبة ستظل تعتمد على مهارة اللاعب وحسن استخدامه بغض النظر عن قلة أو كثرة الأوراق التي يمتلكها كل طرف، فهل أجاد أو يجيد العراق اللعب بأوراقه وهي الأكثر من أوراق تركيا؟ أم على العكس أجادت وتجيد تركيا اللعب بأوراقها وهي الأقل من أوراق العراق؟

الملاحظ أن العراق أفاد تركيا في التبادل التجاري، ويفيدها حتى الآن أكثر

مما هو مستفيد منها، ورغم ذلك لا يلّوح بهذه الورقة كورقة ضغط على تركيا، لو استدار العراق لغير تركيا في رفع تبادله التجاري على حساب حجم التبادل التجاري مع تركيا.. كما إن العراق - وهو الذي يمثل الفرص الذهبية للشركات التركية في الاستثمار والإعمار- لا يحسن استخدام هذه الأوراق بشكل صحيح تماماً، ولا يلّوح بإمكانية حرمان تركيا من حضورها في العراق في مجالات الاستثمار والإعمار لصالح بلدان أخرى مستعدة لأن تكون بديلاً عن تركيا في العراق، وهذا ما ينطبق أيضاً على ورقة النفط التي يملكها العراق من حيث عقود الاكتشاف والنقل والتوزيع والصناعات التمويلية النفطية التي أصبحت لتركيا حصة فيها، ناهيك عن تفريط العراق بورقتي الكورد والتركمان المستخدمتين بشكل غير صحيح من قبل العراق تجاه تركيا، بل الأكثر من ذلك أن تركيا تحسن استخدام هاتين الورقتين أفضل من استخدام العراق لها وهي أوراق عراقية بامتياز!

بالنتيجة قلنا ونكرر القول إن الأمر يعتمد على مهارة المفاوض العراقي مع المفاوض التركي في اللعب الصحيح بأوراقه التي تجعل من تركيا تتعامل بنديّة إيجابية مع العراق ليكون الطرفان في دائرة علاقة تعاونية لا غالب ولا مغلوب فيها، أي في دائرة الكل رابح دون كل خاسر ودون واحد خاسر وآخر رابح.

## الأبعاد السوسولوجية في الصحيفة السجادية

ثريا بن مسمية(\*)

[Alshuqir@hotmail.com](mailto:Alshuqir@hotmail.com)

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٩/١٥ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١٠/٧ تاريخ النشر: ٢٠٢٤/٢/٢٨

### المستخلص:

تتجلّى أهمّ الأبعاد السوسولوجية في رسالة الإمام زين العابدين (عليه السلام) من خلال إشارته على عبد الملك بن مروان بأن يطبع السكّة الخاصة بالبلاد الإسلامية لمنافسة التعامل الاقتصادي بالنقود الرومانية ولضمان الاستقلال عنه. وإذ تنازعت التيارات الثقافية الأمة الإسلامية حتّى أنّ المجتمع تحت وطأة الشعبوية، فإنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) أسّس حلقات خاصة بالعلوم والقراءات في المسجد النبوي. وهو ما سيشدّ من أزر القيم الإسلامية الخالصة، وسيتمنّ العرى الاجتماعية بين المسلمين. ولا غرو في ذلك فقد أشبع الناس بالطاقة الروحية النابعة من العلوم والأخلاق. تلك الطاقة المتدفقة من الأدعية التي تثبت المسلم أمام نداءات الإغراءات والشهوات والملذات الدنيوية.

إنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) هو الذي يمثّل نموذج المصلح الاجتماعي المخلص لربه. وقد كان يربط الحجر على بطنه من الجوع تأسياً بجده الرسول عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم. وهكذا دأب المصلحين الذين يرغبون في إصلاح

(\*). أ.د. ثريا بن مسمية/ المعهد العالي لأصول الدين/ الجامعة الزيتونية.

مجتمعاتهم يبدؤون بأنفسهم حتّى يتأسّى بهم النّاس.

ولعلّ أبرز علامة تميّز المصلح الاجتماعي هي الدّعوة إلى الحياة على خلاف أهل الاستبداد السياسيّ الدّاعين إلى الموت وإشاعة الخوف بين النّاس. وقد فاضت أدعية هذا الإمام (عليه السلام) بكلّ ما يدعم أركان الاجتماع من عرى التّرابط عبر المحبّة وتقوى الله والورع والزُّهد. وهذه الورقة تروم الوقوف على مستويات الأبعاد السوسولوجيّة التي تتضمنها الصّحيفة السّجاديّة بمنهج وصفي تحليليّ.

**الكلمات المفتاحية:** السوسولوجية، المجتمع، التيارات الثقافية، الأبعاد.

## **Sociological dimensions in Sahifa al-Sajjadiyah**

**Thuraya bin Masmiya<sup>(\*)</sup>**

[alshuqir@hotmail.com](mailto:alshuqir@hotmail.com)

Receipt date:15/9/2023 Accepted date: 7/10/2023 Publication date:28/2/2024

### **Abstract:**

The most important sociological dimensions are reflected in the message of Imam Zain al-Abidin (peace be upon him) through his reference to Abdul Malik bin Marwan to print the coin of the Islamic countries to compete with economic dealing with Roman coins and to ensure independence from him. As the cultural currents of the Islamic nation conflicted so that society was under the weight of populism, Imam Zain al-Abidin (peace be upon him) established special circles on science and readings in the Prophet's Mosque.

This will strengthen the bonds of pure Islamic values and strengthen social bonds among Muslims. Not surprisingly, he imbued people with spiritual energy stemming from science and ethics. That flowing energy of supplications that stabilize the Muslim in front of the calls of temptations, lusts and worldly pleasures.

It is Imam Zain al-Abidin (peace be upon him) who represents the model of a social reformer who is loyal to his Lord. He used to tie the stone on his stomach from hunger in sympathy with his grandfather the Prophet and his family the best prayer and the purest delivery. Thus, reformers who want to reform their societies always start with themselves so that people can follow

---

<sup>(\*)</sup> Thuraya bin Masmiya / Higher Institute of Fundamentals of Religion / Zaitouniyah University.

them.

Perhaps the most prominent sign of a social reformer is the call for life, unlike political tyranny who call for death and spread fear among people. The supplications of this Imam (peace be upon him) overflowed with all that supports the pillars of the meeting of bonds of interdependence through love, piety of God, piety and asceticism. This paper aims to identify the levels of sociological dimensions included in Al-Sahifa al-sajjadiyya with a descriptive and analytical approach.

**Keywords :** Sociology, society, cultural currents, dimensions.

### المقدّمة:

تشهد المجتمعات عبر تاريخها المستمر تموجات وانخفاضات واندحارات في المستويات السياسية والاجتماعيّة والثقافيّة والأخلاقيّة، ولكن سنن الله في خلقه تقتضي أن يُبعث من حين إلى آخر من يجدد الأوضاع الثقافيّة والمعرفيّة باعتبارها رأس الأمور؛ لأنّ الأفكار النيّرة هي التي تغيّر الوعي. وإذا تغيّر الوعي جرّ وراءه السلوك إلى ما هو أفضل ويظهر الصّلاح، حينئذٍ، في تقوى الفرد والعائلة والمجتمع.

إنّ المجتمع عبارة عن سفينة تُقلّ على ظهرها جماعة من النّاس. وإذا كان ربّان هذه السفينة ماهراً فسيملك بالنّاس مسلك النّجاة حتّى وإنّ كان البحر هائجاً والعناصر ثائرة، وإنّ كان غير ماهر ولا قادر فسيسوق المركب إلى المهالك والفرق. وما من شكّ في أنّ الصّحيفة السّجادية تُعتبر كنز الرّبّان وزاد المسافر نحو شواطئ السلامة الفرديّة والجماعيّة. إذ هي أدعية تستهدف صفاء الدّهن وطهارة النّفس وعمق المعرفة بخفايا الحياة، ودون ذلك يبقى المرء في بحر الظلمات من الجهل والبعد عن الله تعالى.

إنّ المنازع الاجتماعيّة بارزة في أدعية الإمام (عليه السلام) ما يعني أن نظرتّه متعلّقة رأساً بهموم الأمة الإسلاميّة، وقد بدأت تغرق في الفتن والاضطرابات الاجتماعيّة والسياسيّة التي تتغذّى بالصّراعات المذهبيّة والعرقية.

## ١) مركزية البعد الاجتماعي

إنَّ أهمَّ الكتابات هي التي تتجاوز الاهتمام بشؤون الأنا الضيقة لتطال الاهتمام بالمصلحة العامة وكلِّ ما يهمُّ النَّاس. على أنَّ التَّركيز على ما يتعلَّق بالأنا ليس دائماً عملاً مذموماً؛ لأنَّ إصلاح الجماعة إنَّما ينطلق بالضرورة من إصلاح الذات. ولكنَّ النُّصوص الكبيرة وذات المنزلة المرموقة هي التي تتخطى العلاقة العمودية مع الله إلى العلاقة الأفقية مع النَّاس، علماً بأنَّ ما يربط الأفراد بعضهم ببعض إنَّما ظلَّ العلاقة مع الله حيث تتجلَّى قيم العدل والمساواة والمحبة المتبادلة والأخلاق الاجتماعية. فالدِّعاء شكل عمودي مضامينه إرساء المعاني الخالدة للحرية الاجتماعية التي تبدو في الأسرة والدولة. فالصحيفة التي هي خلاصة الأدعية الصَّادرة عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) والتي أصبحت معروفة بزبور آل البيت حافلة بمعالم النهضة الاجتماعية. وهي تروم إعادة بناء الشخصية الإسلامية المتميزة بالعدل والصلاح وتقوى الله. فدائرة النُّظر لدى الإمام تتجاوز الفرد إلى الجماعة؛ لأنَّ الذي يبيت ولا يهتم بأمر المسلمين ليس منهم. ولعلَّ هذه القيمة هي التي حدث بالشيخ الطنطاوي (ت ١٣٥٨هـ) صاحب التفسير إلى القول: «ومن الشقاوة إنَّا إلى الآن لم نقف على هذا الأثر القيم الخالد في موارث النبوة وآل البيت (عليهم السلام)». وإنِّي كلما تأملتُ رأيها فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق. ولعلَّ هذه المنزلة ذاتها هي التي دعت الإمام الخميني إلى الإشارات الواضحة لإعادة الاعتبار إلى الرِّصيد الأخلاقي الذي تتضمنه الصحيفة السجادية<sup>(١)</sup>. فالدِّعاء الخامس يحذر من الانحرافات الأخلاقية والاجتماعية. والأدعية بأسرها تدعّم قيمة التقوى باعتبارها حلية الصالحين الذين يرممّون البناء الاجتماعي ويسعون إلى تماسكه حيث تترابط الصلات الاجتماعية. وكلما كان الاتِّصال بالله قوياً كانت عرى الاتِّصال الاجتماعي أكثر تماسكاً وتفاعلاً.

إنَّ المعارف الإلهية توحيدا ونبوءة لا قيمة لها إذا لم تُترجم في تجارب وخبرات

(١) انظر خطبة الإمام الخميني بتاريخ ١٢/٤/١٩٩٧.

وسلوك في مجال الأسرة والمحيط الاجتماعي بصفة عامّة<sup>(١)</sup>.

## ٢) تجليات الأبعاد السوسولوجية

إنّ أهمّ بعد اجتماعي يتجلّى في الصّحيفة السّجّادية هو محاولة الإمام زين العابدين (عليه السلام) القيام بمهمة النهوض بأوضاع الأمة الإسلاميّة، إذ كانت هذه الأمة تتخبط في دماء المسلمين باستحلال الأنفس المحرمة صراحة في كتاب الله. قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾<sup>(٢)</sup>. وهو تكالب على المناصب السلطانية. وقد كان شعار بني أمية هو أنّ الغاية تبرّر الوسيلة ما أشاع الانتهازية والوصولية من أجل التمتع بمباهج الحياة الزائلة. وقد دفع أبناء الإمام علي (عليه السلام) ضريبة موجعة. وقد طفحت الصّحيفة بما يطهر الأنفس من هذه الأدران بالخوف من الله وخشيته والبكاء في حضرته، يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): "وما لي لا أبكي ولا أدري إلى ما يكون مصيري". وانظر إلى المفارقة الاجتماعية بين تقي بيكي وفاجر يلهو. فقيمة الحياء تنعكس بصورة مباشرة في القيم الاجتماعية، إذ الخائف من الله يحرص حرصاً شديداً على ضمان حقوق النّاس وسلامة حرّماتهم. فالترّبية الروحية، بصفة عامّة، أساسية في تماسك الأواصر القائمة بين الأفراد على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم وأعرافهم؛ لأنّ الله تعالى خلق النّاس وجعلهم عيالاً له، ومن يظلم أو يقتل واحداً منهم فكأنما ظلم أو قتل النّاس جميعاً.

إنّ التّربية التي تتبع من الصّحيفة السّجّادية تربية تنهض على الورع والكآبة البناءة التي تساعد على حبّ الحياة الصّافية من الشوائب والمحرّمات. فالحياة المطلوبة من خلال الدّعاء لدى الإمام السّجاد (عليه السلام) عمادها العلاقات الاجتماعية المنفتحة. فالحياة هبة من الله، وهي رحمة تزداد لئذّ العبادة والرّجوع إلى الله باستمرار. ولذلك كانت المناجاة تدور حول هذه المعاني، ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ

(١) انظر خطبة الإمام الخميني بتاريخ ١٩٩٣/٧/٤.

(٢) سورة الإسراء ١٧، الآية ٣٣.

الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾. ففلسفة الاجتماع في الصحيفة تروم الاستفادة من الحياة الدنيا بالقدر الذي يشجع على التَّعبد والتَّقوى. وقد قال الإمام علي (عليه السلام) ما يصور هذا المعنى تحديداً: "لا ينبغي على المرء أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث: مرمّة للمعاش وتزوّد لمعاد ولذّة في غير محرّم".

إنّ الدّعاء يقوي النّفس ويشدّ من أزرها لتصبح أكثر انسجاماً مع مكوّنات المجتمع الإنساني بأسره مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢). فالمرء يبدأ بتطهير نفسه وترويضها على التقوى، فمن عرف نفسه فقد عرف ربّه. وهذه التّربية تستهدف الكمال الإنسانيّ رغبة في تحقيق الحضارة الكونيّة الخالية من الظلم والاستعباد حيث كشف الأسرار الطّبيعية والعلوم الإنسانيّة كعلم النّفس وعلم الاجتماع لمعرفة نواميس علم العمران البشريّ مستودع الأسرار الإلهيّة في خلقه. وتلك هي مقاصد المعارف الأفاقية. لقد رسخ الإمام زين العابدين (عليه السلام) الدّعاء لاسترجاع الثقة الضرورية والرصيد الرّوحي اللازم لرأب الصدع الحضاريّ الذي بدأ يدبّ في أوصال المجتمع الإسلاميّ الذي بناه النّبي الكريم (ﷺ) حيث رأى المسلمون بأب أعينهم المساواة بين الأبيض والأسود والحر والعبيد والمرأة والرّجل. ولذلك دعا إلى نبذ الخوف والتردّد، يقول: "إذا هبت أمرا فقع فيه، فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه".

إنّ التردّد والخوف من أهمّ الأمراض الاجتماعيّة والنّفسيّة التي يفرسها الظلم السياسيّ والاستبداد والجور، فهي أمراض تجعل المجتمع مشلولاً يتكوّن من ذوات مشوّهة متورّمة متأخرة عن العمل الصالح والإبداع، علماً بأنّ المجتمع السّوي لا يمكن أن يُبنى بأياد ملوّثة أو مرعوبة.

إنّ المجتمع الذي يريد الإمام (عليه السلام) بناءه هو مجتمع نقيض لصورة المجتمع الذي بناه

(١) سورة القصص ٢٨، الآية ٧٧.

(٢) سورة فصلت ٤١، الآية ٥٣.

بنو أمية، مجتمع يقوم على إطلاق الأيدي في أموال المسلمين وأعراضهم وأنفسهم حيث الانشداد إلى الأرض والحياة الدنيا وإغماض العينين عن الآيات التي نزلها الله في كتابه داعية إلى وضع الحياة الدنيوية في ميزان الآخرة.

إنّ الاجتماع الذي بناه بنو أمية اجتث الطموح والتقوى من أنفس الناس، وجعل منهم آلات تطيع وتبرّر وتزيّف الحقائق التاريخية؛ لذلك تسببوا في القتل والسّفك وإشاعة الآثام وارتكاب المحرمات. ولكن الإمام (عليه السلام) يقوّي الإرادة الخلاقة؛ لأنّ الذي يخشى الناس ويتردّد هو خاسر بعيد عن النجاح وعن بلوغ القمة الإنسانية. إنّ الإمام (عليه السلام) لم يكتفِ بذكر الأدوية اللازمة كالإرادة والفاعلية، وإنّما قدّم آية تحقيق هذه الأهداف، وهي آية الدّعاء الذي يملأ الأنفس طاقة جبارة تحبّ الله والأنفس بقربه. فالمصلح الاجتماعيّ يستمد زاده وقوّته الفعّالة من سلاح الدّعاء رأس العبادة الكفيل بتغيير النّفس وتغيير النّفس شرط التّغيير الاجتماعيّ.

إنّ الصّحيفة كتاب مكتنز بآليات التّخاطب مع العقل الباطن، وهو الجسر المؤمن للوصول إلى العقل الظّاهر. وخير للمرء أن يبدأ بتكوين عقله الباطني حتّى إذا سمحت الظروف الملائمة لتحقيق الأهداف المقصودة في المجال الواقعي بدت هذه الأهداف معاني مجسّدة في الحياة المعيشة. وعليه فإنّ بناء النّات الإنسانية أعسر بكثير من بناء الحيطان والقصور، وإذا بُني الإنسان تمكّن من ترجمة أهدافه، يقول الإمام (عليه السلام): "ما أضمر امرؤ في قلبه شيئاً إلّا وظهر على قسّمات وجهه أو فلتات لسانه". فانظر إلى هنا التّحليل النّفسي الذي يسبر أغوار النّات وهو البناء المنطلق من الأساس وعلى خلافه بناء هاو على شفا جرف هار. وهو البناء المركز على الظّاهر الذي ينبل بتقدّم الأعمار وإصابة الأمراض، تلك هي جدلية المظهر والجوهر باعتبار أنّ ما ينفع النّاس هو الذي يمكث في الأرض. قال تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيٍّ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا

مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١﴾. فالجوهر رمز الفعل، والمظهر دليل الانفعال. والصحيفة بحر زاخر من المعاني الاجتماعية المتلاطمة، مجتمع الحب والجمال. يقول الإمام (عليه السلام): يا إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً؟ ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولا؟ اللهم إنني أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصلني إلى قربك.

إن اللغة في الصحيفة تربط المحراب بالمجتمع، فالدين هو الحياة، والدعاء ضارب بقوة في الحركة الاجتماعية، والإمام متأثر بأمة الزهراء. يقول الإمام الحسن (عليه السلام): ما رأيت أعبد من أمي فاطمة، كانت إذا قامت إلى صلاتها لا تنفثل حتى تتورم قدمها من طول الوقوف بين يدي ربها. إن التبتل والعبادة هما العنصران المشجعان على الارتقاء في أحضان المجتمع، يقول الإمام الحسن نفسه (عليه السلام): وما رأيتها دعت لنفسها قط وإنما تدعو للمؤمنين والمؤمنات، فأقول لها: أمأه لم لا تدعين لنفسك؟ فتقول: بني حسن: الجار ثم الدار.

وعلى هذه الصورة تربي أبناء الزهراء، على الربط بين المحراب والمجتمع. والاجتماع هو محرار الإيمان. يقول زين العابدين (عليه السلام) في هذا المجال: اللهم إنني اعتذر لك من مظلوم ظلمت بحضرتي فلم أنصره، ومن ذي فاقة سألتني فلم أوفره. ومن عيب مسلم ظهر لي فلم أستره. ومن كل إثم عرض لي فلم أهجره. فحقوق الآخرين جزء لا يتجزأ من المسألة الإيمانية. ولا غرابة في ذلك فالإمام (عليه السلام) يقول في موضع آخر: اللهم وسددي لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجزني من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافئ من قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر. وهكذا تتم التربية على الأخلاق الفاضلة في ضوء المعاملات مع خلق الله لا في مجال الرهبانية الزائفة القائمة على الخلاص الفردي. إن العلاج الذي تقدمه الصحيفة علاج سمح سهل يجتث الأدوية من الأساس، يُفرغ الأنفس إفراغاً ويملؤها بالخير والحب ملاء.

(١) سورة الرعد ١٣، الآية ١٧.

فالدعوة إلى تغيير ما بالنّات نزعة واضحة في الصّحيفة باعتبار أنّ النّفس الإنسانيّة هي مربط الفرس الذي تدور حوله كل المحاور الاجتماعيّة. وإذا بُنيت هذه النّفس بناءً دينياً صلباً، استطاعت مقاومة الاستبداد ومدّ جسور التّواصل مع الغير حتّى وإن كان مختلفاً. فالمجتمع الإسلامي بدأ ينزاح عن قيم الرّوح لصالح الانغماس في الواقع المعيش والمستسلم للفرائز، وهو ملمح جديد لم يكن مستساغاً أيام النّبي (ﷺ). فالدين طهارة والتزام بحكم الورع والتّقوى.

إنّ القيم الإسلاميّة الصّرفة تدفع إلى الفاعلية والإبداع والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، حيث يتجلّى الإصلاح الفردي والاجتماعي، وحيث يكون الضمير صافياً مراقباً لرّبّه، وهو شرط التّجدد الاجتماعي. وعلى هذه الصّورة تتمّ القدرة على مواكبة التّطور والتحضّر.

إنّ الإمام (عليه السلام) من خلال الصّحيفة مجدّد بحكم تمسّكه بالقيم الإسلاميّة الأصليّة وبالأفكار النابعة من القرآن الكريم. وهي مبادئ وقيم تميّز بطاقة خلاقة تتسجم تمام الانسجام مع طبائع البشر. فلا عجب أن تتضمن الصّحيفة حلولاً للمشاكل الاجتماعيّة المتجدّدة والمستمرّة في كلّ زمان ومكان. وعليه فالدور الاجتماعي الذي تضطلع به الرّسالة هو دور نضالي مؤثر ينهض على المعرفة والخبرة بأسرار الحياة. إنّها فترة زائلة تُغري أصحاب العقول الضعيفة وتغرّهم بمباهجها وحلاوتها، ولكن أصحاب العقول الثاقبة والألباب الرّاجحة يزنونها بميزان الآخرة من أجل الفوز برضوان الله وجنته الخالدة.

والصّحيفة تثير قضايا الاجتماع الإنساني وتشخص أزماته وتقدّم الأجوبة الملائمة المناسبة لها. فإعادة بناء العالم تبدأ من إعادة بناء النّات انطلاقاً من الآية الكريمة القائلة: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾<sup>(١)</sup>. وصورة المجتمع المنشود

(١) سورة الرعد ١٣، الآية ١١.

في الصحيفة تقوم على إعلاء كلمة الله في الأرض. وهذه الكلمة تدور أساسا على الحرية والعدالة والمساواة. واللافت أن بني أمية تنكروا لهذه القيم الإسلامية صريحة. والحقيقة أن هذا التراجع الأخلاقي والقيمي هو الذي أكد ضرورة العودة إلى الصحيفة السجادية لحل مشاكل النهضة الإسلامية المغدورة.

لقد جنح بنو أمية إلى مدح الإسلام كلاما. وذهبوا إلى تهديم صرحه بالفعال، فلم تتوان الصحيفة في بيان أن الكلام وحده لغو، ولاسيما إذا لم تعاضده الأفعال الصالحة المبرهنة على صدق الإيمان والإخلاص لله تعالى. ففي الأدعية تبرؤ من علم لا ينفع وعمل لا ينفع. وهي إحالة واضحة على الاعتقاد الصحيح الذي لا مدخل للنفاق فيه بحكم الاحتماء بالله على خلاف المحتممين بالشیطان في عصر الإمام (عليه السلام).

إن المجتمع الإسلامي الذي يروم الإمام تأسيسه امتدادا للمجتمع الذي أرسى دعائمه جده النبي محمد بن عبد الله (ﷺ) ودعمه الإمام علي (عليه السلام) بجهاد وإخلاص والتزامه بكلمة الحق حتى مع الخصوم الذين عملوا جاهدين على إحداث ثغرات اجتماعية متتالية أدت بالامة الإسلامية إلى التقهقر والتراجع في سلم الحضارة الإنسانية. فلا غرو حينئذ في التصريح بالقول: إن العودة إلى المبادئ الأخلاقية والاجتماعية بات ضرورة ملحة من أجل إعادة الألق للثقافة والحضارة.

### الخاتمة:

لقد حاول هذا البحث الوقوف على أهم الأبعاد السوسولوجية في الصحيفة السجادية وما أسسته من أدوات فعالة لتحقيق هذه الأبعاد. والمهم أن العدالة الاجتماعية والمساواة والأخوة في الإنسانية وفي الدين مجال اجتماعي حيوي يحتضن الرسائل الإلهية التي بعث بها إلى الأرض عن طريق أنبيائه ورسله تربية للإنسانية بأسرها أن تعود إلى الله رمز السلام المطلق. وإذا كان الإنسان عجولا مفضلا للذي هو أدنى على الذي هو خير، فإنه كثيرا ما يطفى وينسى علاقته بالله تعالى. فإن المستفاد من الصحيفة السجادية أنها علامة فارقة للتذكير بالدور الرسالي الهادف إلى الثورة عن

الأوضاع الاجتماعية البالية في كلّ المستويات، حيث بدأ الإمام (عليه السلام) حاملاً لمسؤولية أمة بدأت تتهاوى أركانها تحت وطأة الانحراف عن الصّراط المستقيم الذي بيّن الله تعالى أركانها وأسسها في كتابه العزيز، فكان صوته صادحا صادعا بالحقّ وبضرورة العودة إلى الجادة كي يعود البناء الاجتماعي إلى صرحه المتعالي. وقد أمدّ (عليه السلام) آليات البناء وأدوات الخلاص، فكانت معالجته منصبّة على الذات الإنسانية صاحبة الشأن في تحمّل الأمانة الثقيلة التي أشفقت منها الجبال والسّموات والأرض، اعتقاد منه أن صلاح الفرد شرط أساسي وضروري في إصلاح الأمة بأسرها. وقد أراد أن يكون هذا الحل ضاربا في أعماق الوجدان وفي أعماق مدى في الأذهان ضمانا لديمومة الصلاح واستمراره. وقد قدّم الدّعاء على أنه وسيلة التّطهير من الأدران والأوثان معلقا بالله الرحمان وصولا إلى بيان أخطار الظلم الجالب لكلّ آفة.

لقد بدأ الإمام (عليه السلام) من خلال الصّحيفة واحدا من قبيل النّذين يهبهم الله على رأس كلّ فترة من الزّمن يجدّد للأمة دينها، وذلك هو السبب الكافي لمزيد التأمّل في هذه الصّحيفة المكتنزة بالدّرر الثمينة في المستويات الروحية والتربوية والأخلاقية والاجتماعية.

### قائمة المصادر والمراجع

- الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الصّحيفة السّجادية الكاملة: من أدعية الإمام زين العابدين (عليه السلام)، تقديم سماحة الإمام السيد محمد باقر الصدر، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- الإمام الخميني، الخطب.
- مالك بن نبي، مستقبل الإسلام، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيد، بيروت، دت.
- ابن نبي مالك: دور المسلم ورسالته في التّلك الأخير من القرن العشرين، دار الرّاية

- للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٤، (عدد الطبعة غير مذكور).
- شروط النهضة، تعريب عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، إصدار ندوة مالك بن نبي دار الفكر دمشق سنة ١٩٧٩، (عدد الطبعة غير مذكور).
  - ميلاد مجتمع (شبكة العلاقات الاجتماعية) ترجمة عبد الصبور شاهين، إصدار ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ط ٢، سنة ١٩٧٤.
  - مصطفى التواتي، التعبير الديني عن الصّراع الاجتماعي في الإسلام، دار النشر للمغرب العربي، تونس، د.ت.
  - حميد رضا حق شناس، الأخلاق الاجتماعية للصحيفة السجادية، دار دفتر عقل للنشر، دمشق، د.ت.
  - علاء إبراهيم المليسي الموسوي، دور الإمام (عليه السلام) في مواجهة الانحرافات الأخلاقية والاجتماعية بعد واقعة الطف، مقال الكتروني، تاريخ التنزيل في ٢٥/١٢/٢٠١٨.



## الاستعارة القرآنية: أصنافها وتجلياتها في الصحيفة السجادية

أ.م.د. ناجي الحجلوي (\*)

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٩/١٠ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١٠/١ تاريخ النشر: ٢٠٢٤/٢/٢٨

### المستخلص

لم يؤثر كتاب قطّ بأساليبه الإبداعية والفنية كتأثير القرآن الكريم في ضروب الخطابات التي انتهجها الخطباء والبلغاء، ومنهم الإمام زين العابدين (عليه السلام). ولما كان الدعاء هو العبادة، فإن القرآن ذاته حافل بالأدعية. فالدعاء أسلوب كلامي مشحون بطاقة روحية عالية. وإذا كانت الصحيفة السجادية تنهض على الدعاء فإن الحضور القرآني ثيها كان واضحاً في مستوى العبارة والصياغة تجلياً للاستعارة القرآنية. فكانت الآيات القرآنية دليلاً على الاستناد القوي إلى أرضية نصية ثابتة. وهو دليل تأثر بالغ ومباشر أحياناً وغير مباشر أحياناً أخرى. وقد يُعمد إلى التناص الخفي حيث الاستفادة من المعاني القرآنية استفادة مبطنّة.

وغير خافٍ، أن من تفرّعات الاستعارة استلهم المنهج الربّاني العام الذي يستهدف صلاح الإنسان الجالب لصلاح العالم. ولعلّ أبرز العلامات الدالة على هذا الصلاح تتجلى في الإيمان بالله في التقوى وطاعة الوالدين والبرّ بهما ومقاومة الشرّ والظلم وأهلها باعتبار أنّ هذه القوى حجرة عثرة أمام إرساء القيم الدينية الخالدة المشكّلة للصرّات المستقيم كما قرّره القرآن الكريم. تلك معالم راسخة في تفكير الإمام زين العابدين

(\*) أستاذ مساعد دكتور/ المعهد العالي للحضارة الإسلامية/ جامعة الزيتونة.

(ﷺ) في صحيفته المعبّرة بوضوح عن قيم أرسى دعائمها الأنبياء والرّسل، بما تضمّنته من تفرّعات للاستعارة القرآنيّة.

إنّ فرضيّة هذه الورقة تنهض على اعتبار أنّ القرآن الكريم هو المنهل الجوهريّ الذي استلهم منه الإمام (ﷺ) جمال العبارة وروعة الأسلوب وعمق المعنى وبُعد الدّلالة. وسيتمّ، في تبيان كلّ ذلك، الاعتماد على المنهج الاستقرائي والتحليلي والتّأليفي.

**الكلمات المفتاحية:** الاستعارة، الخطاب، المنهج، التحليل، الاستقراء، التّأليف.

## **Quranic Metaphor: Its Varieties and Manifestations in Al-Sahifa Al-sajjadiyya**

**Assist. Prof. Dr. Naji Al-Hajlawi<sup>(\*)</sup>**

Receipt date:10/9/2023 Accepted date: 1/10/2023 Publication date:28/2/2024

### **Abstract:**

A book has never influenced its creative and artistic methods, such as the influence of the Holy Quran on the types of discourses adopted by preachers and eloquents, including Imam Zain al-Abidin (peace be upon him). Since supplication is worship, the Qur 'an itself is full of supplications. The supplication is a style of speech that is loaded with high spiritual energy.

If Al-Sahifa Al-sajjadiyya rises to the supplication, the Qur 'anic presence was clear in the level of phrase and wording as a manifestation of the Qur 'anic metaphor. The Qur 'anic verses were evidence of strong reliance on a fixed textual ground. It is evidence of severe, sometimes direct and sometimes indirect impact. It may resort to subtle circumvention, where the benefit of the Qur 'anic meanings is hidden.

It is no secret that one of the branches of the metaphor is the inspiration of the general divine approach that targets the goodness of man who brings goodness to the world. Perhaps the most prominent signs

---

<sup>(\*)</sup> Assist. Prof. Dr. Naji Al-Hajlawi/ Higher Institute of Islamic Civilization / al zaytona University.

of this goodness are manifested in faith in God in piety and obedience to parents and righteousness in them and resistance to evil and injustice and their families considering that these forces are a stumbling block in the way of establishing the eternal religious values that constitute the straight path as determined by the Holy Quran. These are well-established milestones in the thinking of Imam Zayn al-Abidin (peace be upon him) in his newspaper, which clearly expresses the values of the prophets and messengers with its branches of Qur 'anic metaphor.

The hypothesis of this paper is based on the consideration that the Holy Quran is the essential source from which the Imam (peace be upon him) was inspired by the beauty of the phrase, the splendor of the style, the depth of meaning and the dimension of significance. In illustrating all this, reliance will be placed on the inductive, analytical and synthetic approach.

**Keywords :** Metaphor, discourse, method, analysis, induction, composing.

### المقدمئ:

إنّ الأثار على اختلاف أنواعها أدبية أو دينية أو تاريخية أو غيرها تكتسب قيمتها من جهتين: جهة الشّكل وجهة المضمون. ويبدو كمالها في أوفى صورة عندما ينسجم الجانبان روعة الأسلوب ونُبل المحتوى. ولا غرو، في أنّ اختلال هذه العلاقة ينعكس سلباً على قيمة الأثر.

إنّ الوظائف التي تضطلع بها البلاغة هي بلوغ المقاصد وإدراك المعاني التي يروم الباث توصيلها إلى السّامع. ولمّا كان البيان ساحرا فقد تفاضل المتكلمون بحسب امتلاكهم لخاصية اللّغة. ولمّا كانت الاستعارة رأس البيان ومجمع المعاني فإنّ هذه الدّراسة تسلّط الأضواء على مستويات هذه الظّاهرة اللّغوية في الصّحيفة السّجادية باعتبارها أثرا دينيا ورد في شكل لغوي بديع يفيض بالتشابه والمجازات والاستعارات.

## (١) هُوِيَّة الصَّحِيفَةِ

تتضمَّن الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ أَرْبَعَةً وَخَمْسِينَ دَعَاءً. وَهِيَ مِنْ أَقْدَمِ الْآثَارِ وَأَوْفَرِهَا تَوَاتُرًا، لِذَلِكَ حَازَتْ عَلَى نَصِيبٍ كَبِيرٍ مِنَ الثَّقَّةِ وَالْمَصْدَاقِيَّةِ. وَهِيَ مِنْ جَمْعِ الشَّيْخِ (الْحَرِّ الْعَامِلِيِّ)، وَأَعَادَ جَمْعُهَا ثَلَاثَةَ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَالْمَرْحُومِ (الْأَفَنْدِيِّ) وَالْمُحَدِّثِ (النُّورِيِّ) وَ(مُحَسَّنِ الْأَمِينِ). وَهِيَ صَحِيفَةٌ عَلَى قَدَرٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ لِمَا فِيهَا مِنْ تَوْثِيقٍ لِلْفَتْرَةِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَعِيشُهَا الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ. وَأَهَمُّ مُمَيِّزَاتِهَا تَمَثُّلُ فِي شِدَّةِ الْوَطْأَةِ الْإِسْتِبْدَادِيَّةِ وَكَثْرَةِ الدَّمَاءِ الْمَرَاقَةِ مِنَ الْمَعَارِضِينَ. وَبِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، تَتَضَمَّنُ الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ طَاقَةَ رُوحِيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ مُوجَّهَةٍ لِتَطْهِيرِ الْمَفَاسِدِ الْقِيَمِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ مَنْتَشِرَةً. وَقَدْ انْسَجَمَ أَسْلُوبُ الدَّعَاءِ مَعَ هَذَا الْهَدَفِ الْإِنْسَانِيِّ النَّبِيلِ فَجَاءَتْ الْأَدْعِيَّةُ حُبْلَى بِالْمَنَازِعِ النَّقْدِيَّةِ وَالْإِصْلَاحِيَّةِ وَالتَّوْجِيهِيَّةِ لِعِلْمِ الْإِمَامِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الْمَسْبُوقِ بِمَسْئُولِيَّةِ الْعُلُومِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الَّتِي تَفْتَقِدُ إِلَى الْأَخْلَاقِ فَتَتَحَوَّلُ إِلَى غَابَاتٍ يَسُودُهَا التَّوْحَشُ وَالتَّخَلُّفُ.

إِنَّ الرِّسَالَةَ بَحْرٌ مَوَّاجٌ مِنَ الْمَعَارِفِ الدِّينِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ. وَلَعَلَّ ذَلِكَ مَا حَدَا بِالْإِمَامِ الْخَمِينِيِّ إِلَى الْقَوْلِ فِي إِحْدَى خُطْبِهِ الْجُمُعِيَّةِ: أَرْجُو مِنْكُمْ أَعْزَائِي وَبِخَاصَّةِ الشَّبَابِ أَنْ تَأْنِسُوا بِالصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ، فَمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ هُوَ دَعَاءٌ فِي الظَّاهِرِ، أَمَّا فِي الْبَاطِنِ فَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ<sup>(١)</sup>.

وَفِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قِيَمٌ وَمِبَادِيٌّ وَنِصَائِحٌ وَتَعْلِيمَاتٌ مَتَعَلِّقَةٌ بِالْإِيمَانِ وَبِالْغَيْبِ وَبِالْمَلَائِكَةِ وَالْكَتُبِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَبِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَحَيَاةِ الْبَرَزَخِ، وَفِيهَا حَدِيثٌ عَنِ الْمَاضِي وَالْآتِي مِنَ الزَّمَانِ. وَهِيَ فِي شَكْلِ دَعَائِي يَفِيضُ بِطَاقَةِ إِيْمَانِيَّةٍ عَالِيَةٍ تَقْدَمُ حَلًّا لِلضَّمِيمِ وَالظُّلْمِ وَالْفَسَادِ الْأَخْلَاقِيَّ وَالسِّيَاسِيَّ الَّذِي سَادَ فِي عَصْرِهِ. فَهِيَ أَشْبَهُ بِقَارِبِ النِّجَاةِ الْمُوَدِّيِّ إِلَى شَاطِئِ السَّلَامَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَدْ سُمِّيَتِ الصَّحِيفَةُ بِعِدِيدِ الْأَلْقَابِ مَا جَعَلَ الْإِمَامَ السَّجَّادَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نَمُودَجَ الْأَدِيبِ

(١) مِنْ خُطْبَةِ الْإِمَامِ الْخَمِينِيِّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِتَارِيخِ ١٩٩٥/٢/٣.

الشرعي الذي أغنى المكتبة الإسلامية بآثار ثمينة تحتل المرتبة الثّانية بعد نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام). وهو بالصّحيفة أسّس بدعائه لمنهج روحاني من خلال أساليب فنيّة رائقة تتسجم مع طبائع التّائبين المتأسّسين بالقرب من الله<sup>(١)</sup>.

## ٢) تجلّيات الاستعارة القرآنيّة في الصّحيفة السّجاديّة

لقد مثل القرآن بقداسته وامتانة أسلوبه مرجعا مهمّا لتفكير الإمام زين العابدين (عليه السلام). وقد تجلّى هذا الأمر في الاستعارات العديدة المضمّنة ضمن دعائه. وقد تجلّى المستوى الأوّل منها في اعتماد اللفظ القرآني. إنّ اللفظ القرآني ليس مفردة عادية وإنّما هو إشارة مركّزة ومكثّفة في رسم المعنى وإصابة الدّلالة. وعليه، فإنّ الهيكل البنائي للنّص مرتبط بشديد الارتباط بالمعنى الكلّي المُحيل على الكون بأسره. إذ إنّ آفاق اللّغة عند الفلاسفة هي بحدود العالم، فالمعاني أفكار مجردة تُخرجها المفردات إلى عالم الوجود وتنتشلها من عالم المفاهيم إلى عالم المصاديق. وليس كلّ مفردة تصلح للقيام بهذا الدور ما لم يتصرّف بها مُبدع له من القدرة والإبداع حظّ كبير<sup>(٢)</sup>. والمفردة، في حقيقة أمرها، تتميز بقدرة على التّلوّن الدّلالي بحسب المقامات والسياقات المختلفة. فهي ذات حيّة وكيان مُتغيّر. والملاحظ، في هذا الصّدّد، هو كثرة المفردات القرآنيّة المستخدمة في الصّحيفة السّجادية. ففي دعاء الإمام (عليه السلام) إجراء لمفردة "الأبصار" في قوله: "الحمد لله الأوّل بلا أوّل كان قبله، والآخِر بلا آخر يكون بعده، الذي قصّرت عن رؤيته أبصار الناظرين"<sup>(٣)</sup>. وقد ورد في الذكر الحكيم

(١) انظر غلامرضا كريمي فرد، الجمالية في الصّحيفة السّجادية، مقال ضمن مجلة العلوم الإنسانيّة، ص ٧٤ وما بعدها.

(٢) انظر رفاة عبد المحسن الفتلاوي، أنواع الاقتباس من القرآن الكريم في أدعية الصّحيفة السّجادية، مجلة الولاية، ١١٢، سنة ٢٠١٨، ص ٤٦، ٤٧.

(٣) الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الصّحيفة السّجادية الكاملة: من أدعية الإمام زين العابدين (عليه السلام)، تقديم سماحة الإمام السيد محمد باقر الصدر، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠١١م، ١٤٢٢م.

قول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(١)</sup>. وإذ يبدأ الإمام أدميته، بالحمد لله، فتلك إحالة صريحة على بداية سورة الفاتحة، فالله صاحب الجلالة الذي من على مخلوقاته بنعيم يعجز المحصي عنها، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>. ولذلك يجنح الإمام (عليه السلام) في كثير من الأحيان إلى الاعتراف بهذا الفضل الإلهي معبراً عن ذلك بصراحة في قوله: اللهم إن أحداً لا يبلغ من شكرك غاية ما حصل عليه من إحسانك ما يلزمه شكراً ولا يبلغ مبلغاً من طاعتك وإن اجتهد إلا كان مقصراً دون استحقاقك بفضلك فأشكر عبادك عاجز عن شكرك وأعبدهم مقصراً عن طاعتك لا يجب لأحد أن يغفر له باستحقاقه ولا أن يرضى عنه باستجابة، ومن غفرت له فبطولك ومن رضيت عنه فبفضلك<sup>(٣)</sup>. وقد جرت استعارة لفظ الشكر من قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾<sup>(٤)</sup>. وأمام تقصير الإنسان عن شكر الله لم يبق أمامه إلا الاعتراف بهذا التقصير أمام فضل الله الواسع البادي في اتساع رحمته التي وسعت عنايه. والأمثلة الدالة على جريان الألفاظ القرآنية في أدعية الصحيفة السجادية عديدة ومتنوعة نكتفي بالإشارة إلى البعض منها من قبيل مهيمن، ونور، والعروة الوثقى، ومحكم الآيات، والمتشابهات، والزئج، والأبرار، وآناء الليل، وأطراف النهار، والإملاق، والرضوان، والشفاعة).

وأما المستوى الثاني من الاستعارة فهو اعتماد التركيب والجملة حفاظاً عن الشكل البنائي للنص المستعار حيث التنصيص الواضح إيضاحاً للمعنى وترصيعاً له. ومن الأمثلة الدالة على ذلك قول الإمام (عليه السلام): "أنت الذي فتحت لعبادك باباً لعفوك وسميته التوبة وجعلت على ذلك الباب دليلاً من وحيك ألا يضلوا عنه. وقلت تبارك

(١) سورة الأنعام، ٦، الآية ١٠٣.

(٢) سورة النحل، ١٦، الآية ١٨.

(٣) الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية الكاملة، م ن، ص ٦٣.

(٤) سورة لقمان، ٣١، الآية ١٢.

اسمك توبوا إلى الله توبة نصوحاً<sup>(١)</sup>.

وغير خافٍ، عن المطالع للصّحيفة السّجّادية أنّها تحتوي على العديد من التّراكيب والعبّارات والجمل التي تُحيل على القيل القرآني الصريح. ومن الأمثلة الدّالة على ذلك نذكر الاعتصام بالحبل، وقيل من راق.....ومن هذا المنطلق يمكن القول إنّ أغلب الأفكار مستلهمة من كتاب الله الكريم. يقول الخميني في هذا الإطار: الصّحيفة السّجّادية الكاملة أنموذج كامل للقرآن الصّاعد ومن أعظم المناجاة العرفانية في حلاوة الأنس التي تعجز أيدينا عن نيل بركاتها. إنّ كتاب إلهي استمد وجوده من معين نور الله ويعلم أصحاب الخلوة الإلهية طريقة سلوك الأولياء العظام والأوصياء الكبار كتاب شريف يوضح أسلوب بيان المعارف الإلهية بأصحاب المعرفة مثلما هو أسلوب القرآن الكريم بعيداً عن تكلف الألفاظ<sup>(٢)</sup>.

إنّ قارئ القرآن يتمثّل مخاطبة الله له. فالشكل الخطابي نازل. وأمّا الدّعاء فيتّخذ اتّجهاً معاكساً إذ يصعد الصوت من الدّاعي إلى ربه في شكل تصاعدي. لذلك عبّرت الصّحيفة السّجّادية عن تانس الدّاعي بقربه من ربه وقرب ربه منه.

إنّ المتأمل في ثنايا الأساليب المبتوثة في الصّحيفة يُلفي على سبيل المثال ضمن الدّعاء الرّابع والعشرين ما يلي: اللهم صلّ على محمد وآله كما شرفتنا به. ففي هذا الاستعمال نجد الاستعارة واضحة حيث حُذف المشبّه به ولكنه مقدّر وشرفتنا يؤوّل بالمصدر لحضور حرف "ما" المصدرية. وعندئذ تصبح الجملة دالة على الاستعمال التّالي: اللهم صلّ على محمد وآله صلاة كتشريفك أيّانا به. وضمن الدّعاء التّاسع والأربعين يورد الإمام (عليه السلام): هب لي يا إلهي من رحمتك ودوام توفيقك ما اتّخذته سلماً. وانظر إلى تشبيهه طلب المغفرة بسلم يُوصله إلى معارج الرّضوان ومعالي القبول. والفائدة من هذا الإجراء بيان حالة الدّاعي التّائب الرّاجع إلى الله بقوة عبر لفظة "سلم"

(١) الصّحيفة السّجّادية، م ن، ص ٨١.

(٢) انظر صحيفة نور، ج ٢١، ص ١٩١.

التي تمت الإشارة إليه في كتاب الله لتزداد العبارة ارتباطاً بالوحي المعجزة بعبارته وأسلوبه.

وفي الدعاء الخمسين قال: **اللهم فصل على محمد وآل محمد وكِد لنا ولا تكد علينا وامكر لنا ولا تمكر بنا**. وهو دعاء يعج بالجناس والطباق والاستعارة. فلفظ **وَإِنْ دَلَّ مَعزُولاً عَلَى أُمُورٍ سَالِبَةٍ فَإِنَّ إِجْرَاءَهُ فِي سِيَاقٍ مَخْصُوصٍ يَتَحَوَّلُ الْمَعْنَى إِلَى الْإِجَابِ بِمَقْتَضَى الْمَعَامَلَةِ بِالْمَثَلِ وَالْمِمَاثَلَةِ طَرِيقَةً تُوصلُ إِلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ**. قال الله تعالى: ﴿ **وَمَكُرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ** ﴾<sup>(١)</sup>. فهي استعارة تبعية جرت في الفعل. وفي الدعاء الثالث عشر نجد العبارة التالية: **إِنَّ يَدَكَ بِالْعَطَايَا أَعْلَى مِنْ كُلِّ يَدٍ**. والمجاز واضح جلي؛ لأنَّ اليد رمز الإرادة والقدرة والاستعارة المكنية واضحة؛ لأنَّ المشبه به محذوف واليد لازم من لوازمه. وهي أيضاً استعارة مطلقة؛ لأنَّ الملاءمة بين المستعار منه والمستعار له غير موضحة بطريقة مباشرة.

إنَّ الاستعارة تُعرض عن المعنى القريب المباشر لتضرب بقوة في المعاني البعيدة، وهو ما يزيد المعاني عمقاً وبعداً. والمهمُّ أنَّ أصناف الاستعارات المختلفة تزداد جمالاً بما في الصحيفة من تشابيه ومجازات ومحسنات بديعية كالجناس والطباق والسجع. وبذلك تجمع الصحيفة السجادية تقاطعات من علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع مجموعة بعضها إلى بعض. وانظر إلى فنَّ الموازنة ثني الصحيفة حيث الموازونات بين عدد المفردات وأنواعها. وهو فنٌّ في تصريف الكلام المتأثر بالأساليب القرآنية. وانظر إلى الدعاء الثامن: **نعوذ بك من سوء السريرة واحتقار الصغيرة وأنَّ يستحوذ علينا الشيطان أو ينكبنا الزمان ويتهضمنا السلطان ونعوذ بك من تناول الإسراف ومن فقدان الكفاف ونعوذ بك من شماتة الأعداء ومن الفقر إلى الأكفاء**. وهو نوع من الازدواج الذي يحدث جرساً موسيقياً مصاحباً للكلام فيكون التأثير في النفس مضاعفاً. فالمعنى النبيل يزداد قبولاً إذا كان في أسلوب جميل. وقد عاضد كل هذه

(١) سورة آل عمران ٣، الآية ٥٤.

التجليات حضور ضروب الموازنة مثل الدعاء السادس والأربعين: "أخّرت وأنت مستطيع للمعالجة، وتأثّيت وأنت مليء بالمبادرة. لم تكن أناتك عجزاً ولا أماهلك وهناً بل لتكون حجتك أبلغ وكرمك أكمل". بالإضافة إلى نظام الفواصل المحبوك بشكل لافت يدل على فصاحة في مستوى الألفاظ وعلى بلاغة في مستوى العبارة "يا من يرحم من لا يرحمه العباد ويا من يقبل من لا تقبله البلاد". فالكلام مزدان ومزركش بالمحسنات الخادمة لحضور الاستعارة كقوله (عليه السلام): "يا من لا تُفني خزائنه المسائل". فالله ذو مخازن توحى بكلّ ما يخطر على البال من مباحج مادية ومعنوية ما لم تر العين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال بشر. وهي طريقة إيحائية تفسح المجال أمام الدّهن للتّخيل.

والاستعارة مخدومة بكلّ هذه المحسنات جناساً وطباقاً ومقابلة ورداً للإعجاز على الصدور. ومثال ذلك قوله: "لا فاتح لما أغلقت ولا مغلق لما فتحت". إنّ الاستعارة هي مركز الاهتمام البلاغي، وكلّ المحسنات الأخرى خادمة لهذا المحور تكثيفاً للتّخيل والتّصور حتّى تصبح المعاني صورة حيّة ومشهداً متحرّكاً وبه تصبح الصّحيفة السّجادية قطعة فنية تفيض بالمعاني والقيم الإنسانية الخالدة.

وقد خدم التّقابل الاستعارة بشكل بارز. واللافت، في هذا الصّدّد، هو أنّ التّقابل الذي يبدو تفريقاً للمعنى، فهو في الأصل عنصر انسجام والتحام. وقد عرف علماء اللّغة أنّ البلاغة تُعرف بها وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة بين المقام والمقال ووضوح الدّلالة. والاستعارة هي رأس الفنّ الكلامي حيث تتجلّى ذروة الاتّصال بين الانسجام والانفصام، الباطن والظّاهر، المعنى المراد والمعنى المُصرّح به. فالدّلالة ثابتة لكنّ أجزاء النّص هي التي تشي بذلك. والمُتلقي هو الذي يُشارك في إنتاج المعنى عبر الرّبط بين أجزاء الكلام المُصرّح بها والمسكوت عنها.

وقد جنح الإمام زين العابدين (عليه السلام) إلى الذّكر والحذف والتّعميم والتّخصيص والإشارة والعبارة، والتّصريح والتّلميح، ما يستتبع وحدة معنوية كلية عمادها الرّجاء في

الاستجابة من الله تعالى رحمة بعباده. وقد بدت المتعة بادية في الإشباع النفسي حيث الغناء الروحي المدعم للكينونة المسكونة بحب الله الرحمن الرحيم<sup>(١)</sup>.

إن اللغة أداة خطيرة؛ لأنها تُعبّر عن حدود الوجود بأسره. ومن ذلك بدت الصحيفة السجادية مثقلة بالاستعارات والمحسنات تعبيراً عن نفس كبيرة وعقل راجح يسبر أغوار الحياة عبر اتّسع التجارب والخبرة بمعادن الناس. وقد بدا جدل النور والظلام، والعدل والظلم، والحرية والاستعباد مُعبّراً عن تناقضات الواقع المعيش الذي كان بحر الفتن فيه يتلاطم، فلا عجب أن يُستخدم التّضاد والطباق والمقابلة من أجل كشف الغطاء عن سوءات هذا الواقع المعيش.

وإذا كانت المعاني الواردة في الصحيفة تدور في أغلبها على المعاني القرآنية فإن طريقة الأداء اللغوي هي الحاملة لبصمات المبدع الصادع برأيه. ومن هنا المنطلق نشأ الأسلوب الذي يعرف بكونه معادلاً للإنسان ومفاده أن كل فرد له أسلوبه المميّز. وقد بدا المعجم والعبارة والأسلوب، ضمن الصحيفة السجادية في تآلف كبير دل على القدرة القولية لدى الإمام (عليه السلام) إذ تحوّل الدعاء إلى شيء آخر من منظور الدراسة الأسلوبية. فما الدعاء إلا شكل ولكنه يتضمّن محتويات عديدة. وإذا كانت اللغة مفروضة من الخارج على الفرد المتكلم فإن الأسلوب مجموعة إمكانات توفرها اللغة يستخدمها الكاتب أحسن استخدام لإخراج المعنى المراد في أحسن ثوب<sup>(٢)</sup>.

هذه الرسالة التي تضمّ (٥٤) دعاءً، تمثّل ذخيرة من الحكمة ومنجما من المعارف الروحية ومدونة سلوكية مهمة.

### (٣) المنهج

(١) انظر أحمد الطرفي ، في دراسة علم البلاغة في صحيفة الإمام السجاد، مقال منشور في دار السيدة رقية للقرآن الكريم بالموقع الإلكتروني التالي: [www.rugayah.ne](http://www.rugayah.ne)  
(٢) انظر ريمون طحان، الأدب المقارن والأدب العام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، سنة ١٩٧٢، ص١١٦ وما بعدها.

كان المنهج في المثلّ السابقة عن الإسلام يتميّز بانفصاله عن المضامين الإيمانية والتّصوّرات إزاء الوجود، ولكنّ الدّين الإسلاميّ مع خاتم الأنبياء انطبع بالتّضام بين الرّسالة والمنهج. فكان الدّالّ في هذا الدّين من جنس دليّله. وقد فاضّ هذا التّضام على الدّعاة والمصلحين بشكل جعلهم يتمثّلون هذا المنهج ويقدمونه في أفكارهم أداة في الإقناع في المستوى النّظري، وطريقة في تطوير واقع النّاس نحو الأفضل في المستوى العملي. ذلك هو الشّأن مع الإمام زين العابدين (عليه السلام) وقد رسم في الصّحيفة السّجّادية معالم منهج يستلهم المعنى الكلّي الثّاوي في كتاب الله وعماده الاتّصاف بالتقوى الّتي هي ثمرة طبيعيّة لشجرة العلم والعقل والحلم والتّفكّر والتّذكّر والحكمة، قال تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١).

إنّ الدّعاء، في الصّحيفة السّجّادية، يحتوي على معالم المنهج الأوفى الّذي يرتضيه الإمام (عليه السلام) في ضوء المعاني القرآنيّة ما يجعل هذا المنهج يتّسم بالربّانية والقوامة الإلهية على الخاضعين لأوامر الله ونواهيه. يقول (عليه السلام): "ولا ملاذ يُلجأ إليه منك فهذا مقام العائد ومحلّ المعترف فلا يضيّق عني فضلك ولا يقصرن دوني عفوك ولا أكن أخيب عبادك التائبين ولا أقنط وفودك الآملين" (٢). فالإنسان الكامل المتبع لمنهج الّذي رسمه الله تعالى في كتابه هو الّذي يقف عند المحارم تهيّباً من الحضرة الإلهية وقوفاً بباب الله بنفس خاشعة حذرة مراقبة لحدود الله. وهذه النّفس المعترفة بالتقصير والذنب إذا دعت فإنّ إمكانيّة الاستجابة أوفر حظاً وأكثر نصيباً اللهم ارحمني... أتضرّع إليك في أن تسهل إليّ رزقي سبيلاً فلك الحمد على ازديادك بالنعمة الحسام

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٢) انظر السيّد علي خان المدنيّ الشيرازي، رياض السالكين في شرح صحيفه السّاجدين (٢)، تحقيق السيّد محسن الحسينيّ الأميني، ج ٥، مؤسسة النّشر الإسلامي، ط ٨، سنة ١٤٣٥هـ، شرح الروضة الثّانية والثلاثين، ص ٦.

وإلهامك الشكر على الإحسان والإنعام<sup>(١)</sup>.

إنّ الداعي الذي يحذر من النّار التي نورها ظلمة ولهيبها أليم وبعيدها قريب يأكل بعضها بعضاً ويصول بعضها على بعض. نار تذر العظام رميماً وتُسقي أهلها حميماً، لا تُبقي على من تضرّع إليها ولا ترحم من استعطفها ولا تقدر على التخفيف عمّن خشع لها واستسلم إليها. يدعو النّفس التائبة العائدة إلى ربّها إلى الاحتماء بالله "لا تخذلني يا خير المجبرين"<sup>(٢)</sup>. فالله هو الخالق الذي هو على كلّ شيء قدير.

### الخاتمة

لقد حاولت هذه الدّراسة الوقوف على أهمية الصّحيفة السّجادية للإمام زين العابدين (عليه السلام) من خلال الأسلوب الذي انتهجته في إخراج الدّعاء. فكانت أساليب البيان أسطع المظاهر البارزة في الصّحيفة. وقد كانت هذه الجوانب مادّة خصبة للأدوات اللّسانية الحديثة. فالنّص مليء بالظواهر البلاغية في شتى مجالاتها وهو ما ميّز الجوانب الشّكلية في الصّحيفة وهو جانب يتساوق مع المعجزة التي جاءت بها الرّسالة الخاتمة مع النّبي محمّد (ﷺ) حيث كانت اللّغة شاهدة على القدرة على الفصل بين الدّال والمدلول.

إنّ سحر اللّغة مفارق للإعجاز المادّي الذي كان في الرّسالات السابقة. فاللّغة بحر فياض بالمعاني المتجددة عبر الأمكنة والأزمنة المتغيرة ولا سيّما إذا كان الأسلوب إشارياً ورمزياً فهو سبيل الفهم وإعادة الفهم والتّأويل وإعادة التّأويل وذلك هو دأب الأنظمة الرّمزية مستودع المعارف والعلوم. وعليه، فإنّ الفهم المتجدّد هو الأداة المثلى التي تبثّ الحياة المتجدّدة في أوصال النّص. وهكذا تتجلّى المفاضلة بين النّصوص، إذ النّص القابل لتجدّد الفهم هو النّص المفتوح المكتنز بالأساليب المسبوكة المسكونة بالدلالة، وذلك هو عربون الدّيمومة والاستمرار في الحياة.

(١) السيّد علي خان المدنيّ الشيرازي، م ن، ص ٨.

(٢) السيّد علي خان المدنيّ الشيرازي، م ن، ص ٩.

## قائمة المصادر والمراجع

### (١) مدونة البحث

\*الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية الكاملة: من أدعية الإمام زين العابدين (عليه السلام)، تقديم سماحة الإمام السيد محمد باقر الصدر، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

### (٢) المصادر

- القرآن الكريم
- الجرجاني عبد القاهر:
- دلائل الإعجاز، تحقيق عبد المنعم خفاجي، ط١، القاهرة، ١٩٦٩.
- أسرار البلاغة، تحقيق عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ١٩٧٢.
- الرسالة الشافية، وهي رسالة ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، نسخة حسين حلي، مخطوطات الجامعة العربية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة القاهرة، ط٣، ١٩٩٢.
- الجرجاني الشريف علي بن محمد السيد، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د ت.

### (٣) المراجع

- الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، الطبعة الثانية عشرة، بيروت، د ت.
- الأصفهاني الراغب، المفردات في غريب القرآن، الطبعة الثانية، دفتر نشر الكتاب طهران، ١٤٠٤ هـ.
- مدير شانه جي، كاظم، الصحيفة السجادية، مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة

الأولى، مشهد، ١٣٧١.

• أوسط خانجاتي، فخامة التعبير والصحيفة السجادية، المطبوعة في مجلة أندشيه ديني، مقال ضمن مجلة الفكر الديني، مجلة فصلية، جامعة الشيراز، صيف ١٣٨٤هـ، العدد ١٥.

• محمد حسين الشيرازي، شرح الصحيفة السجادية، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط ٥، طبعة مزيده ومنقحة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

• الطريحي هادي عباس، المضامين التربوية في الصحيفة السجادية، مقال منشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، فصلية، العراق، سنة ٢٠١٧.

• الجلالي محمد حسين، دراسة حول الصحيفة السجادية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠.

• الطرفي أحمد، في دراسة علم البلاغة في صحيفة الإمام السجاد، مقال منشور في دار السيدة رقية للقرآن الكريم بالموقع الإلكتروني التالي: [www.ruqayah.net](http://www.ruqayah.net).

• مجيد محمدي بايزيدي وعيسى متقي زاده وعلي رضا محمد رضايي، التقابل في الصحيفة السجادية وأثره في الانسجام، مقال منشور في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية، ع ١٥، سنة ٢٠١٣.

• خاني حاجي علي ومديري سمية، الموازنة بين نهج البلاغة والصحيفة السجادية على أساس الأسلوبية الإحصائية، آفاق الحضارة الإسلامية، ع ٢٤، السنة ٢٢، سنة ١٤٤١هـ.

• عاشور علي وحسين هدي، الطباقي في الصحيفة السجادية، مجلة أهل البيت (عليه السلام)، ع ١٢٤، دت.



# المغالطات الاستشراقية في مآثر الثورة الحسينية (فلهاوزن أنموذجاً)

أ.د. صابرين زغلول السيد(\*)

[sabreenzaghoul1968@yahoo.com](mailto:sabreenzaghoul1968@yahoo.com)

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٩/٢٥ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١٠/٢ تاريخ النشر: ٢٠٢٤/١/٣٠

## **Orientalist Fallacies in the Feats of the Hussein Revolution (Welhausen as a Model)**

**Dr. Sabreen Zaghoul Alsayed<sup>(\*)</sup>**

Receipt date:25/9/2023 Accepted date: 2/10/2023 Publication date:30/1/2024

### **Introduction:**

Islam has been of interest to the West throughout the different periods of history, up to the present time, where orientalists<sup>(1)</sup> have

---

(\*) صابرين زغلول السيد / أستاذ فلسفة الدين / جامعة عين شمس .

(\*) Dr. Sabreen Zaghoul Alsayed Professor of Philosophy of Religion, Ain Shams University.

(1) Orientalism is a Western school of thought that emerged in the eighteenth and nineteenth centuries that included the study of languages,

targeted Islam from all sides according to their own goals and mental level, some of them possessed a great deal of moral values, so they showed a sincere and neutral desire for knowledge and true respect for the peoples of the East, sometimes amounting to reverence, so they did justice to Islam and its noble Prophet. Their writings were objective, towards Islamic teachings, and some of them had an orientalist discourse stemming from an ideological agenda for a funded project to destroy Islam and its history, directly or indirectly, deliberately or unintentionally, to replace it with Westernization through which Western values and principles were spread to obliterate the Islamic and Arab identity, so their writings were full of many explanations and interpretations that are not based on fixed facts, or documented narratives, so they became followers and agents of Western imperialist policies to implement their plans and broadcast their intrigues and poisons in the name of scientific research, knowledge and freedom of criticism. to influence those with weak souls who desire worldly material pleasures.

The writings of the German orientalist Julius Wellhausen (1488-1918)

---

literature, religions, philosophies, history, art, and the laws of Asian and Eastern societies, especially the ancient ones. Recently, Through the work of the Palestinian-American scholar Edward Said, the term was used to refer to the simplistic and stereotypical and derogatory concepts of Arab and Asian cultures in general espoused by Western scholars. See the Encyclopedia Britannica at:

<https://www.britannica.com/science/Orientalism-cultural-field>

**Julius Wellhausen**,<sup>(1)</sup> is one of the paid weapons that have a major role in spreading suspicions and false fallacies as a kind of cold war by mixing papers on people to falsify facts and spread misconceptions and work to spread them, as he tried to explore the depths of the revolution of Imam Hussein (peace be upon him) to make it an entrance to the dissemination of His claims, and his escapes, was for his martyrdom and companions (peace be upon them) in Karbala one of the important axes that knocked on the doors of his orientalist system, as he tried to detract from his status and his holy revolution through sources, novels and hadiths prove his point of view unilateral, according to what he wants to prove and the preconceived results he prepared which is confiscated on the required, he claimed a number of suspicions loaded with fallacies, detracting from the value of his revolution and martyrdom blessed by God (Almighty) In this research, I will present the systematic logical fallacies that permeated the writings of Wallhausen, in order to challenge the family of the house and Imam Hussein (peace be upon them) and the researcher tried to limit these fallacies through the position of Wallhausen of the Umayyads and then his position on the family of the house and Imam Hussein (peace be

---

(1) Julius Flhausen was born in Hamellen in northern Germany on May 17, 1844. Wielhausen received his doctorate in theology in 1870 and in 1872 a professorship in Greifswald on the Baltic Sea. Resigned (1882); Because he believed that his teachings had a disastrous impact on theological students heading to ministry, and because he became a controversial figure about his published views on the Old Testament.

Beginning in 1892, he devoted his time to writing a collection of essays, monographs, and books on the complete interpretation of early Islam. Wallhausen spent more than 20 years writing the early stages of Islamic history. Among his most important works on Arabs and Islam are the following: Muhammad in Medina (1882), translated by Magzai Al-Waqidi, The Book of Religious Political Opposition Parties in the Early Hours of Islam (Kharijites and Shiites) translated by Abd al-Rahman Badawi and the book (The History of the Arab State from the Emergence of Islam to the End of the Umayyad Dynasty) translated into Arabic by Muhammad Abd al-Hadi Abu Rida

upon them).

### مقدمة:

يعد الاستشراق<sup>(١)</sup> أحد أهم القضايا المثيرة للجدل في الساحة الإسلامية والعربية، لاسيما بعد أن وجه المستشرقون أهدافهم إلى الدين، فقد كان الإسلام موضع اهتمام للغرب عبر حقب التاريخ المختلفة، وصولاً إلى وقتنا الحالي، حيث استهدف المستشرقون الإسلام من جميع الجهات وفقاً لأهدافهم الخاصة ومستواهم العقلي، فمنهم من امتلك قدراً كبيراً من القيم الأخلاقية، فأظهروا رغبة صادقة محايدة في المعرفة والاحترام الحقيقي لشعوب الشرق، يصل أحياناً إلى التبجيل فأنصفوا الإسلام ورسوله الكريم وجاءت كتاباتهم موضوعية، تجاه التعاليم الإسلامية، ومنهم من كان خطابه الاستشراقي ينبع من أجندة مؤدلجة لمشروع ممول لهدم الإسلام وتاريخه بصورة مباشرة أو غير مباشرة متعمدين أو غير متعمدين ليحلوا محلها تغريباً ينشر من خلاله القيم والمبادئ الغربية لطمس الهوية الإسلامية والعربية، فجاءت كتاباتهم مليئة بكثير من الشطحات والتفسيرات التي لا تستند إلى وقائع ثابتة، أو روايات موثقة، فأصبحوا تابعين ووكلاء لسياسات الإمبريالية الغربية لتنفيذ خططهم وبث دسائسهم وسمومهم باسم البحث العلمي والمعرفة وحرية النقد، ليؤثروا بها على أصحاب النفوس الضعيفة ممن يرغبون المتع المادية الدنيوية.

(١) الاستشراق مدرسة فكرية غربية ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر شمل دراسة اللغات والآداب والأديان والفلسفات والتاريخ والفن وقوانين المجتمعات الآسيوية، والشرقية، وخاصة القديمة منها، وقد بدأ من خلال مجموعة من الإداريين والعلماء الاستعماريين البريطانيين الذين جادلوا بأن الهند يجب أن تحكم وفقاً لتقاليدهم وقوانينهم، وفي منتصف القرن العشرين، بدأ المستشرقون في تفضيل مصطلح الدراسات الآسيوية لوصف عملهم، في محاولة لإبعاده عن الاتحادات الاستعمارية الجديدة للاستشراق. في الآونة الأخيرة، من خلال عمل الباحث الأمريكي الفلسطيني إدوارد سعيد، تم استخدام المصطلح للإشارة إلى المفاهيم التبسيطية والنمطية والمهينة للثقافات العربية والآسيوية بشكل عام التي يتبناها العلماء الغربيون. راجع الموسوعة البريطانية على الرابط :

وتُعد كتابات المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن (١٤٨٨ - ١٩١٨) **Julius Wellhausen** <sup>(١)</sup> أحد الأسلحة المأجورة التي لها دور كبير في نشر الشبهات والمغالطات الكاذبة كنوع من الحرب الباردة بخلط الأوراق على الناس لتزييف الحقائق وإشاعة المفاهيم المغلوطة والعمل على انتشارها، حيث حاول سبر أغوار ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) لجعلها مدخلاً لنشر إدعاءته، وفرياته، فكان لاستشهادته وصحبه (عليهم السلام) في كربلاء أحد المحاور المهمة التي طرقت أبواب منظومته الاستشراقية، إذ حاول أن ينتقص من مكانته وثورته المقدسة من خلال مصادر وروايات وأحاديث تثبت وجهة نظره أحادية الجانب، وفقاً لما يريد إثباته وما أعده من نتائج مسبقة وهو مصادرة على المطلوب، فادعى عدداً من الشبهات المحملة بالمغالطات، تنتقص من قدر ثورته واستشهادته المباركين من الله، وفي هذا البحث سأعرض للمغالطات المنطقية الممنهجة التي تخللت كتابات فلهاوزن، من أجل الطعن في آل البيت والإمام الحسين (عليهم السلام) وحاولت الباحثة حصر هذه المغالطات من خلال موقف فلهاوزن من الأمويين (عليهم السلام) وموقفه من آل البيت والإمام الحسين (عليهم السلام).

### موقف فلهاوزن من الأمويين (مغالطة الانحياز التأكيدي)

بدأ فلهاوزن كتاباته عن الثورة الحسينية المباركة بالانحياز للأمويين وتلميع صورتهم أمام القارئ والبعد بهم عن ما يسيء إليهم، فأخذ يصب إعجابه بهم، وعلى وجه

(١) ولد يوليوس فلهاوزن في مدينة هاميلن شمال ألمانيا في (١٧ مايو ١٨٤٤). حصل ويلهاوزن على درجة الدكتوراه في اللاهوت عام (١٨٧٠)، ثم حصل في عام (١٨٧٢)، على درجة الأستاذية في جرايفسفالد الواقعة على بحر البلطيق. استقال في عام (١٨٨٢)؛ لأنه كان يعتقد أن تعاليمه كان لها تأثير وخيم على الطلاب اللاهوتيين المتجهين للخدمة، ولأنه أصبح شخصية مثيرة للجدل حول وجهات نظره المنشورة حول العهد القديم.

بداية من عام ١٨٩٢، كرس وقته لكتابة مجموعة من المقالات والدراسات والكتب حول التفسير الكامل للإسلام المبكر. أمضى فلهاوزن أكثر من (٢٠) عاماً في كتابة المراحل الأولى من التاريخ الإسلامي. من أهم أعماله عن العرب والإسلام ما يلي: محمد في المدينة (١٨٨٢)، ترجمة لمغزاي الواقدي، كتاب أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة) ترجمة عبد الرحمن بدوي وكتاب (كتاب تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية) نقله للعربية محمد عبد الهادي أبو ريذة.

الخصوص بمعاوية، مؤيداً تصرفاته وممتدحاً لصفاته فيقول عنه أنه: " لا يدع الزمام يخرج من يده، وكان يعرف كيف يهذب من يمنحهم شيئاً من الحرية وكانت لا تغضبه خشونة الناس ولا ظهورهم بالانفعال المُشرف وكانت شيمته هي شيمة السيد العربي" <sup>(١)</sup> ثم يصفه بأنه السيد الحلِيم ذو السن <sup>(٢)</sup>.

وحتى يبعد أي شبهة أو إساءة عن معاوية، كان فلهاوزن يصدر أحكامه على كل الروايات التي تكشف الوجه الحقيقي لمعاوية، واستخدامه للقوة والإرهاب كي يخضع خصمة، فيصفها بأنها " مصنوعة صنعا ماهرا" <sup>(٣)</sup>، ويراها أشبه بالمناظر " المسرحية التي قد زيّت بها القصة لتجعلها أقرب إلى التصديق" <sup>(٤)</sup>.

وهذه مغالطة تؤكد انحياز فلهاوزن إلى الجانب الأموي، متغافلاً ما ارتكبه معاوية من أفعال في حق آل البيت، أدت إلى قلب الحياة الدينية والسياسية وتحويل المسار الإسلامي عن وجهته الفعلية.

من أجل ذلك عمل فلهاوزن على تجميع الكلمات، كي تتوافق مع ميوله من أجل إنصاف معاوية فجعل كفة الميزان تتأرجح يمينا وشمالا لصالحه، فكانت جميع أفعال معاوية كما يرى فلهاوزن محمودة، بل كان يتصدى لكل رواية من شأنها أن تسيء لمعاوية وأعوانه، فتذكر الروايات أن معاوية ذهب إلى مكة على رأس ألف فارس مسلحين كي يأخذ البيعة ليزيد؛ ولأن هذه الرواية تظهر معاوية بصفة المغتصب للسلطة بالإكراه، فقد عمل فلهاوزن على نفيها وإنكارها بدعوى أن هذه الرواية أو هذا " الحادث الجوهرى الطريف ... مجهول تماماً في الروايات القديمة" <sup>(٥)</sup> والأنكى من

(١) يوليوس فلهاوزن : (تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية)، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، ط٢، الناشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨ ص ١٣٢

(٢) المصدر السابق : ص ١٣٩

(٣) المصدر السابق : ص ١٣٨

(٤) المصدر السابق : ص ١٣٨

(٥) المصدر السابق : ص ١٣٨

ذلك أن يصدر حكمه بأن مثل هذه الرويات من النكات والطرائف، بل هو قول " أبعد ما يكون عن الإمكان <sup>(١)</sup>، ثم يذكر في موضع آخر، أن معاوية ويزيد كانا لهما الحق في استخدامها للقوة لأنهم يصطدمون بمعارضة خفية وسافرة، فلم يستطيعوا أن يحافظوا على سيادتهم إلا بالقوة <sup>(٢)</sup>، والمعروف في علم أصول الجدل أن خير ما ترد به على الخصم هو الرد من قواعد مذهبه، وهنا ووفقاً لتلك القاعدة التي لا تخفى عن أحد نستطيع إظهار التناقض الواضح في آراء فلهاوزن، فمن جهة يمدح فلهاوزن معاوية ويصفه بأنه يمتلك شيمة السيد العربي، وبأنه السيد الحليم ذو السن، ومن جهة أخرى، يكتب فلهاوزن عن معاوية أحداثاً تنبثق من خلالها صفات الغدر والخيانة والطمع التي تعكس الدلالات والإيحاءات التي، فيروي فلهاوزن أن عبد الرحمن بن خالد كان على خلاف مع معاوية، " وكان له نفوذ كبير مستقل بذاته فخافه معاوية وخشي على نفسه منه، فأمر معاوية الطبيب النصراني ابن أثال أن يحتال في قتله؛ وضمن له، إن هو فعل ذلك، أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يوليه جباية خراج حمص، ففس ابن أثال لعبد الرحمن شربةً مسمومة، فشربها فمات <sup>(٣)</sup>.

كذلك يكتب فلهاوزن أنه بعد انتهاء التحكيم كان معاوية يرجو أن يظهر على مصر، فيظهر على حرب علي، لعظم خراجها <sup>(٤)</sup> كذلك أكد فلهاوزن أن معاوية كي يستولي على الحكم فقد أعد " خطته زماناً طويلاً في نفسه، وحاول في أواخر حياته تنفيذها <sup>(٥)</sup>.

ونتساءل من شيمة السيد العربي الغدر وإضمار الشرور للأخرين والتربص بهم والتعاون مع غير المسلمين على قتلهم ؟ وهل من شيم السيد العربي الحرص على المال

(١) المصدر السابق : ص ١٤٠

(٢) يوليوس فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية : ص ٥٧

(٣) المصدر السابق : ص ١٣١

(٤) المصدر السابق : ٩٢

(٥) المصدر السابق : ١٣٩

## والطمع ؟

إن الحقيقة هي ما ذكرها عبد القادر عودة ناصحة واضحة: " أقام معاوية أمر الأمة الإسلامية على المحجّات والظلم وإهدار الحقوق، وقضى على الشورى وعطل قول الله تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ وحوّل الحكم العادل النظيف إلى حكم قذّر قائم على الأهواء والشهوات، ووجه الناس إلى النفاق والذلة والصغار، ولا شك في أن كل من جاءوا بعده إلى عصرنا هذا قد عمل بسنته وتثبتوا ببدعته"<sup>(١)</sup>.

لقد بعد معاوية عن شيمة السيد العربي، في نقض الوعود والمواثيق وأخذ ما ليس له بالعنف والدسائس والوقيعه بين المسلمين، فقد كان من أهم شروط معاهدة الصلح بين معاوية والإمام الحسن (عليه السلام) " أن يكون الأمر للحسن (عليه السلام) من بعده، فإن حدث به حدث فلاخيه الحسين وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد"<sup>(٢)</sup> إلا أن معاوية أبى أن يوفي بعهد من أجل المال والسلطة، فعقد خطته وسخر لها كل وسائل الغش والخداع، فعزم على اختيار يزيد خليفة بعده. وتحويل الحكم من الأمر بالشورى إلى حكم وراثي لصالح ابنه وعشيرته دون النظر لصالح الدين والمسلمين.

إن فلهاوزن بنفسه يعترف بعدم أحقية يزيد بالحكم، ويرى طبقاً للإسلام أن الحسين وبعض أبناء كبار الصحابة هم الأحق فيقول " ولما كان الاعتراض آتياً من قبل أبناء كبار الصحابة خاصة، الحسين بن علي (عليه السلام) وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير إلا أن معاوية لم يتراجع عما أراد"<sup>(٣)</sup> من أجل ذلك ذكر معاوية: " فضل يزيد وصفاته وعلمه بالسياسة وعرض بيعته "<sup>(٤)</sup> وبحسب رأي

(١) عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا السياسية، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤ ص ١٥٩.

(٢) الأسعد بن علي : صلح الإمام الحسن (عليه السلام) من منظور آخر، دار التآخي للطباعة و النشر و التوزيع ص ٥٠.

(٣) يوليوس فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية : ص ١٣٨

(٤) المصدر السابق : ص ١٣٨

فلهاوزن لم يجد معاوية " نَفْعاً عند الأشخاص الذين كان الحصول على موافقتهم وبيعتهم أهم ما في الأمر، ذلك لأنهم، بحسب الإسلام، كانوا أحق بالخلافة من يزيد. أما ما عدا ذلك فليس بمقبول قط (١).

وهذا تناقض واضح في آراء فلهاوزن، يكشف به أصحاب العقول مساراً عكسياً لأراء فلهاوزن وحقيقة معاوية التي أراد أن يزينها للقارئ، وبدلاً من أن تكون روايات الإساءة لمعاوية وبنو أمية مصنوعة صنفاً، وعلى غرار ماسبق كان تبرير فلهاوزن لمبدأ القوة والعنف لمعاوية ويزيد للحفاظ على سيادتهم، وفي هذه المسألة تناقض آخر؛ لأن مقدماته وانحيازه خاطئ وبالتالي جاءت أحكامه متناقضة و خاطئة، فوصفه للمعارضة الموجهة لمعاوية ويزيد بأنها خفية سافرة، فهذا انحياز آخر وافتراء؛ لأن المعارضة ضد الأمويين لا سيما من آل البيت كانت واضحة وضوح الشمس، وإلا كيف نفسر الحروب التي خاضها الإمام علي (عليه السلام) ؟ وكيف نفسر معاهدة السلام بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية من أجل حقن دم المسلمين ؟ وكيف نفسر خروج الإمام الحسين (عليه السلام) وكان معه نساء بيته وأبناء عمومته لمواجهةهم في كربلاء ؟

فأي جهر أكثر من ذلك حيث ثاروا في طريق معلوم يشهده القاصي والداني، بل لم يجروا يزيد على قتالهم إلا عندما علم تمام العلم أنه يسير في أرض مكشوفة ظاهراً بمن معه أمام الناس قاطبة.

أيضاً نتساءل لماذا يرفض فلهاوزن المعارضة ضد معاوية ويزيد ويبررها ثم يصف هذه المعارضة بالسافرة، كيف تكون سافرة ؟

لقد عمل آل البيت جميعاً (عليهم السلام) في الحفاظ على الدين وعدم هلاك الأمة، لذا فلم كل الحق في المعارضة وفقاً لأمر النبي، فهو أفضل الجهاد كما نطق به الذي لا ينطق عن الهوى، فقد ورد عن النبي (ﷺ) أنه سئل " أيُّ الجهادِ أفضلُ قال كلمةٌ حقٌّ عند

(١) المصدر السابق : ص ١٤٠، ١٣٩

سلطانٍ جائرٍ" (١).

فلم يخرج آل البيت عن المنهج النبوي في معارضتهم للأمويين، بل يعد ذلك أفضل الجهاد، أما رأي فلهاوزن بأن معارضتهم خفية وسافرة فهذا يعد فكراً ديكتاتورياً لا يتماشى مع إمبرياليته التي يدعي، وكأنه يريد من كل مواطن مسلم ألا يكون له إرادة حرة يطالب فيها بحقه وحق الأمة، وعلى ذلك نستنتج أن فلهاوزن مناهض للحرية ومعضد لقمع الرأي وذلك ما لا يفهمه في منهج آل البيت الحقوقي الذين رأوا أن الإسلام قد كفل حقوق الإنسان في التعبير عن رؤية مع الحفاظ على عرضه وماله ودمه، وهذه كانت من مبادئ الثورة الحسينية التي قامت على أصول الدين الإسلامي والتي لم يفهما فلهاوزن ولم يعقلها.

### ثانياً: موقف فلهاوزن من آل البيت (عليه السلام) مغالطة (الفكر التشبيهي الزائف) (٢)

على الرغم من اعتراف فلهاوزن بأن "علاقة معاوية بأشراف المسلمين وبيت الرسول، وبآل الصحابة الأولين وبالأنصار أيضاً،.. علاقة ربيبة وعداوة" (٣) إلا أنه حاول من خلال أنولوجيا زائفة، إلصاق التهم والمقاربات الزائفة التي لا تليق بآل البيت (عليه السلام)، كمعصومين، اصطفاهم الله عز وجل، وخصهم بنعم إلهية، دون سائر العباد، حيث ربط فلهاوزن في الفصل الثاني من تاريخ الدول العربية بين الإمام علي (عليه السلام) والحرب الأهلية وكأنه (عليه السلام) هو من أشعلها، فجاء الفصل الثاني من الكتاب تحت عنوان علي والحرب الأهلية (٤).

مؤكداً بقوله أنه بعد موت الإمام علي "انتهت بذلك الحرب الأهلية" (٥). وقد اتخذ مرجعيته في ذلك رواية الطبري والمدائني، حيث أخذ يقارن بين موقف الإمام علي (عليه السلام)

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤٤) واللفظ له، والترمذي (٢١٧٤)، وابن ماجه (٤٠١١)

(٢) هي نوع من مغالطة الأنولوجيا الزائفة

(٣) يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية: ص ١٣١

(٤) المصدر السابق: ص ٧٠

(٥) المصدر السابق: ص ٥٧

وموقف معاوية، مرجحاً كفة معاوية وميله للسلام في حين أن ميل الإمام علي (عليه السلام) كان للحرب، فيقول كان معاوية " سياسياً بطبعه، ولم يكن متعجلاً ولا متلهفاً على محاربة أهل العراق " (١) ثم يوحى فلهاوزن للقارئ بأن الإمام علي (عليه السلام) هو المشعل للحرب و أن الخلافة ليس من حقه وكان أمر الخلافة حق ذاتي اغتصبه الإمام لنفسه دون وجه حق فيقول: " كان علي هو المهاجم، وكان يعتبر نفسه صاحب الحق في الخلافة " (٢).

مسترسلاً في مغالطاته بقوله " أما علي فقد كان لاصقاً به أن مصدر خلافته يرجع إلى الثورة، ولم يكن لديه لا الزمن الكافي ولا المقدرة على التغلب على هذا النقص بصفات شخصية ممتازة " (٣) كذلك كان يقارب بين الإمام علي (عليه السلام) وبين الطوائف الخارجة عن الملة كالخوارج فيقول: " بعد أن انتهى التحكيم كما تنتهي المهزلة، شعر علي أن له الحق في أن يستأنف القتال مع أهل الشام، فجمع جيشه في معسكر النخيلة، ودعا الخوارج أيضاً للانضمام إليه، لكنهم لم يستجيبوا لدعوته، وطالبوه بأن يشهد على نفسه بالكفر ... فاضطر علي أن يستجيب لإلحاحهم، وحاول عبثاً، أن يقنع الخوارج بأن يدفعوا إليه القتلة، كما حاول هو [ورجاله] عبثاً أن يبين لهم أنه وإياهم في الحقيقة غير مختلفين " (٤).

وقد اعتمد فلهاوزن في هذه الرواية على الطبري، فأخذ ما يروق له، وتغافل عن ما يخالف هواه و ميوله، بما في ذلك - خلافة الإمام علي - فلم يقف فلهاوزن على باقي رواية الطبري، في ولاية الإمام علي ومدى الحاح المسلمين عليه ليتولى أمرهم، فيذكر الطبري أنه: " سأل علياً أصحاب رسول الله (ﷺ) أن يتقلد لهم والمسلمين، فأبى عليهم؛

(١) المصدر السابق : ص ٧١

(٢) المصدر السابق : ص ٧١

(٣) المصدر السابق : ص ٥٧

(٤) المصدر السابق : ص ٧٩

فلما أبوا عليه، وطلبوا إليه، تقلد ذلك لهم<sup>(١)</sup> وهذا أمر بعيد كل البعد عن ما حاول فلهاوزن التلويح به من طمع الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة أو أن الأمر كان ذاتياً بالنسبة له، إن الخلافة التي قبلها الإمام (عليه السلام) هي حق يؤيده الشرع له من الله كما أنه حق باختيار المسلمين له، كذلك ما يشير إليه فلهاوزن من رغبة الإمام (عليه السلام) بالحرب وميل معاوية إلى السلام، هو أمر فيه مغالطة كبيرة أيضاً، فالتاريخ يثبت بالأدلة القاطعة ما فعله الأمويون في إشعال نيران الحرب والفتنة بين المسلمين بحجة الثأر لعثمان، والنية مستترة في الاستيلاء على السلطة والأمور الدنيوية، وفي رواية أبي مخنف الذي اعتمد عليه الطبري واعتمدا عليهما فلهاوزن يذكر ميول الإمام علي إلى السلام لحقن دماء المسلمين وإصرار معاوية في إشعال نار الحرب، فيذكر الطبري أن علياً (عليه السلام) أراد حقن دماء المسلمين وإنهاء الحرب بالصلح، فبعث رسله إلى معاوية فقالوا: "أما بعد، فإننا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا، ويحقن به الدماء، ويؤمن به السبل، ويصلح به ذات البين."<sup>(٢)</sup> فكان رد معاوية: "هيهات.. لا كلا والله إني لابن حرب"<sup>(٣)</sup> لقد حاول فلهاوزن طمس الحقيقة وإخفاءها بنشر الشبهات والأكاذيب التي تظهر من خلال المؤرخين أنفسهم الذين يعتمد عليهم، وبالمثل محاولته في الربط بين الإمام (عليه السلام) وبين الخوارج، حيث ينجلي للقارئ تناقضه ومغالطاته الواضحة، فكيف يطالب الخوارج الإمام علياً (عليه السلام) أن يشهد لهم؟ وكيف يشهد لهم الإمام وهم المارقون عن الملة؟، كذلك كيف يطالبهم الإمام (عليه السلام) بالنصرة له، وإراقة دم المسلمين؟ إن هذا لتناقض لا يقبله أصحاب العقول ممن يعلمون جيداً ما كان عليه الإمام (عليه السلام) من عصمة وقداصة وهبت له من رب العالمين، وما تلك الرواية الال للنيل بخبث من شخص الإمام علي كأمير للمؤمنين، وخليفة للمسلمين، فكأنما أراد فلهاوزن النيل من الإسلام ملخصاً في شخص الإمام، لقد سرد فلهاوزن روايته ليشكك القارئ ذا النفس

(١) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري= تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، نشر دار التراث، بيروت،

الطبعة الثانية ص ٤٢٧

(٢) المرجع السابق: ج ٥، ص ٥

(٣) المرجع السابق: ج ٥، ص ٥

الضعيفة في عصمة الإمام (عليه السلام) وإظهاره في صورة المراءوغ ولو على حساب دينه، فكيف للإمام علي (عليه السلام) أن يظهر للخوارج بأنه غير مختلف معهم.

لقد اعتمد فلهاوزن في هذه الرواية على كتاب السيرة النبوية لابن هشام، ولو عرفنا أن وفاة ابن هشام (٢١٨هـ - ٨٣٣م) ... نهاية خلافة المأمون العباسي، وإن بدايات اهتماماته بالعلم كانت في ظل الدولة العباسية<sup>(١)</sup> وبذلك كانت المنطلقات الفكرية لابن هشام " ترجمة واضحة للواقع السياسي الذي فرضته الإدارة العباسية، فقد كان من نتائج ذلك العداء هو تشكيل المنصور العباسي بعبد الله بن الحسن<sup>(٢)</sup> والقضاء على الثورة التي قام بها ولده محمد ذو النفس الزكية وإبراهيم في سنة (١٤٥هـ)<sup>(٣)</sup>، واستمر القتل والتكيل بالعلويين، في محاولة لطمس " كل منقبة وفضيلة لعلي بن أبي طالب وآله وإبعاد صفة كونهم آل بيت الرسول وحجب صورتهم عن المتلقي ... حيث أعلن المنصور ... إعلاناً رسمياً بالوقوف ضد نهج علي وآل علي لغرض طمس مناقبه وفضائله زوراً وبهتاناً<sup>(٤)</sup>. وهذا يؤيد الشك في صدق روايته، حيث إن هناك كثيراً من الرواة والمؤرخين تغافلوا وقاموا بحجب الصورة الحقيقية عن المتلقي بالقطع تارة و بالتشويش أو بقلب الحقائق تارة أخرى، فتكونت هناك ضبابية كبيرة لا يستطيع الإنسان أن يتلمس المعالم الحقيقية لتلك الصورة. وهذا ما حدث في تأريخ فلهاوزن الذي ربط الإمام علي (عليه السلام) بالخوارج، بقلب الصورة الحقيقة للخوارج

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥.. ص٦٣

(٢) لما ولي أبو جعفر المنصور الح في طلب ولدي عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالمحض محمد الملقب بالنفس الزكية وإبراهيم فتغيبا بالبادية، فأمر أبو جعفر أن يؤخذ أبوهما وأخوته حسن وداود وإبراهيم وأن يشدوا وثاقاً وأن يرسلوا إلى بغداد عاصمة الدولة العباسية وبالفعل أرسلوا مكثفين إلى حيث وافوه بالربذة فأبى المنصور لقاءهم وأبقاهم بالسجن إلى أن ماتوا جميعاً، وخرج ابنه محمد وإبراهيم وغلبا على المدينة ومكة والبصرة فبعت إليهما المنصور بعثاً فقتل محمداً في المدينة وقتل إبراهيم بعد ذلك في باخمر قرب الكوفة. ينظر، ابن أبي حاتم المشغري الدرر النظيم، ص ٥١٩

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص١٤٧

(٤) شاعر هولة سابط : صورة الإمام علي في كتاب السيرة النبوية لابن هشام المتوفي ٢١٨ هـ ، رسالة ماجستير، جامعة ذي قار، العراق، ٢٠١٦، ص١٦٩

كما فعل مع الأمويين، وذلك بوصفه لهم بما ليس فيهم فيقول عنهم: وكان أشد ممثلي المعارضة الدينية طرفاً وأتقى الأتقياء هم الخوارج. فقد أخذ الحق الديني عندهم صورة مبدأ ثوري بالمعنى الكامل<sup>(١)</sup> وهذا مواربة علنية لحقيقة الخوارج التي أثبتتها كتب المؤرخين وتغاضى عنها فلهاوزن، الذي لم يتوقف عند عمق شخصية الإمام الساعية لتحقيق وإعلاء كلمة الحق والدين، ولم يتوقف عند أهداف معاوية وحرابه اللاهثة لتحقيق أطماع وأهداف دينوية، وبالتالي لم يعرف كيف يجب أن تُصاغ المسألة برمتها !!

إن المسألة تصاغ على نحو ما صاغه عباس محمود العقاد في وصفه بأنّ "معاوية على حصافته يجهل أنه قد أضع سمعة وشعوراً من حيث حارب علياً في مقام السمعة والشعور"<sup>(٢)</sup>، ومع ذلك يستمر فلهاوزن بإلحاق الشبهات بآل البيت (عليهم جميعاً السلام) فيقول: "عند مقتل علي (عليه السلام) أحس ابنه وخليفته الحسن أنه أضعف مما يقتضيه منه الموقف، فباع حقه في الخلافة لمعاوية"<sup>(٣)</sup> ثم يخلع على كريم آل البيت (عليهم السلام) صفات لا تليق بعصمته، بإصاق صفات ليس فيه، فيرى أنه عندما بايعه أهل العراق لم يلبث الحسن بعدما بايعوه إلا قليلاً...، فازداد لهم بغضاً وازداد منهم ذعراً<sup>(٤)</sup>.

وفي موضع آخر يصور معاهدة السلام التي قام بها الإمام الحسن لحقن الدماء بأنها مخيبة لأمال المسلمين، وبالتالي فقد احترامهم له، يقول فلهاوزن: "توفي أكبر أبناء علي من فاطمة، وهو الحسن في سنة (٤٩ هـ). وكان قد خيب آمال أنصار أبيه بالطريقة التي تنازل بها عن الخلافة وفقد احترامهم له"<sup>(٥)</sup>.

(١) يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية: ص ٩٢

(٢) عباس محمود العقاد: أبو الشهداء الحسين بن علي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٢٣

(٣) المرجع السابق: ص ٥٧

(٤) المرجع السابق: ص ٥٩

(٥) يوليوس فلهاوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعية) ترجمة عبد الرحمن بدوي، النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١٥٩

لقد غفل فلهاوزن ما كان عليه الإمام الحسن من استبطان لما في نفس معاوية من حب للسلطة وتطلع إليها وتشوق، فأثر أن يُسكن تلك النفس بما تطلّعت إليه ويحقن دماء المسلمين ويعطى صورة أخرى من صور الحق وهي إثارة الجماعة والوحدة تحت أى ظرف، وكفى ما أعطاه أبوه من الوجه الآخر للحق ممثلاً في مقاومة الطغاة والبيغاة ومناوئة الظالمين.

فلقد تمالك الإمام الحسن نفسه في غضبه وهوى نفسه، فحقق ما قاله جده محمد (ﷺ) ليس الشديد بالصُّرْعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب<sup>(١)</sup> في حين أن عدوه ملكه هوى نفسه، وحرّكه غضبه، وساقه ضلاله، ففقد على أثر ذلك الشدة، فانهزم أمام دوافعه المادية، فأيهما الشديد وأيها الضعيف ؟ وهل نتظر جواباً في حكم أفتانا فيه رسول الله في تلك المسألة ؟، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب.

وهنا كانت صفة الشدة متأصلة في حكمة الإمام الحسن (ﷺ) فلم يكن بالذي يتأخر أبداً عن أي صلح فيه عصمة للدماء، فقد كان بطبعه مؤثراً للسلام تحت أي ظرف، فالحسن (ﷺ) من ذوي الميول البالغة الطيبة، من أولئك النفر القليل الذين أوتوا قدرات فوق البشرية في هذه الناحية، فهو يمتلك قدراً من التسامح غير مشروط، يملكه هذا القدر من الرضا بأي شيء ما لم يكن فيه معصية، ويؤثر دوماً حظوظ الآخرين على حظ نفسه، ولم لا وهو (ﷺ) من ميراث النبوة ؟، لم يستوعب فلهاوزن علامات الوحي المتجسدة في شخص كريم آل البيت (ﷺ) والتي شهد له، بها جدّه (ﷺ)، فعن أبي بكره قال: رأيت النبي (ﷺ) على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"<sup>(٢)</sup> ..

(١) البخاري : باب الحذر من الغضب، ح/ ٦١١٤

(٢) البخاري: كتاب الصلح، ٢٥٥٧ باب قول النبي (ﷺ) للحسن بن علي (ﷺ) ابني هذا سيد، ٢٥٥٧.

كان الحسن شبيهاً بالنبي (ﷺ) في سخائه وتسامحه، وكان الحسين (ﷺ) شبيهاً بالنبي في شجاعته وطلبه للحق..

كان الحسن شبيهاً في الصورة والشكل بالنبي (ﷺ) لقد حمّله أبو بكر ذات مرة فقال: "بأبي شبيهه بالنبي لا شبيهه بعلي" (١) وعلي ينظر ويضحك.. وكان الحسين شبيهاً بالنبي في قوته في طلب الحق وغضبه إذا أنتهكت محارم الله، فكان بداخله ثورة دائمة على الظلم والظالمين أيّاً كانت منزلتهم وسلطتهم، يقابلها رحمة وحنو على الضعفاء والمساكين بذات القدر أو يزيد. ومرة أخرى يأتي صريح العقل وكما كان الإمام علي والحسن أتاهما الله قدرات فوق البشر، كان الأمر بالنسبة للإمام الحسين (ﷺ) وهو أيضاً ما تغافله فلهوازن بمغالطاته على النحو التالي

### ثالثاً: انتفاضة الإمام (ﷺ) وقيام الثورة (المغالطة البروكرسيتية) (٢)

استمراراً في مسلسل الافتراءات والمغالطات التي يدعيها فلهوازن بإلحاقه التشويهات، بآل البيت (ﷺ)، حاول فلهوازن التقليل من ثورة الإمام الحسين (ﷺ) المباركة، فطمس الموضوعية العلمية وغطى الروح الدينية والعصمة المقدسة التي منحها الله للإمام (ﷺ)، فلم يرَ في الانتفاضة إلا نوعاً من الجبن، ولم يرَ في مواجهته لظلم الظالمين إلا خوفاً وفراراً منهم، فصور رحلة الإمام (ﷺ) التي بدأت بالانتفاضة وانتهت بالاستشهاد المباركين، ما هي إلا رحلة فرار مستمرة، ففر من المدينة مختبئاً بمكة ثم خرج من مكة ملتمساً حماية أهل الكوفة، ثم حاول الرجوع خوفاً من الفتك به بالكوفة وهكذا، وكان رحلته المباركة ما هي إلا رحلة هروب مستمرة.

(١) البخاري : كتاب المناقب، باب صفة النبي (ﷺ) ٣٣٤ ٩/٦

(٢) بروكرست أسطورة يونانية، وكان بروكرست يمتلك سريراً يستدرج إليه ضحيته، حتى إذا ما اضطلع الضحية على السرير بدأ بروكرست عمله فجعل يربطه بإحكام ويشد رجليه إن كان قصيراً يمتطها إلى الحافة، أو يبتريهما بترًا، إن كان طويلاً، حتى ينطبق تماماً مع طول السرير، وفي المنطق يشير مصطلح البروكرسيتية إلى أية نزعة فيها فرض القوالب على الأشياء أو الأشخاص أو النصوص أو إلى الحقائق وتشويه المعطيات وتلفيق البيانات لكي تتسجم قسراً مع مخطط ذهني مسبق.

فصاغ فلهاوزن الأحداث وفقاً لمغالطة بروكرست الذي كان يمتلك سريراً يناسب جميع الأطوال، كذلك فعل فلهاوزن الذي طوع قلمه وفقاً لأهوائه من أجل نصرته وتلميع الأمويين، فأول الثورة المباركة، بما لا يتناسب مع طبيعة الحدث وما لا يليق بعصمة وقداسة الإمام الحسين (عليه السلام)؛ ولم يلتفت للنصوص الداعمة لحقيقة الانتفاضة، ولم يكلف نفسه العناء بالتحليل وفقاً للأحداث التاريخية، فأخذ يقص الحدث تارة ويطولُه تارة أخرى، لذلك جاءت النتيجة مبتورة ولا تتناسب مطلقاً مع قداسة الحدث المبارك، ونستدل على ذلك من خلال كتابه (أحزاب المعارضة) حيث أخذ في سرد الثورة المباركة منذ بدأت رياح الانتفاضة في المدينة المنورة و وصولاً إلى استشهاد في كربلاء، وسوف نقسم سرد فلهاوزن في انتفاضة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى ثلاث مراحل شملت بدورها العديد من المغالطات كالتالي:

المرحلة الأولى: رياح الانتفاضة والخروج من المدينة إلى مكة، المرحلة الثانية: خروج الإمام (عليه السلام) من مكة إلى العراق، المرحلة الثالثة: حادثة كربلاء واستشهاد الإمام (عليه السلام).

### ١ - رياح الانتفاضة والخروج من المدينة إلى مكة: (المغالطة اللفظية)

يقول فلهاوزن: "لما توفى معاوية وانتهت الخلافة في سنة (٦٠ هـ) حيينت آمال الشيعة من جديد. فرفض الحسين - وكان آنذاك في منتصف الخمسين من عمره - أن يبايع يزيداً، وحتى يخلص من سلطان يزيد فر من المدينة وهي المركز الدائم لأنصار علي والتجأ إلى مكة (عند أواخر سنة ٦٠ هـ) <sup>(١)</sup> هكنا يبدأ فلهاوزن بسرد رياح الانتفاضة عن طريق المغالطات اللفظية، حيث يصف خروج الإمام من المدينة إلى مكة بالفرار، وكان الأحرى به أن يصف رحلة الإمام من المدينة إلى مكة بالخروج وليس الفرار، الذي يعنى أن يتخلّى الفرد " عن واجبه العسكري ويلوذ بالفرار تخاذلاً

(١) يوليوس فلهاوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارجُ والشيعة)،

وجبناً<sup>(١)</sup> وهذا ما يسعى إليه فلهاوزن، من تشويه صورة الإمام (عليه السلام) وإظهاره في صورة الضعيف الذي يفر من ساحة المعركة ومواجهة العدو .

لقد تغافل فلهاوزن الأسباب الحقيقية للانتفاضة والتي امتلأت بها كتب المؤرخين وتناسى الدوافع التي من أجلها رفض الإمام الحسين (عليه السلام) برفض قسم الولاء ليزيد ومبايعته، فتغافل أحداثاً وأسباباً مهدت لأحداث الانتفاضة والثورة،

فإذا وقفنا على دوافع الإمام التي قامت من أجلها الانتفاضة نجدها كالتالي:

بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان تولى ابنه يزيد الحكم بعده بوقت قصير، فشرع في القضاء على كل قوى المعارضة، ولا سيما أتباع الإمام علي (عليه السلام) فقام بملاحقتهم، باستخدام كل وسائل القمع والإرهاب لإسكات كل صوت حر

وقد أدرك يزيد أنه لا يمكنه أن يكون زعيماً للمسلمين دون دعم الإمام الحسين (عليه السلام) فأمر حكامه بأخذ البيعة له من الناس ومن أبناء كبار الصحابة مثل ابن عمر وابن الزبير وعلى وجه الخصوص الإمام الحسين (عليه السلام)، بسبب قناعته أنه إذا وافق الحسين (عليه السلام) على بيعة يزيد سوف تهدأ نيران المعارضة، وبمجرد إخضاعه، ستنهار كل السدود التي كانت أمامه وبالتالي يمكن إخضاع الناس بسهولة.

وعلى الفور كتب يزيد لابن عمه والي المدينة المنورة الوليد بن عتبة ليأخذ البيعة من الكبار.

على الفور أرسل والي المدينة أحد خدامه لاستدعاء الإمام الحسين (عليه السلام)، إلا أن الإمام استبطن ما كان في نفوسهم ونواياهم السيئة بقتله إذا رفض البيعة؛ فجهز نفسه، وذهب برفقة ثلاثين رجلاً من عائلته وأتباعه إلى منزل الوالي.

وبمجرد جلوسهم، طلب الوالي من الإمام الحسين (عليه السلام) المبايع ليزيد. وكان رد

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة : انظر

الإمام الحسين (عليه السلام) الرفض بمبايعة يزيد<sup>(١)</sup>، وقال موضعاً للوليد ابن عتبة: "إننا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد فاسق فاجر، شارب للخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله (١)"

ولما احتدم الأمر بينهم، كانت حكمة الإمام (عليه السلام) البالغة بتأجيل الصراع المحتوم، من إعداد العدة له، فلم يرغب في إثارة غضب السلطات المحلية قبل الأوان لا سيما أن الوالي أراد أخذ البيعة قسراً من الإمام الحسين (عليه السلام). إذا رفض الاستسلام، وحدثت مناوشة عنيفة بين الطرفين، حاول فيها والي المدينة الفتك بالإمام (عليه السلام) إلا أن أصحاب الحسين (عليه السلام) نجحوا في إعادة الإمام إلى منزله (٢) وكانت تلك نقطة البداية برفض الإمام (عليه السلام) سياسة الغدر والقمع.

من هنا انطلقت الشرارة الأولى للثورة المباركة، ببيان رسمي يعبر عن انتفاضة الإمام (عليه السلام) ومواجهته انحرافات يزيد والأمويين.

وبدلاً من أن يتساءل فلهاوزن عن الدوافع الحقيقية للانتفاضة المباركة قام ببتير الأحداث ومواراتها عن الأنظار للانتصار للأمويين كعادته، وعلينا الآن ذكر أربع حقائق أساسية مهدت للانتفاضة الإمام (عليه السلام):

**الحقيقة الأولى:** بعد أن أخذ يزيد منصب الحكم، من خلال بدعة التوريث التي افتعلها والده معاوية، تولى يزيد الحكم، وكان شاباً منحرفاً وعديم الخبرة، يمتلكه العناد والغرور الزائفان، فنشر الشر، وأعلن صراحة انتهاكه الصارخ للأوامر الإلهية، فتوقف عن التصرف وفق الشريعة الإسلامية، وأخذ أموال المسلمين، وحوّل ما يحرمه

(١) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الملقب بالشيخ مفيد: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، باب ذكر ولد الحسن بن علي (عليه السلام)، ج ٢، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، إيران، قم الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص ٧٥.

(٢) السيد محمد هادي الحسيني الميلاني: قادتنا كيف نعرفهم، ط ٤، (كتاب الكتروني، ص ٣٥٤)

اللّه إلى حلال " وكان يسمّى يزيد السكران الخمير<sup>(١)</sup> مما شكل تهديداً حقيقياً للأمة، لاسيما أنه استقى تعليمه من النصارى والتاريخ يثبت اتصال الفكر الأموي بالفكر المسيحي المحرف، حيث اعتاد بنو أمية على تثقيف أبنائهم على يد مسيحيين، وهذا ليس بالمستغرب منهم لا سيما أن ميسون زوجة معاوية المفضّلة ووالدة يزيد مسيحية من قبيلة كلب المسيحية اليمنية المرابضة في بادية السماوة وقرب تدمر<sup>(٢)</sup>

وكانت القبائل المسيحية العربية أمثال تغلب وتنوخ وكلب لا تزال قويّة، وكانت جيوشها أكبر دعم للأمويين ضد معارضتهم؛ لذلك كانت محكمة معاوية مليئة بالممثلين المسيحيين. وكان الطبيب الشخصي لمعاوية من أتباع المسيحية، وقد ربي يزيد بن معاوية لدى أخواله المسيحيين في البادية وكان من أهم أصدقائه سرجون بن منصور يوحنا الدمشقي<sup>(٣)</sup> الذي كان والده منصور خازن بيت المال في عهد جده يزيد وأبيه معاوية، وتعد كتابات يوحنا الدمشقي أو القديس يوحنا الدمشقي وفقاً للكنيسة

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق، ج ٧، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون مكان النشر، ص ٣٧٢

(٢) أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١/١٩٩٣م، ص ٣٠.

(٣) سرجون بن منصور المسيحي، أو سرجون بن منصور الرومي وفقاً للمؤرخين المسلمين، التغلبي أو الكلبي وفقاً لمؤرخين أو الملكي السرياني وفقاً لآخرين. يوحنا الدمشقي هو منصور بن سرجون بن منصور الذي تحدثنا عن أبيه وجده -وعنه قليلاً- وعن علاقتها بالدولة الأموية، وذكرنا إنه تربى مع يزيد.

وُلد يوحنا في دمشق. ولُقب بالدمشقي إشارة إلى مسقط رأسه، ولُقبه المسيحيون بدفاق الذهب أو ناقل الذهب، وهو اسم لنهر بردى، نهر مدينته، لما تحوي مؤلفاته من كنوز روحية ثمينة وفقاً لرأيهم. وقد تم تحديد مولده بين سنتي ٦٧٠ و ٦٨٠ م.

والده منصور كان يشغل منصب مدير المالية في الدولة الرومانية، وعيّنهُ الإمبراطور البيزنطي موريس حاكم دمشق وأبقاه هرقل في منصبه بعد اجتياح الفرس. يقول عنه ابن عساكر " سرجون بن منصور الرومي كاتب معاوية وابنه يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان، ذكره أبو الحسين الرازي في تسمية كتاب أمراء دمشق وذكر أنه كان نصرانياً فأسلم وهو الذي ينسب إليه جبر بن سرجون عند باب كيسان ويقال له سرحة وله عقب وكان يقال إن الكنيسة التي خارج باب الفراديس بحذاء دار أم البنين محدثة بنيت بعد الفتح لسرحة كان كاتباً لمعاوية بن أبي سفيان ثم أسلم على يديه وبقيت الكنيسة". انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق ج ٢٠ ص ١٦١

من أوائل الكتابات التي أساءت لرسول الله (ﷺ) وحاولت تشويه صورته.

ونظراً لأن الإمام (عليه السلام)، كان الابن الثاني للإمام علي (عليه السلام)، وحفيد الرسول الكريم محمد (ﷺ) و، وترجمة حية لجميع أهدافه ومفاهيمه، فقد اقتدى بسنة جده محمد وحديثه الشريف " مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا لِيُدْحِضَ بَيَاطِلَهُ حَقًّا فَقَدْ بَرِثَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ "؛<sup>(١)</sup>

كما كان (عليه السلام) صفحة نقية من كتاب الإسلام، فطبق قوانين الله الأبدية لإصلاح الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وهو من أعظم الواجبات الدينية، كما جاء في قوله تعالى: ( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ )<sup>(٢)</sup>

وبناء على ذلك قرر الإمام الحسين (عليه السلام) أن يتحمل مسؤولية إعادة القيم الإسلامية التي ضاعت على يد الأمويين، وأن يتحدى الظالمين، فهو الإمام الشرعي للأمة، والقائد الصالح الموكل بالإيمان، وهذا لا يختلف عليه اثنان من أصحاب العقول.

**الحقيقة الثانية:** لم يكن خروج الإمام الحسين (عليه السلام) من المدينة فراراً كما يدعي فلها وزن، بل كان خروجاً لحكمة بالغة استقاها من فوق سبع سموات، كما فعل من قبل الإمام الحسن بصلحه مع معاوية حقناً لدماء المسلمين، حيث أراد الإمام (عليه السلام) مساحة من الوقت ليعد عدته لنصرة دين الله ولإيقاظ المسلمين، فقرر الذهاب إلى مكة قبلة السائلين من المسلمين في كل بقاع الأرض، فباغت الأمويين ووالي المدينة الذي أرسل في أثرهما ثلاثين راكباً من موالي بني أمية، ولكنهم فشلوا في اللحاق بهم<sup>(٣)</sup>. وقد علم يزيد بخروج الإمام - بعد وشاية مروان بن الحكم - فغضب غضباً

(١) الجامع الصغير / الصفحة أو الرقم : ٨٤٥٥ أخرجه ابن حبان في (المجروحين) (١/٣٦٥)، والطبراني في (المعجم الأوسط) (٢٩٤٤)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (٥/٢٤٨) م.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: محمود فردوس العظم، ج ٤، دار البيقظة العربية، دمشق،

١٩٩٦. ص ٣٠٠

شديداً، وقام يزيد بعزل الوليد بن عتبة على الرغم من أنه ابن عمه " وولى بدلاً منه عمرو بن سعيد بن العاص، وذلك في رمضان سنة ستين<sup>(١)</sup> وهذا يوضح خطورة الموقف وما تعرض له الإمام من قمع وغدر في المدينة، فكان قراره الحكيم بالخروج لمكة.

**الحقيقة الثالثة:** أن التهديد الذي أحاط بالمفاهيم الإسلامية لم يأت من عامة الناس،

بل من الرتب العليا من مسؤولي الدولة الذين احتكروا وسائل التوجيه الاجتماعي.

لذلك عمل الإمام الحسين (عليه السلام) على تنبيه الأمة من الخطر المحتمل للحكم الأموي، حيث كانت قواعده مخالفة تماماً لمفهوم الإسلام عن الخلافة، فكان نظاما ديكتاتورياً وراثياً، أدخله معاوية عندما أخذ البيعة من المسلمين لابنه يزيد، وهو أمر غريب على الإسلام.

وبذلك وضع معاوية حجر الأساس لأخطر بناء في تاريخ الإسلام. وبالطبع فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن يتخلى الإمام (عليه السلام) عن واجبه في الدعوة إلى الإيمان، وعليه أن يؤدي واجباته، ويضحى في سبيل الأمة و لم يكن هناك سبيل لتحقيق هذا الهدف سوى الانتفاضة، فهو (عليه السلام) وبكل جرأة يقف أمام الطاغية يحذره ويمنعه عن التماذي في الغي والفساد<sup>(٢)</sup>.

**الحقيقة الرابعة:** تغافل فلهاوزن منهج الإمام الحسين (عليه السلام)، المتمثل في الصراحة

والمكاشفة، موضحاً للأمة الخلل والزيغ والطريق الصحيح، فقد أشار الإمام الحسين (عليه السلام) في إحدى رسائله إلى الهدف من خروجه: (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مُفسِداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (عليه السلام)، أريد أن أمرّ بالمعروف وأنهي عن المنكر، وأسيرُ بسيرة جدي، وأبي علي بن أبي طالب<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق: ص ٣٠٣

(٢) محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤٤ - دار الكتب الإسلامية ص ٣٢٥. (كتاب اليكتروني)

(٣) المرجع السابق: ص ٣٢٩

هذا إلى جانب شكل وصية الإمام التي كتبها لأخيه محمد بن الحنفية:

"... وأنا لا أحمل السلاح من أجل الفرح أو السعادة بما لدي. أنا مستعد للقتال من أجل الهدف الوحيد المتمثل في السعي لإصلاح أمة جدي، نبي الله (ﷺ) (١) وقد كان يعلم (ﷺ) أن لا لقاء له مع مدينة جدّه (ﷺ) لنا؛ وقبل خروجه من المدينة المنورة - زار قبر جدّه رسول الله (ﷺ) زيارة المودّع الذي لا يعود.

فوقف الإمام (ﷺ) إلى جوار القبر الشريف، فصلّى ركعتين، ثم وقف بين يدي جدّه (ﷺ) يُناجي ربّه قائلاً: (اللَّهُمَّ هَذَا قَبْرُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ (ﷺ))، وَأَنَا ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكَ، وَقَدْ حَضَرَنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ عَلِمَ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّ الْمَعْرُوفَ، وَأَنْكُرُ الْمُنْكَرَ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، بِحَقِّ الْقَبْرِ وَمَنْ فِيهِ، إِلَّا مَا اخْتَرْتَ لِي مَا هُوَ لَكَ رِضَى، وَلِرَسُولِكَ رِضَى (٢)

### ثانياً: خروج الإمام (ﷺ) من مكة إلى العراق (مغالطة المأزق المفتعل)

يكتب فلهاوزن عن خروج الإمام من مكة إلى العراق، بأنه أثناء إقامة الإمام الحسين (ﷺ) في مكة أرسل أهل الكوفة رسائل عديدة، يستقدمون بها الإمام إليهم، ومالت نفس الحسين إلى تلبية هذه الدعوة الملحة التي وجهها الكثيرون. ولكنه آثر أن يبعث أولاً بابن عمه مسلم بن عقيل ليتحسس الأرض ويهيئ السبيل أمامه (٣) ألا أن الأمويين استشعروا هذا الخطر، المائل في إرسال بن عقيل الذي استقطب الكثير من الأتباع المواليين للحسين (ﷺ)، فقاموا بقتله، ولم يكن الحسين (ﷺ) "يعلم شيئاً عن نهاية مسلم بن عقيل الأليمة. وإنما وصلته الأنباء الأولى وهو في الثعلبية، وكان يود أن يعود أدراجه لولا أن إخوة القتيل طالبوا بالمضي في الأمر لينتقموا لمقتل أخيهم (٤)

(١) المرجع السابق: ص ٣٤٢

(٢) موسوعة شهادة المعصومين (٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (٢) ج ٢ - ص ٤٣٢

(٣) يوليوس فلهاوزن : أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارجُ والشيعية)، ص ١٦٠

(٤) المصدر السابق : ١٦٩

وهنا ينشئ فلهاوزن مغالطة المأزق المفتعل والتي تقوم على افتراض غير صحيح يؤدي إلى تفرعات أو تشعبات مغلوطة<sup>(١)</sup> ليوحي للقارئ بأن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن عازماً على الخروج إلى الكوفة، وأن إلحاح أهالي الكوفة عليه هو الذي دفعه للتوجه إلى العراق وتلبية نداءهم، كذلك يحصر فلهاوزن - بخبث - القضية المباركة من خلال الانتقام، و لم يفهم طبيعة قرارات الأئمة المعصومين، كما لم يفهم أن قراراتهم وتوجهاتهم هي مشيئة إلهية مسبقة، فاخترل كل الأحداث الموضحة لقرار الإمام (عليه السلام) و التي تم تأريخها في كتابات العديد من المؤرخين بما فيهم مؤرخون اعتمد عليهم فلهاوزن.

والحق إن قرار الإمام الحسين (عليه السلام) بالخروج إلى العراق جاء منذ أن عرض عليه والي يزيد في المدينة البيعة، وبرفض الإمام للبيعة أوصل الأمور إلى نقطة اللاعودة بينه وبين الحكم الأموي.

وبعد ذلك قرر الإمام (عليه السلام) الخروج، فسارع إلى جمع أبنائه و أهله والمخلصين من أصحابه. أخبرهم عن قراره الانتقال إلى الحرم المكي.

زاد عدد المعترضين الذين ضغطوا عليه لتغيير مساره خوفاً من القتل، إلا أن القضية التي يؤمن بها الإمام (عليه السلام) في نصرة الحق على الباطل لم تشن عزمه، فكان لديه قوة مدفوعة من داخله بأمر ومشية إلهية عليا في إكمال مسيرته، فسارت قافلته نحو مكة. وكان اسم الله على لسانه، وامتلاً قلبه بحب الله. ولدى دخوله إلى مكة تلا الآية المجيدة: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾<sup>(٢)</sup> فأقام بمكة باقي شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة وثمانى ليل من ذي الحجة. وأقبل أهل مكة ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق يختلفون إليه،<sup>(٣)</sup> وقد رصد الإمام

(1) Searle, John. (1983) The Word Turned Upside Down. The New York Review of Books, Volume 30, Number 16, October 27, 1983.

(٢) سورة القصص : ٢٢

(٣) محسن الحسيني عاملي : أعيان الشيعة، ج٢، مطبعة ابن زيدون (ب-د)، ص ٤٠١.

الحسين (عليه السلام) ردود فعل المسلمين في جميع أنحاء المحافظات الإسلامية نحو صعود يزيد إلى منصب الخلافة.

في ذلك الوقت كانت الكوفة، عاصمة العراق، تشهد حركة ثورية وزعزعة سياسية ملحوظة. بعد فترات طويلة من الإرهاب والقمع، حركت قوى المعارضة لرؤيتها فرصة ذهبية لتحرير نفسها من نير الطغاة. وكان على رأس هؤلاء الثوار أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، الذين اجتمعوا وأعلنوا دعمهم الكامل للإمام وأنهم سوف يدافعون عنه بأي وسيلة متاحة، وندروا أنفسهم للدفاع عنه والموت فداءً له.

بعد التوصل إلى توافق في الآراء حول هذه النقطة، كتب رجال الكوفة رسالة أعلنوا فيها رفضهم التام والنهائي للحكم الأموي، وأنهم لا يرضون بديلاً عن الإمام الحسين (عليه السلام). ثم تدفقت رسائل من الكوفة تحمل الدعوة العاجلة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) للانضمام إليهم، لتولي منصب خليفة المسلمين وإمامهم.

وفي الجهة الأخرى تزايد قلق يزيد لدرجة أنه قرر إرسال عمرو بن سعد بن العاص مندوباً عن الخليفة إلى الحجاج، وأن من بين واجباته قتل الإمام الحسين أينما وجدوه ومهما كانت التكاليف، وقد استأجر يزيد ثلاثين رجلاً<sup>(١)</sup> لقتل الإمام الكريم، أثناء أداء مناسك الحج، و في الكعبة المشرفة، وقد خبأ عملاء يزيد خانجرهم في ثياب الحج.

ومن قبل كان مسلم بن عقيل وصل إلى الكوفة. وقد لقي ترحيباً حاراً وطمأنه الأهلالي على ولائهم وتأييدهم للإمام الحسين (عليه السلام). وعلى الفور بايعه اثنا عشر ألفاً.<sup>(٢)</sup> في غضون أيام، أدى ما يصل إلى أربعين ألف مسلم يمين الولاء على يد مسلم بن عقيل، دعماً للإمام الحسين، فكتب مسلم بن عقيل رسالة<sup>(٣)</sup> إلى الإمام الحسين وأبلغه

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي، ج ٨، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٧، ص ٤٩٤

(٢) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، ص ١٧

(٣) المرجع السابق: ص ٣٣

بالموقف. طلب منه الحضور إلى الكوفة بأسرع ما يمكن.

وصلت رسالة ابن عقيل للإمام بعد أن تم قتله ولم يكن يعلم الإمام بذلك، فانتظر الإمام الحسين فقط أن يبدأ الحج، حتى يتمكن من التقدم نحو الكوفة بعد ذلك. لكنه حصل على معلومات استخبارية عن مؤامرة قتله حتى في الحرم المقدس.

أدرك الإمام الحسين أن الوضع قد يؤدي إلى إراقة دماء وفوضى في مسقط رأس النبي الحبيب (ﷺ).

ومن هنا، وحفاظاً على قدسية هذه الأرض المباركة وكرامتها، غادر مكة المكرمة.

فأراد الإمام الحسين أن يحفظ قدسية الحرم العظيم (الكعبة المشرفة)، أقدس الأماكن الإسلامية، ملاذاً لا يمكن فيه أذى أي كائن حي أو جماد، ولا حتى اقتلاع نبات.

فإذا انتهكت حرمة أقدس ضريح إسلامي بسفك دم الإمام الكريم الذي هو دم الرسول الكريم نفسه، فلن يترك أي شخص في مأمن بعد ذلك؛ وستوقف الكعبة المشرفة عن كونها ملاذاً وقبلة للمسلمين.

لذا غادر الإمام مكة المشرفة، فأدى العمرة المختصرة بدلاً من الحج الكامل، حرصاً على عدم إراقة الدماء.

إذن لا مجال لأي انتقاد، فلو كان الإمام الكريم قد نزل بالمدينة وقُتل هناك لقي، فلماذا لم يهاجر إلى مكة للاحتماء بالحرم العظيم هناك؟ لقد ذهب إلى الكعبة!! وإذا كان قد أقام هناك ليقتل على يد رجال يزيد، لكان قيل لماذا لم يغادر المكان المقدس لتجنب إراقة الدماء في الحرم العظيم؟ إن الهدف الرئيسي للإمام (ﷺ) هو نصرته الإسلام مع تجنب إراقة الدماء، ولذلك كان يغير وجهته إذا لزم الأمر ووجهته حقناً لدماء المسلمين.

### ثالثاً: مأساة كربلاء واستشهاد الإمام (عليه السلام) (مغالطة تجاهل القضية)

عرض فلهاوزن لمأساة كربلاء و استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) عرضاً لا يخلو من التحريف كعادته، ولكن تحريفه هذه المرة كان تحريفاً معنوياً، وهو أكثر أنواع التحريفات خطورة على ذهن القارئ نظراً لأنه يحرف روح الشيء ومغزاه، فيبعد به عن واقعه الحقيقي، وهو ما أكد عليه الشهيد مطهري بأن " هذه الحادثة وقعت موضع التحريفات الأكثر خطراً، وهي تحريفات الروح والمعنى، ...، وتعد هذه التحريفات أكثر خطراً من غيرها. (١)

فيكتب فلها وزن عن مأساة كربلاء، متجاهلاً روح القضية ودوافعها، مما يوقعه من جديد في العديد من المغالطات الأخرى التي حاول من خلالها طمس معالم الجريمة النكراء وتجاهل سمات القيادة الملهمة التي اتسم بها الإمام الحسين (عليه السلام).

فيقول: " في العاشر من المحرم، يوم الأربعاء العاشر من (أكتوبر سنة ٦٨٠ م)، انتظم كل فريق بعد صلاة الفجر استعداداً للقتال. وكان مع الحسين اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً، بما فيهم (١٨) من أبناء عمومته. وفي اللحظة الأخيرة وقع حادث مشجع له هو أن الحر بن يزيد عدل إلى الحسين وقتل معه كفارة عن مسلكه السابق. وسبق القتال كلام، وخطب الحسين في أعدائه وهو راكب جملاً، إلى أن انطلق سهم لم يصبه، فتوقف عن السهام للقتال بالسيوف وودع أصحاب الحسين صاحبهم على موعد لقاء في الجنة قبل أن يدخل كل منهم المعركة الواحد بعد الآخر، ولم يكن في غاية لهم إلا أن يموتوا في القتال بمشهد منه، أما الحسين فقد ظل يرقب المعركة وهو جالس أمام الخيمة الكبرى التي ضمت النساء والأطفال، وكان النسوة ينحن ويلوح أيضاً أن أبناء عمه كانوا أيضاً يشهدون المعركة دون أن يخوضوها إلى أن أهرق

(١) مرتضى مطهري : حماسه حسيني المجلد الأول، الناشر سخنرانيها، مؤسسه صدر، طهران، ١٣٧

دماء الآخرين فجاء دورهم هم فقتلوا جميعاً. (١)

ولا يخفى على القراء من ذوي البصيرة، الانتهاكات التي ينثرها فلها وزن في هذا النص في حق الإمام، حيث يظهر الإمام (عليه السلام) محتمياً بخيمة النساء، وهو لفظ لا يليق بمن هو في حالة الدفاع عن دينه وعرضه، ثم يصور أبناء عمومة الإمام بمظهر المتخاذلين الذين ينظرون للقتلى، قتيل تلو الآخر وكأنهم يقاتلون قتال اليأس الذي فقد همته فتذروه الرياح يميناً وشمالاً، فاخفت روح الجهاد والمثابرة، التي من أجلها بدأ الإمام رحلته المقدسة.

لم يتحرراً فلها وزن الموضوعية، بالبحث عن السبب في قرب الإمام من خيم النساء، ذلك أن الإمام (عليه السلام) اختار قربه من خيام النساء أثناء المعركة لسببين:

السبب الأول: معرفته بطبيعة الأعداء غير الرجولية واللا إنسانية. فكانوا يفتقرون حتى إلى الإحساس بالشرف لتجنب الخيام هجماتهم القتالية، فقد وصلت الخسنة والدناءة بعمر بن سعد قائد جيش ابن زياد إلى حد أمر فيه بتخريق خيم الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه. وينقل لنا البلاذري - أن عمر بن سعد أمر: " بتخريق أبنيتهم وبيوتهم فأخذوا يخرقونها برماحهم وسيوفهم، وحمل شمر في الميسرة حتى طعن فسطاط الحسين برمحه ونادى: علي بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله. فصحن النساء وولولن وخرجن من الفسطاط، فقال الحسين (عليه السلام): ويحك! أتدعو بالنار لتُحرق بيتي على أهلي!! وقال شعث بن ربيعة لشمر: يا سبحان الله! ما رأيت موقفاً أسوأ من موقفك، ولا قولاً أقبح من قولك (٢).

لذلك أراد الإمام (عليه السلام) منعهم من مهاجمة معسكره طالما كان على قيد الحياة ولديه القوة لمنعهم. فكان يقوم بهجوم أمامي من أجل إبعادهم عن خيمة النساء، و

(١) يوليوس فلهاوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعية)، ص

(٢) البلاذري،: أنساب الأشراف: ج٣، ص ١٩٤.

لكنه لم يطاردهم بل عاد ليحرس خيام نسائه من أي اعتداء.

السبب الثاني: طالما كان الإمام (عليه السلام) على قيد الحياة، فقد أراد أن يعرف أفراد عائلته أنه على قيد الحياة. وبناءً عليه، فقد اختار نقطة يمكنهم من خلالها سماع صوته. وكلما عاد بعد الهجوم كان يقف عند هذه النقطة ويصرخ: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فكانت صرخاته تطمئن النساء اللواتي عرفن أن الإمام لا يزال على قيد الحياة. وكان الإمام قد أمرهم بالألا يخرجوا من الخيام ما دام حياً.

إن إحساس الحسين ابن الإمام علي (عليه السلام) بالشرف الرجولي وإحساسه الخاص بالشرف الأنثوي لم يسمح لهم بالخروج. وبناءً عليه، عندما سمعوا الإمام ينطق لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، شعروا بالاطمئنان. (١) ولما كان الإمام قد عاد إليهم مرة أو مرتين بعد وداعهم، فإنهم ما زالوا يتوقعون عودة الإمام.

أما خروج أبناء عمومته واحداً تلو الآخر فليس قتال اليأس كما يصوره فلهاوزن، بل كان قتال من يؤمن بالقضية، حيث أظهروا تفانياً وقناعة لا مثيل لها. رفضوا التخلي عنه، على الرغم من الوضع غير المواتي. قال أحد أتباعه، مسلم بن عوسجة الأسدي، في تعليق مشهور: هل يمكننا تركك بمفردك؟ كيف نعتذر أمام الله في قيامنا بواجبنا تجاهك؟ بواسطة الله! ليس قبل أن أطرح رمحي حتى كسرته في صدورهم... لن أتركك. إذا لم يكن لدي سلاح لأقاتلهم به، فسأرميهم بالحجارة لأدافع عنك حتى أموت معك (٢)، وهذا ما لا يدركه فلهاوزن أو يستوعبه.

ويستمر فلهاوزن بتجاهل الصورة الحقيقية لمأساة كربلاء التي تعرض لها الإمام فيحاول تمييع القضية بأحداث أكثر برودة مما كانت عليها المأساة الحقيقية متمعداً مغالطة تجاهل المطلوب (الحيد عن المسألة)، فيكتب عن مقتل الإمام

(١) محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار: ج ٥ ص ١٢٥

(٢) الشيخ المفيد: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، باب ذكر ولد الحسن بن علي (عليه السلام)، ج ٢،

(عليه السلام) بدم بارد، ودون مراعاة للحدث الجلل فيقول " أما حفيد النبي (الحسين) فلم يجسر أحد على قتله، إلى أن قام شمر ففضى على هذا التردد. لقد كان قائد الهجوم، إن صح الحديث عن قيادة هنا. فأفلح أولاً في أن يبعد الحسين من معسكر النسوة والأطفال، وهو معسكر لم يكن لأحد أن يمسه بأذى. وهنالك انقض عليه الكثيرون طعناً وضرباً حتى أصابوه بثلاث وثلاثين طعنة وأربع وثلاثين ضربة<sup>(١)</sup> وبعد مقتل الإمام (عليه السلام) يستكمل فلها وزن حديثه بروح أجنبية باردة فيقول " ولم يشأ أحد منهم بعد ذلك أن يكون القاتل وسلب الحسين ما كان عليه: فأخذ سراويله بحر بن كعب. وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته . وكانت من خز، وكان. بعد قيس قطيفة . وأخذ نعليه رجل أود يقال له الأسود، وأخذ سيفه رجل من بني نهشل ابن درام... ومال الناس على الورس والحلل والإبل وانتهبوها... ومال الناس على نساء الحسين وبقوله ومتاعه حتى أن كانت المرأة لتتازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها، وكان الحسين يلبس ملابس فاخرة، لا درعاً.<sup>(٢)</sup>

هكذا يصيغ فلها وزن نهاية إحدى أبشع الجرائم التي ارتكبت بحق آل بيت النبي (عليه السلام)، سردها فلها وزن دون أدنى اعتبار لما تعرض له الإمام على يد الأمويين، فختم مقولته عن مقتل الإمام وكأنه يتكلم عن عرس لا فاجعة تقشعر لها الأبدان فوصف الإمام بأنه قتل وهو يرتدي أفخم الملابس، وما هذا إلا لامتناس غضب القارئ لبشاعة الحادث الذي ارتكبه بنو أمية من قتل وتنكيل بالإمام وآل بيته الأبرار (عليه السلام).

إن كل عقل مستيقظ وكل من له دين وملة لا يمكن أن يستوعب أو يتقبل بشاعة ما حدث في كربلاء، إلا أن فلهاوزن مر مرور الخبثاء على بشاعة الحادث وما تعرض له الإمام (عليه السلام) قبل وبعد مقتله.

لقد أرسل عبيد الله بن زياد (٤٠٠٠) جندي آخر لمحاصرة الحسين (عليه السلام) وأفراد

(١) يوليوس فلهاوزن : أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعية، ص ١٧٦.

(٢) المصدر السابق : ص ١٧٦

أسرته، وتقييد تحركاتهم وأنشطتهم. إلى جانب ذلك، أصدر أمراً آخر لقائد جيشه قائلاً: "انظروا أن الماء لا يسد لحسين ورفاقه، لا ينبغي أن يكون لديهم حتى قطرة ماء" (١)

كانت هذه هي الطبيعة اللا إنسانية لعبيد الله بن زياد، فلم يكن عداؤه للإمام الحسين (عليه السلام) له حدود، فمنع عنه الماء الذي هو هدية الله المجانية للإنسان، حيث يستطيع كل مخلوق الوصول إليه. ومع مرور الوقت شعر الإمام (عليه السلام) بالخطر من جميع الجهات، بدأ بإجراء محادثات مع قائد الجيش عمر بن سعد، على أمل ألا تنتصر الحرب ولا تُزهق أرواح الأبرياء. وهذا سبب رئيسي في عدم ارتداء الإمام ملابس الحرب.

كان عبيد الله بن زياد قاسياً شريراً، عينه يزيد واليا للكوفة ورأى نفسه لائقاً لهذا المنصب. وأرضاءً ليزيد فقد كان عازماً على استخدام كل أنواع القوة وكل الإجراءات لمنع الحسين (عليه السلام) من إنجاز مهمته، حتى وإن قتل الحسين (عليه السلام).

وقد كتب ابن زياد إلى شمر أنه في حال "سلم الحسين (عليه السلام) نفسه، يجب أن يُرسل لي حياً، أما في حالة رفضه فيجب مهاجمته. فيسفك دمه ويشوه جسده بما يستحقه بعد القتل، وتدوس الخيول جسده" (٢).

بدا الحل السلمي بعبيد المنال، وأدرك الحسين (عليه السلام) أن الأمر المحتوم أمامه، فناشد أفراد أسرته بالعودة إلى مسقط رأسهم في مكة بأمان، والسماح له بمواجهة العدو وحده، وأوضح لهم أن الأعداء يريدونه وحده، حزن أفراد الأسرة بشدة على كلام الحسين، ورداً على ذلك قال عباس بن علي (عليه السلام): "لماذا الأمر كذلك؟ لِمَ نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً" (٣)

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٨ - ص ١٦٥

(٢) المرجع السابق: (بتصرف) ص ١٧٠

(٣) محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤٤ الصفحة ٣٩٣

تصاعدت المشاعر عالياً وملاً القلق قلوب الأتباع، وكانت الدموع تنهمر على أعينهم، وعزّى الحسين(عليه السلام) أفراد أسرته وذكرهم أن سيرة الرسول (ﷺ) نموذج مثالي، وأنهم بحاجة إلى الصبر والمثابرة. وكان الاعتماد الكامل على الله والتكليف بإرادته تعليماً لا يمكن أن يحدوا عنه.

وفي يوم العاشر من محرم، وهو يوم الجمعة المبارك، حاصر الأعداء بالآلاف الحسين(عليه السلام) ورفاقه من جميع الجهات. حاول الحسين(عليه السلام) الدفاع عن نفسه، لم يكن لديه سوى ٧٢ رجلاً تقلدوا نقاط استراتيجية مختلفة.

في هذا الوقت، وكمحاولة أخيرة للسلام، خاطب الحسين(عليه السلام) قادة الجيش في عدة مناسبات. ذكرهم أنه جاء بناءً على دعوتهم فقط، وليس بمفرده. فإن لم يرغبوا في ذلك، فعليهم السماح له ولرفاقه بالعودة سالمين.

كما ذكر لهم أنه حفيد نبيهم (ﷺ)، وأنه ابن علي وفاطمة (عليهما السلام) وأخذ يروي الأحاديث التي تحدث فيها النبي (ﷺ) عنه وعن أخيه الحسن (عليه السلام).

سقطت هذه الكلمات القوية على آذان صماء، لم يستطع القادة والجنود الرد، كانوا يخلعون من حمل السلاح ضد حفيد نبيهم (ﷺ)، لكنهم كانوا من أتباع عبيد الله بن زياد المخلصين، وكانوا عازمين على إنجاز المهمة التي شرعوا فيها.

انتهت المحادثات وتقدم الأعداء إلى الحسين(عليه السلام) ورفاقه. ثم اندلعت معركة كاملة، يقاتل فيها الجانبان، يتحدثون ويقاثلون بعضهم البعض. لكن هذا لم يكن مثمراً للأعداء، فقد فقدوا مقاتليهم واحداً تلو الآخر. عند رؤية هذا، قرر الأعداء شن هجوم عام على الحسين(عليه السلام). وأتباعه، واستمر القتال بضراوة مع سقوط ضحايا من الجانبين.

كانت شجاعة وقوة ومهارات الحسين(عليه السلام)، وأتباعه لا مثيل لها.

كانت مقاومة جيش الحسين قوية جداً، حيث كبد الأعداء خسارة كبيرة.

سرعان ما أدرك الأعداء أنهم لا يستطيعون تحقيق أهدافهم، وبالتالي، تم إعادة فرض خمسمائة من الرماة. بمجرد وصول الرماة، بدأوا في إطلاق السهام على فرسان الحسين (عليه السلام)، مما أدى إلى شل الخيول وإجبار الجنود على النزول. استمر القتال على قدم وساق مع عدم تمكن الأعداء من السيطرة على الرغم من تعدادهم بالآلاف، و عندما رأى عمر بن سعد أنه غير قادر على اختراق جيش الحسين، أمر بعض رجاله باقتلاع وإحراق خيام الحسين (عليه السلام). ورفاقه. ومع ذلك، واصل الحسين (عليه السلام) ورفاقه القتال، وأظهروا قوة وشجاعة كبيرة. إلى أن نال أصحاب الإمام (عليه السلام) الشهادة الواحد تلو الآخر.

في النهاية، عندما استشهد جميع الصحابة، خرج آل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ساحة المعركة وهاجموا الأعداء مثل الصقور الجائعة والأسود الشرسة.

جاءوا إلى المقدمة، وقاتلوا بشجاعة، وضحوا بحياتهم واحداً تلو الآخر. وكان أول من قُتل في ذلك الوقت هو حفيد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن الحسين، خرج إلى ساحة المعركة بشجاعة كبيرة قائلاً للخصوم:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي أضرب بالسيف أحامي عن أبي

ضرب غلام هاشمي قرشي (١)

ثم يرجع إلى أبيه فيقول: "يا أبة العطش قد قتلني، وثقل الحديد أجهدني، فهل إلى شربة من ماء سبيل أتقوى بها على الأعداء؟ فبكى الحسين (عليه السلام) وقال يا بني يعز علي محمد وعلي بن أبي طالب وعلي أن تدعوهم فلا يجيبوك، وتستغيث بهم فلا يغيثوك، يا بني هات لسانك، فأخذ بلسانه فمصه ودفع إليه خاتمه وقال: أمسكه في

(١) الشيخ المفيد: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، باب ذكر ولد الحسن بن علي (عليه السلام)، ج ٢

فيك وارجع إلى قتال عدوك فإنني أرجو أنك لا تمسي حتى يسقيك جدك بكأسه الأوفى شربة لا تظماً بعدها أبداً. فرجع إلى القتال وهو يقول:

الحرب قد بانـت لها الحقائقُ وظهـرت من بعدها مصادقُ  
واللـه رب العـرش لا نـفـارق جمـوعكم أو تغمد البوارقُ<sup>(١)</sup>

فـفـعل ذلك مـرارةً، فرآه منقذ العبيدي وهو يشدُّ على الناس، فاعترضه وطعنه فصُرِعَ، واحتواه القوم فقطعوه بسيوفهم، فجاء الحسين (عليه السلام) حتى وقف عليه، وقال: " قَتَلَ اللَّهُ قوماً قتلوك يا بُني، ما أجرأهم على الرحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول، وانهملت عيناه بالدموع، ثم قال (عليه السلام): (عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ العِفا).<sup>(٢)</sup>

بعد ذلك، جاء أفراد آخرون من عائلة الحسين (عليه السلام) إلى المقدمة وقاتلوا مع الأعداء. قُتِلَ قاسم بن الحسن (عليه السلام)، وهو حفيد آخر للنبي (صلى الله عليه و)، واستشهد أفراد عائلته واحداً تلو الآخر. في ذلك الوقت، وأثناء رعايته للجثامين، أُبْلِغَ حسين (عليه السلام)، بولادة ابنه<sup>(٣)</sup> حمل الطفل بين ذراعيه وكان يؤذَن في أذني الطفل، وفجأة اخترق سهم أطلقه الأعداء في حلق الطفل وقتله على الفور.

استمر الأعداء في مهاجمة عائلة الحسين حتى قتل جميع المقاتلين من قوته. لم يبق سوى النساء والأطفال الصغار. وقف الحسين (عليه السلام) وحده في ساحة المعركة بينما أحاط به الأعداء، لم يجروا أحد على مهاجمته، بالرغم من مقتل جميع المقاتلين من رفاقه وأفراد أسرته أمام عينيه، ظل الحسين (عليه السلام) جريئاً وحازماً وثابتاً.

عندما رأى شمر أن جنوده يترددون في التحرك نحو الحسين، بدأ في استفزازهم

(١) محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤٥ - الصفحة ٤٣

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ط٢ تحقيق وإشراف: كاظم المظفر، الناشر: ردمك، ١٣٨٥ - ١٩٦٥ م، ص ٧٦.

(٣) تختلف الأقاويل في عمر الطفل الرضيع ما بين يوم وستة أشهر، ولكن المتفق عليه هو بشاعة ما حدث للطفل عندما طلب له الإمام (عليه السلام) شربة ماء

ودفعهم لمهاجمته. حاصروا الحسين (عليه السلام) من كل جانب واقربوا منه. عند هذا، بدأ الحسين (عليه السلام) في استخدام سيفه يميناً ويساراً، وأجبر الأعداء على التراجع. ثم هاجم أحد المقاتلين الحسين (عليه السلام) برمحه، لكنه لم يتمكن من إنهاء حياته. فلما رأى الأعداء ذلك انقضوا عليه من جميع الجهات، لكنه جعلهم يتراجعون.

أثناء القتال، أصبح الحسين (عليه السلام) عطشاناً جداً وذهب إلى نهر الفرات ليروي عطشه، ولكن هنا أيضاً، لم يسمح له الأعداء بشرب الماء.

بدلاً من ذلك، أطلق أحدهم سهماً باتجاهه أدى إلى قطع حلقه. أخرج السهم، ونثر الدم الذي نزل من حلقه إلى السماء، قال: اللهم! أنا أشكو لك... كيف يعامل الناس حفيد رسول الله (ﷺ).

حاول الحسين (عليه السلام) بعد ذلك العودة إلى معسكره، لكن شمر أوقفه.

نظر إلى الجيش، ولم يكن أحد مستعداً لارتكاب جريمة قتل الحسين

بعد رؤية هذا، قام شمر بتوبيخهم بشدة وحرصهم على مهاجمة الحسين (عليه السلام) فحاصره الأعداء مرة أخرى، وهاجم زرعة بن شريك التميمي الحسين (عليه السلام) فضرب كتفه بضربة. وبهذا ضعف الحسين (عليه السلام) ثم تقدم سنان بن النجف وهاجم الحسين (عليه السلام) بحربة وطرحه أرضاً. بأمر من شمر بن ذي الجوشن، ترحل سنان عن حصانه وقطع رأس الحسين (عليه السلام) عن جسده.<sup>(١)</sup> إجمالاً، استشهد أيضاً ستة عشر شخصاً من عائلته واثنان وسبعون رجلاً من أتباعه. كان عمر الإمام الحسين (عليه السلام) ٥٦ سنة و ٥ أشهر و ٥ أيام وقت وفاته، يوم الجمعة العاشر من محرم ٦١ هـ / ٦٨٠ م.

استشهد سيد شهداء الجنة، ملقى بجسده على الأرض ورأسه مقطوعاً عن الجسد، وبعد هذا القتل البشع، نزع الأعداء ملابسه.

(١) ضربه زرعة بن شريك التميمي، وطعنه سنان بن أنس، واحتز رأسه، وقيل إن الذي قطع رأسه شمر بن ذي الجوشن، ويقال إن الذي قتله عمرو بن بطار التلبي، وزيد بن رقادة الحيني، وحمل رأسه إلى ابن زياد خولي بن يزيد ...

إن مأساة كربلاء هي أشنع، وأبشع جريمة قتل يمكن أن يرتكبها شخص ما، ومع ذلك لم تحرك هذه الجريمة النكراء ساكناً لفهاوزن، إذ أخذ يستكمل كتاباته بعد كل هذه الفظائع المتتالية والجرم الثابت في حق بني أمية، (لصالحهم) وكأنه لا يدي جرائمهم - في حق آل البيت - شيئاً، متبعاً مبدأ اللاأدرية Agnosticism في الأمور التي يريد تجاهلها وهو أمر اتبعه توماس هنري هكسلي المعروف بكلب داروين، فكما نصر هيكسلي النظريات الخارجة عن الدين نصر فلهاوزن بني أمية فأصبح كلباً للأمويين، كما أصبح هكسلي كلباً للداروانية.

### مغالطات فلهاوزن بعد استشهاد الحسين (عليه السلام)

بعد أن طوع فلهاوزن نصوصه من أجل الخروج من حادث كربلاء اللعين، بأفضل الصور للأمويين، قام بتغيير صورة التاريخ الذي يثبت مساوئ وبشاعة الجرائم التي ارتكبتها الأمويون، وذلك عن طريق استراتيجية ممنهجة، من خلال رؤيتين متقابلتين، الأولى لصالح الأمويين لتحسين صورتهم وتلمييعها، وفيها وقع فلهاوزن في مغالطة التحيز للمعتقد الشخصي.

والثانية التشكيك في صفات الإمام وأهدافه، وفيها وقع في مغالطة تسميم البئر

### ١- مغالطة التحيز للمعتقد الشخصي Personal Belief Bias

لم يكتف فلهاوزن بإعطاء ظهره للأحداث والمأساة التي يندى لها ضمير البشرية، بل يستكمل فجاجته، بعد مقتل الحسين (عليه السلام)، من تلميع صورة الأمويين وأتباعهم، مبرراً لشمر بن ذي جوشن تحريضه وقتله الحسين (عليه السلام) فيصف موقفه من الإمام (عليه السلام) بأنه نتيجة نظرة شمر للإمام (عليه السلام) على أنه مثير للفتنة والاضطراب، لهذا انقض عليه بغير تردد، ومن هنا يسود شعور سابق ضده لا نرانا ملزمين بالمشاركة فيه. (١)

وهنا يقف فلهاوزن موقف مدرسة الشك المذهبي التي تتوقف عن الحكم، لا لغرض إلا

(١) يوليوس فلهاوزن : أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارجُ والشيعية، ص ١٨٠).

للعبثية المفرطة التي لا طائل من ورائها؛ كما هو الحال في عبثية فلهاوزن وانحيازها للأُمويين، بلا مبرر، سوى أنه قلم مأجور، كُف بالكتابة لمصالحهم الشخصية، فقام باختزال الفضائع والجرائم التي ارتكبتها الأمويون، في مجرد سرد تاريخي، تبعاً لمعتقداته الشخصية، ورتب نصوصاً من شأنها أن تعمل على تحسين صورة الأمويين وأتباعهم، فيروي أنه بعد أن احتز، رأس الإمام الشريف أرسل به ابن زياد، إلى يزيد في دمشق، الذي سر به<sup>١</sup> ولد له أن يمسك بقضيب وينكت به في ثغر رأس الحسين<sup>(١)</sup> ومع بشاعة المنظر وحقارة تصرف يزيد بتمثيله بالإمام، يسارع فلهاوزن بوصف يزيد بالشهامة والعطف الذي أظهره - كما يرى فلهاوزن - للسبايا والأطفال - فيقول عن ذلك<sup>٢</sup> عاملهم يزيد بشهامة وعطف، وأظهر الصداقة لعلي بن الحسين - وكان فتى صغيراً ولكنه على قدر من العقل موفور، مما جعل علياً يعترف له بالجميل. وأذن لأسرة الحسين بالعودة إلى المدينة، في صحبة رجل أبدى من الرقة والاحترام نحو النسوة، ما جعلهن يقدمن له أشوازين شكراً له على صنيعه معهن. ولما وصل ركبهن إلى المدينة ارتفع العويل والصراخ والبكاء.<sup>(٢)</sup>

وهنا لا يخلو النص من المغالطات التي يدسها دائماً فلهاوزن في ثنايا كتاباته، بوصف يزيد بالشهامة والعطف، ونتساءل سؤال المحايدين كيف لنا تصديق هذه القصة المفتعلة لصالح يزيد ؟

أي قلب من النساء هن اللائي يستطعن، أن يشكرن من تسبب في هذه الفجيعة النكراء على مرأى ومسمع منهن؟ !! وكيف بابن الإمام وهو المعصوم من نسل المعصومين، أن يعترف بالجميل ليزيد ؟

إن الحقيقة التي لا مواربة فيها، أنه لم يجرؤ أحد على فعل ذلك، ولم يجرؤ أحد حتى على إيذاء أفراد عائلة الرسول الكريم، غير يزيد، الطاغية المستبد، الذي خالف

(١) المصدر السابق : ١٧٧

(٢) المصدر السابق : ص ١٧٧

هذه القواعد ونفذ مثل هذه المناجح القاسية، فلم يؤخذ بعين الاعتبار هو وأتباعه أفراد عائلة الإمام الحسين (عليه السلام) ونساءه. علاوة على ذلك، قول علي بن الحسين (عليه السلام): " رأيت أفراد عائلتي يذبجون بلا رحمة مثل الإبل".<sup>(١)</sup> فكيف يعترف بالجميل ليزيد، بعد قتل ٧٢ رجلاً من عائلته وأهله أرسلوا جميعاً، إلى الكوفة مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث؟

لذلك كان اعترافه بالجميل - كما يدعي فلهاوزن - ما هو إلا بدعة وضلال ليس لهما أساس من الصحة.

## ٢- مغالطة تسميم البئر

بعد أن قام فلهاوزن بتلميح صورة الأمويين للقراء، انتهج منهجاً مضاداً من أجل تعميم الصورة المقدسة للإمام الحسين (عليه السلام) وإصاق ما ليس به من صفات وأفعال، فنراه يكتب عن الإمام (عليه السلام) بأنه " موضوع الأحاديث العديدة، وهو يعظ غيره ويعظ نفسه، فليس بعجب أن تكون خاتمة هكذا<sup>(٢)</sup>. هنا يجهر فلهاوزن بعدائه للحسين (عليه السلام) وتحييزه للأمويين وكأنه يقول: إن ما حدث للحسين (عليه السلام) هو جزاء له على رفضه البيعة للأمويين، وهذا تأكيد لما ورد من قبل في إنصافه لشمر عندما برر له موقفه وفعلته بالتنكيل بالإمام الحسين (عليه السلام)، وهذا انتهاك صريح، يقترفه فلهاوزن في حق الإمام خاصة، وفي حقوق الإنسان بصفة عامة من حيث تبريره للعنف، لا لشيء إلا لخدمة أهدافه ومصالحه في الانتصار لبني أمية.

كذلك يظهر فلهاوزن انتهاكه لحقوق الإمام بعقد مقارنه مفتعلة بين مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وبين مقتل عثمان بن عفان؛ لا لشيء إلا كونه خليفة أموي، فيصف مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) بأنه قطعة مسرحية انفعالية (ميلو دراما) في حين يصف

(١) محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ابن سعد) : الطبقات الكبرى، ج ٣، تحقيق: محمد

عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ص ٣٤٣

(٢) يوليوس فلهاوزن : أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارجُ والشيعَة، ص

مقتل عثمان بن عفان بأنه مأساة<sup>(١)</sup>.

فلماذا اختار فلهاوزن هذين المصطلحين الميلودراما والتراجيديا ؟

لقد وقع اختيار فلهاوزن على هذين المصطلحين، بقصد منه، من أجل ترجيح كافة عثمان بن عفان كخليفة أموي على كفة الإمام (عليه السلام)، ذلك أن الميلودراما مسرحية انفعالية، الهدف منها ترفيه الجماهير من خلال استخدام الموسيقى وشخصيات وأسلوب التمثيل المبالغ فيه والكوميديا. كانت عبارة عن مزيج من العنف والرومانسية والعاطفة، مع مشاهد قصيرة مليئة بالحركة.<sup>(٢)</sup>

وهذا الوصف هو ما أراد فلهاوزن إيصاله للقارئ من منذ أن بدأ الكتابة عن مأساة كربلاء، أما المأساة التي وصف بها مقتل عثمان، فهي تحمل أحداثاً مؤسفة تصف أي نوع من الكوارث أو المحن<sup>(٣)</sup> وهو ما أراده فلهاوزن، في جذب الانتباه و استعطاف القراء نحو عثمان بن عفان كخليفة أموي، وفي نفس الوقت إبعادهم عن عمق المأساة الحقيقية التي مر بها الإمام الحسين (عليه السلام) بوصفها بالميلودراما. لذلك وصف الإمام (عليه السلام) بأن لديه عيوباً شخصية " تختفي أمام ثورته ومقتله بدعوى أن دم الرسول الله يجري في عروقه ومن أهل بيت الرسول، فلم يكن عليه أن يجهد نفسه

إن ما ادعاه فلهاوزن غير صحيح، فقد قدم الإمام الحسين (عليه السلام) أعز شيء كان يملكه وهو التضحية بنفسه وأصحابه وأهل بيته من أجل بلوغ هدفه المتمثل بالوقوف بوجه السلطان الجائر الذي ابتعد عن الإسلام، كما أن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يرغب أحداً على الانضمام إليه والقتال معه، إذ أوضح بأن القوم يستهدفونه هو دون غيره وخيرهم للانصراف في الليلة التي سبقت المعركة، ولكن ثقة أصحابه به وإيمانهم

(١) المصدر السابق : بتصرف، ص ١٨٧

(٢) انظر معنى الميلودراما الرابط :

<http://akhull.weebly.com/uploads/5/8/5/1/58510965/melodrama.pdf>

(٣) انظر معنى التراجيديا في الموسوعة البريطانية الرابط:

<https://www.britannica.com/art/tragedy-literature>

بقضيتهم جعلهم يضحون بأنفسهم في سبيل ذلك<sup>(١)</sup>

وهو ما لا يستوعبه فلهوزن نتيجة محاولاته منذ البداية، في إثبات النتائج قبل المقدمات من خلال نصرّة الأمويين في مقابل لصق الشبهات والافتراءات بالإمام (عليه السلام)، فوقع في العديد من المغالطات المنطقيه التي تثبت عدم صحة ادعاءته كما بينا في هذا البحث.

### الخاتمة

يتضح من البحث السابق النتائج الآتية:

أولاً: درس فلهاوزن أحداث الثورة الحسينية المباركة دراسة سطحية، وهي عادة معظم المستشرقين، الذين ينصبون العداة للإسلام، فبدأ بأيدلوجية مسبقة هدفها الانتصار للأمويين على حساب آل البيت والإمام الحسين (عليه السلام)، فانتهج منهج الكذب والبهتان الذي لا دليل عليه، في محاولة جادة منه لتشويه سير آل البيت والإمام الحسين (عليه السلام)، حتى يقضي على القدوات والعظماء الذين يعتز، بتاريخهم، وبجهادهم في سبيل الله والدعوة إلى دينه، كل مسلم شيعي أو سني.

ثانياً: أعطى فلهاوزن لكتابات غموضاً مع كثرة الروايات التاريخية التي اعتمد عليها. فجاءت نصوصه مفتقرة إلى الأمانة العلمية والتجرد والموضوعية، فأخذ يكيل التهم جزافاً لآل البيت دون دليل. وهذا يثبت تحييزه التام كقلم مأجور لصالح الأمويين.

ثالثاً: أسس فلهوزن لمبدأ العنف وظهور الجماعات الإرهابية (مثل داعش)، بتبريره قطع رأس الإمام الحسين وأصحابه (عليه السلام)، بالتماسه الأعذار للأمويين، وبالأخص شمر بن جوشن ويزيد بن معاوية منبعي الإرهاب.

رابعاً: لم يفهم فلهاوزن النتائج التي صحبت استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، ففي الوقت الذي حاول فيه الأعداء قتله لإثارة الرعب في كل أرض المسلمين،

(١) حاتم كريم جواد : الإمام علي في كتابات المستشرقين الغربيين، (د.ط) مكتبة العتبة العلوية المقدسة، الرسائل الجامعية (٣٨) كتاب إلكتروني ص ١٨

جاءت النتيجة عكس ذلك تماماً، حيث تم تشجيع المسلمين أكثر على الوقوف ضد الحاكم المستبد واتباع الطريق الصحيح الذي يمثله آل بيت الرسول الكريم. لقد عرفوا على وجه اليقين أن الإسلام الأموي ليس سوى نفاق وعليهم الوقوف ضده. فبدلاً من الخوف والتهديد بالنظر إلى وجه الإمام الحسين ووجوه أصحابه بعد قطع رؤوسهم ووضعها على رؤوس حربة، استلهموا من تلك الوجوه أن يثوروا على الظالمين. وهكذا نجح الإمام الحسين (عليه السلام) في إحياء المجتمع الإسلامي.

خامساً: لم يفهم فلهاوزن أن انتفاضة الإمام الحسين (عليه السلام) قامت على أفعال إلهية و دوافع إنسانية، ولكنها في الوقت نفسه تأسست على الظروف الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في تلك الأيام. على الرغم من أن أعمال الإمام الحسين (عليه السلام) ربما لم تكن معجزة، إلا أنه لا يمكن أن يقوم بها أي شخص باستثناء سيد الشهداء وسيد جميع السادة.

سادساً: لا توجد ثورة في تاريخ العالم مثل ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) هزت العالم وأعطت المجد للحقيقة وخلقت الكرامة للإنسان، فجميع أجزائها، مليئة بالدروس الخالدة فيما يتعلق بالإيمان الذي لا يمكن التغلب عليه أبداً والإيمان الذي لا يُهزم أبداً والسمو الذي لا يُهان أبداً؛ ثورة بدأت عصرًا حديثًا لشعوب العالم ومجتمعات الأرض، وعلاماتها روح الثورة ومعارضة القهر والظلم، ومواجهة المطالب غير المعقولة، ومحاربة الفساد.

### قائمة المصادر والمراجع العربية

#### أولاً المصادر العربية:

- ١ - يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله عن الألمانية وعلق عليه الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده، الناشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨.

٢- يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية: ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة سنة ١٩٦٨.

### ثانياً المراجع العربية:

- ١- أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الملقب بالشيخ المفيد: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، إيران، قم الطبعة الأولى، ١٩٩٥.
- ٢- أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ط ٢ تحقيق وإشراف: كاظم المظفر، الناشر: ردمك، ١٣٨٥ - ١٩٦٥ م.
- ٣- أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١/١٩٩٣ م.
- ٤- الأسعد بن علي: صلح الإمام الحسن (عليه السلام) من منظور آخر، دار التآخي للطباعة و النشر و التوزيع
- ٥- البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: محمود فردوس العظم، ج ٤، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٩٦..
- ٦- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥.
- ٧- ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٧، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون مكان النشر.
- ٨- ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي، ج ٨، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٧.
- ٩- حاتم كريم جيد: الإمام علي في كتابات المستشرقين الغربيين، (د.ط) مكتبة

العتبة العلوية المقدسة، الرسائل الجامعية (٣٨) كتاب إلكتروني

١٠- السيد محمد هادي الحسيني الميلاني: قادتنا كيف نعرفهم، ط٤، (كتاب إلكتروني

١١- عباس محمود العقاد: أبو الشهداء الحسين بن علي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.

١٢- عبد القادر عودة: الإسلام وأوضاعنا السياسية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤ ص ١٥٩.

١٣- محسن الحسيني عاملي: أعيان الشيعة، ج٢، مطبعة ابن زيدون (ب-د).

١٤- محمد باقر المجلسي بحار الأنوار، دار الكتب الإسلامية. (كتاب اليكتروني)

١٥- محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ابن سعد): الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

١٦- محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري= تاريخ الرسل والملوك، ج٤، نشر دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية

١٧- مرتضى مطهري: حماسه حسيني المجلد الأول، الناشر سخرنانيها، مؤسسه صدر، طهران، ١٣٧ هـ.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1- Searle, John. (1983) The Word Turned Upside Down. The New York Review of Books, Volume 30, Number 16, October 27, 1983

رابعاً: المعاجم والموسوعات

١- الموسوعة البريطانية برابط

<https://www.britannica.com/science/Orientalism-cultural-field>

٢- معجم اللغة العربية المعاصرة برابط

<https://www.maajim.com/dictionary/%D9%81%D8%B1%D8%A7%D8%B1>

٣- موسوعة شهادة المعصومين (عليه السلام) - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)

خامساً مواقع الإنترنت:

- <http://akhull.weebly.com/uploads/5/8/5/1/58510965/melodrama.pdf>
- <https://www.britannica.com/art/tragedy-literature>

## المحددات الإقليمية اتجاه الاستراتيجية (الإسرائيلية) في منطقة شرق

### إفريقيا

أ.د. خلود محمد خميس (\*)

م.م. أنوار عباس مطشر (\*)

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/١٠/٤ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١٠/١٥ تاريخ النشر: ٢٠٢٤/٢/٢٨

#### المستخلص:

تتمتع منطقة شرق إفريقيا والتي تضم (الصومال وأثيوبيا وأرتيريا وجيبوتي والسودان وجنوب السودان وأوغندا وكينيا)، بأهمية كبيرة لدى الدول الإقليمية (إيران وتركيا)، إذ تظهر أهميتها لما تشكله من ثقل أصواتها في الأمم المتحدة، كما إنها تطل على أهم الممرات المائية المتمثلة على البحر الأحمر من أرتيريا وجيبوتي والصومال، إذ يربط البحر الأحمر المتوسط بالمحيط الهندي عن طريق قناة السويس في الشمال ومضيق باب المندب في الجنوب، ومن ذلك شكلت أهمية كبيرة في الاستراتيجية الإيرانية التي رأت فيها بوابة الخروج نحو العالم عبر المياه الدولية (البحر الأحمر والمحيط الهندي وخليج عدن)، فضلا عما تحتويه المنطقة من موارد اقتصادية، بالإضافة إلى ذلك سعي إيران للتواجد العسكري والأمني لتعزيز أهدافها

(\*) طالبة دراسات عليا، كلية العلوم السياسية، جامعة المستنصرية.

(\*) أستاذ في كلية العلوم السياسية- الجامعة المستنصرية.

الإقليمية من خلال إقامة شبكة من التعاون مع دول المنطقة وفي مجالات عدة.

أما تركيا فتتمتع بنفوذ كبير في منطقة شرق إفريقيا لأهميتها الاستراتيجية بفعل ما تحويه من ممرات مائية ذات أهمية تجارية وعسكرية وموارد اقتصادية، وبذلك عملت أنقرة على فتح مجالات أوسع للتعاون الاقتصادي والاستثماري، إذ عملت من خلال نشاطها الدبلوماسي لفتح علاقات مع دول شرق إفريقيا لتوسيع تواجدها كجزء من استراتيجيتها بلعب دور إقليمي فاعل.

**الكلمات المفتاحية:** تركيا، إيران، شرق إفريقيا، (إسرائيل).

## **Regional determinants towards the (Israeli)strategy in east Africa**

**Anwar Abbas mtsher<sup>(\*)</sup> Prof. dr. kholoud Mohammed khamis<sup>(\*)</sup>**

Receipt date:4/10/2023 Accepted date: 15/10/2023 Publication date:28/2/2024

### **Abstract**

The east African region, which includes (Somalia, Ethiopia, Eritrea, Djibouti, Sudan, south Sudan, Uganda, and Kenya), is of great importance to the regional countries (Iran and turkey), as its importance appears because of the weight of its voices in the region. It also overlooks the most important waterways represented by the red sea from Eritrea, Djibouti and Somalia, as the red sea connects the Mediterranean sea to the Indian ocean through the Suez canal in the Abstract The East African region, which includes (Somalia, Ethiopia, Eritrea, Djibouti, Sudan, South Sudan, Uganda and Kenya), is of great importance to the regional countries (Iran and Turkey), as its importance appears because of the weight of its voices in the region. It also overlooks the most important waterways represented by the Red Sea from Eritrea, Djibouti and Somalia, as the Red Sea connects the Mediterranean Sea to the Indian Ocean through the Suez Canal in the north and the Bab al-Man dab Strait in the south, and from that It was of great importance in the Iranian strategy, in which it saw the exit gate to the

---

<sup>(\*)</sup> Postgraduate student, College of Political Science, Al-Mustansiriya University.

<sup>(\*)</sup> Professor at the College of Political Science - Al-Mustansiriya University.

world through international waters (the Red Sea, the Indian Ocean, and the Gulf of Aden), in addition to the economic resources contained in the region. Iran's endeavor for a military and security presence to promote its regional goals by establishing a network of cooperation with the countries of the region and in several fields. Turkey, which enjoys great influence in the East African region, is of great importance. This strategy is due to the waterways they contain of commercial and military importance and economic resources. Thus, Ankara worked to open broader areas for economic and investment cooperation, as it worked through its diplomatic activity to open Relations with East African countries to expand its presence as part of its strategy to play an active regional role.

**Key words:** turkey, Iran, east Africa, Israel.

### المقدمة:

تتمتع منطقة شرق إفريقيا بأهمية كبيرة بفضل موقعها الاستراتيجي المتميز، فضلا عن أهميتها الاقتصادية (الموارد الطبيعية) والتجارية والعسكرية (باعتبارها سوقا واحدة واحتوائها على الممرات المائية الاستراتيجية) مما جعلها ساحة للتنافس الدولي والإقليمي، لذلك اكتسبت المنطقة أهمية خاصة في الاستراتيجية التركية والإيرانية، إذ عملت كل منهما ولحقب طويلة لتنفيذ استراتيجيتهما تجاه المنطقة بتعزيز وجودهما وتأمين مصالحهما الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وفي ضوء طموحهم بلعب دور منافس إقليمي لتحقيق أهدافهما الأمنية والاقتصادية والسياسية والعسكرية خاصة في ظل الوجود (الإسرائيلي) في منطقة شرق إفريقيا الذي يرتبط بعلاقات جيدة مع أغلب دول منطقة شرق إفريقيا، كما تسعى (إسرائيل) لفرض هيمنتها الأمنية والعسكرية على البحر الأحمر الذي يعد شريان الحياة (لإسرائيل)، وأن لا يكون بحرا عربيا، وساعدها في ذلك رئيس أرتيريا (أسياس أفورقي) في بناء عدد من القواعد البرية والبحرية بما في ذلك جزر (دهلك) والجزر التي تم استئجارها

من أرتيريا التي تستخدمها كمحطات مراقبة وتجسس. وبذلك سنبحث المحددات الإقليمية (تركيا وإيران) اتجاه الاستراتيجية (الإسرائيلية) في منطقة شرق إفريقيا.

### ١\_ أهداف البحث

التعرف على المحددات الإقليمية (إيران وتركيا) وأبعادهما الاستراتيجية اتجاه دول منطقة شرق إفريقيا، وسبر أغوار استراتيجيتهما لتعزيز أهدافهما الإقليمية لا سيما في ظل احتدام التنافس الإقليمي مع (إسرائيل).

### ٢\_ أهمية البحث

تأتي أهمية هذا البحث من كونه يعرف المحددات الإقليمية في دول منطقة شرق إفريقيا في أبرز محورين منها، محور المحدد الإيراني، ومحور المحدد التركي.

### ٣\_ مشكلة البحث

تنطلق الإشكالية من تساؤل رئيسي، ما هي أبعاد التعاون الإيراني التركي مع دول شرق إفريقيا؟ وما تأثير هذا التعاون على الوجود (الإسرائيلي) في دول المنطقة؟

### ٤\_ فرضية البحث

يتمثل في التوجه الإيراني التركي نحو منطقة شرق إفريقيا، وانطلاقهما من عدة أبعاد لتحقيق أهدافهما ومصالحهما، ولعب دور إقليمي منافس في المنطقة.

### ٥\_ منهجية البحث

اعتمد البحث على منهجين للوصول إلى النتائج المتوخاة، المنهج التاريخي في معرفة بداية التوجه الإيراني التركي لمنطقة شرق إفريقيا، والمنهج التحليلي في تحليل استراتيجيتهما في ظل الوجود (الإسرائيلي) في دول شرق إفريقيا.

### ٦\_ هيكلية البحث

تناول هذا البحث مطلبين، المطلب الأول المحدد الإيراني، أما المطلب الثاني فالمحدد التركي، ثم الخاتمة والمصادر.

## المطلب الأول: المحدد الإيراني

في ظل ما تتميز به منطقة شرق إفريقيا من أهمية استراتيجية فإنها شكلت أهم أهداف القوى الإقليمية الذي تتطلع للاستفادة من مواردها الطبيعية، وتأمين حركة الملاحة البحرية، إذ تمتلك دول المنطقة عددا كبيرا من الموانئ البحرية مما جعلها ساحة للمطامع الإقليمية والتي شكلت تحديا أمام الوجود (الإسرائيلي) في المنطقة.

تأتي أهمية منطقة شرق إفريقيا في الاستراتيجية الإيرانية لما تتمتع به المنطقة كبوابة الخروج نحو العالم عبر المياه الدولية (البحر الأحمر، خليج عدن، المحيط الهندي)، كما تعد بوابتها داخل القارة وقربها من إسرائيل والخليج العربي<sup>(١)</sup>.

بدا الاهتمام الإيراني بالدول الإفريقية منذ عهد نظام الشاه (محمد رضا بهلوي) في الستينيات من القرن الماضي، وأظهر الشاه اهتماما كبيرا بإقامة علاقات معها وقت حصولها على الاستقلال، وقد أقام الشاه علاقات مع (أثيوبيا ١٩٦٢ لكن العلاقة لم تستمر طويلا؛ بسبب تغير النظام السياسي الأثيوبي برئاسة (منغيس تو هيلامريام) وانتمائه إلى الكتلة الشرقية، والصومال (١٩٦٩)، لكن بعد التغير الجذري في إيران على أثر الثورة الإسلامية (١٩٧٩) تراجعت العلاقات مع الدول الإفريقية، بسبب انشغال إيران بترتيب شؤونها الداخلية بعد الثورة، وتساعد النفوذ القطبي المتمثل بـ (الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة الأمريكية) إذ غلب نفوذهما على نفوذ أية قوى دولية أو إقليمية، لكن على الرغم من ذلك لم تغب منطقة شرق إفريقيا عن فكر صانع القرار في السياسة الخارجية الإيرانية

(١) بو زيدي يحيى، السياسة الإيرانية والتركية تجاه إفريقيا دراسة مقارنة، مجلة قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، الرياض، العدد ٢١، ٢٠١٤، ص ٣٨.

التي تتطلع إلى توجيه توسعها إلى خارج إطار الدولة الجغرافي<sup>(١)</sup>.

وبذلك اهتمت بالجوانب الاقتصادية والسياسية والثقافية والأمنية مع دول شرق إفريقيا وعلى طول سواحل البحر الأحمر والسودان وبقية الدول من شرق إفريقيا مثل (وجيبوتي وأرتيريا وأثيوبيا وكينيا)، وذلك من خلال الزيارات المتبادلة للمسؤولين من الطرفين، وعدت الدول أرضاً للأنشطة السياسية والاقتصادية والعسكرية الإيرانية<sup>(٢)</sup>.

إذ أدركت إيران أهمية المنطقة لما تتمتع به من موارد الطاقة ولقربها من الدول العربية وإسرائيل، ولما تحتويه المنطقة من ممرات مائية، وبذلك أصبحت ذات أهمية في التفكير الاستراتيجي الإيراني المتعلق بسعي إيران للتواجد العسكري أو الأمني أو لدعم اللوجستي لتعزيز أهدافها الإقليمية من خلال إقامة شبكة من التعاون في المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية مع دول المنطقة<sup>(٣)</sup>. كما أن بعضاً من دول شرق إفريقيا مثل (كينيا، أثيوبيا) دول متحالفة مع القوى الغربية (الولايات المتحدة الأمريكية)، وكانت إيران ترغب في اختراق تلك التحالفات، وتأمين أمنها في مواجهة التحديات الخارجية، خاصة بعد أن ترسخت لديها قناعة بأنها أصبحت دولة إقليمية، فضلاً عن التحرك الإيراني الذي جاء لتحقيق التوازن بين الاقتصاد والإيديولوجية، وكسب تأييد أصوات الدول الإفريقية للمواقف الإيرانية في المنظمات الدولية والإقليمية: كحركة عدم الانحياز ومنظمة الأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر

(١) ندى عليوي لعبيبي، التنافس الإقليمي في القرن الإفريقي بعد عام ٢٠٠١، بيت الحكمة، بغداد ط١، ٢٠٢١، ص ٢١٧.

(٢) حسام صادق حاجم، التنافس الأمريكي- الصيني على الطاقة في إفريقيا، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا- برلين، ط١، ٢٠٢٠، ص ١٣٤.

(٣) سعد عبيد علوان السعيد ومصطفى عبد الكريم، التنافس الدولي والإقليمي في منطقة القرن الإفريقي - شرق إفريقيا وانعكاسه على الأمن في الشرق الأوسط، مجلة تكريت للعلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة تكريت، العدد ٣، ٢٠١٩، ص ١٤٣.

الإسلامي<sup>(١)</sup>. وسوف يتم تناول المطلوب ضمن نقاط معينة هي:

### أولاً: أهداف الاستراتيجية الإيرانية للتوجه نحو منطقة شرق إفريقيا<sup>(٢)</sup>

سعت إيران في التركيز على منطقة شرق إفريقيا، كونها تعد أحد أهم مفاتيح اللعبة في أي ترتيبات في الشرق الأوسط، في سعي منها لفتح ممرات بحرية وبرية تسهل الوصول إلى مناطق الأزمات في منطقة الشرق الأوسط، لا سيما الأطراف ذات العلاقة المباشرة بالصراع العربي – الإسرائيلي، بواسطة تأمين وجود إيراني بالقرب من الممرات البحرية (البحر الأحمر، وباب المندب)، وإمكانية تهديد أمن إسرائيل في مواجهة أي احتمالات مستقبلية لفرض قيود على مضائق البحر الأحمر والملاحة فيه<sup>(٣)</sup>.

وأبدت إيران اهتماماً متزايداً بمنطقة شرق إفريقيا، خاصة في ظل التسابق الدولي، وفتح المزيد من مجالات التعاون مع مختلف التجمعات لتأسيس وجود إيراني مادي على الأرض، وبحري فعال في البحر الأحمر ليقود إلى قناة السويس، لذا عملت على تقوية علاقاتها بالدول الإفريقية التي تطل على البحر الأحمر<sup>(\*)</sup> مثل أرتيريا، وجيبوتي<sup>(٤)</sup>. ومن خلال عدة نقاط:

١\_ مد نفوذها السياسي كجزء من مواجهة هيمنة الدول الغربية ولتخفيف الضغط الغربي والولايات المتحدة عليها نتيجة العقوبات.

٢\_ العمل على تصدير الثورة الإيرانية من خلال نشر المذهب الشيعي في شرق إفريقيا

(١) إسراء رشيد عبد الله البياتي، الاستراتيجية الأمريكية تجاه منطقة القرن الإفريقي بعد ٢٠٠١ دراسة جيوسراتيجية، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة النهدين، ٢٠١٤، ص ١١٦. وللمزيد ينظر: ندى عليوي لعبيبي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٨.

(٢) حسام صادق حاجم، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤\_١٣٥.

(٣) ندى عليوي لعبيبي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٠.

(\*) وهي: مصر والسودان (شمالاً)، وأرتيريا وجيبوتي والصومال على الضفة الإفريقية، والضفة الآسيوية هي اليمن، والسعودية، والأردن، وفلسطين المحتلة، وإسرائيل.

(٤) فريدة بنداري، سياسة إيران تجاه إفريقيا من منظور الجيوستراتيجية المذهبية، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد ٢١٩، ٢٠٢٠، ص ٤٤.

خاصة في الدول المسلمة، من خلال المنظمات الإسلامية الإيرانية والمراكز الثقافية.

٣\_ تعزيز مصالحها الاقتصادية عبر دبلوماسية النفط لتقليل الأضرار التي تلحق بالاقتصاد الإيراني نتيجة العقوبات الغربية من جهة ومن جهة أخرى توثيق العلاقات مع الدول الإفريقية.

٤\_ ترسيخ التواجد الإيراني في البر والبحر في البلدان والموانئ والتأثير على الممرات البحرية الحيوية أثناء الأزمات وخاصة مدخل البحر الأحمر.

### ثانيا: أدوات تنفيذ الاستراتيجية الإيرانية تجاه شرق إفريقيا

١\_ **الأداة السياسية:** ظهرت بوادر السياسة الإقليمية الإيرانية بالتبلور والوضوح في مرحلة السبعينيات عندما بدأت إيران تعد نفسها لملء الفراغ بانسحاب بريطانيا، فتوجهت إيران أولا نحو السودان بسبب الطابع الإسلامي الذي يحكم توجهات الطرفين لتعمل على تحقيق التعاون المشترك، من خلال قيام العلاقات الدبلوماسية بين البلدين عام (١٩٧٤)، فأقدم الرئيس السوداني آنذاك (جعفر النميري ١٩٦٩ \_ ١٩٨٥) على زيارة إيران خلال السنة نفسها، وكانت هذه أول زيارة لرئيس السودان

الى إيران، ولم تتغير السياسة الإيرانية برحيل الشاه، بل توسعت أكثر<sup>(١)</sup>.

وفي عهد الرئيس الإيراني (محمد خاتمي ١٩٩٧\_٢٠٠٥)، والذي سعى إلى إزالة التوتر في السياسة الخارجية الإيرانية كوسيلة لإخراج إيران من عزلتها ودعم علاقاتها مع الدول الأخرى، والانفتاح الإيراني على العالم الخارجي بطريقة براغماتية متحررة من القيود الأيديولوجية، فضلا عن (مشروعه لحوار الحضارات)، وبفضل هذا الطرح استطاعت إيران تحقيق عملية التوازن بين الاقتصاد والأيديولوجية، حيث كان لإيران قناعة تامة بأنها أصبحت قوة إقليمية، لهذا وجدت بأن عليها أن تتجه نحو كسب تأييد

(١) عبد السلام إبراهيم البغدادي، السودان المعاصر السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٥، ص١٩.

الدول الإفريقية للمواقف الإيرانية في المحافل الدولية، وبذلك شهدت فترة التسعينيات عودة الاهتمام الإيراني بالدول الإفريقية وخاصة شرق إفريقيا والذي برز كمحور رئيسي في الاستراتيجية الإيرانية<sup>(١)</sup>، كما عملت إيران على تكريس دعمها للدول الإفريقية مقابل تأييدها للبرنامج النووي الإيراني، إذ حرصت إيران على توثيق العلاقات مع دول شرق إفريقيا، وبرز ذلك بشكل واضح جدا في عهد حكومة (محمود أحمددي نجاد ٢٠٠٥-٢٠١٣))، لتشكل لجنة إفريقية في بنية وزارة الخارجية الإيرانية كخطوة مهمة لتحقيق الأهداف، وعُدَّ عام (٢٠٠٨) عام تنمية العلاقات مع دول شرق إفريقيا<sup>(٢)</sup>. وفي عام (٢٠٠٩) انتقدت إيران المذكرة الدولية التي أصدرتها المحكمة الجنائية الدولية للقبض على الرئيس السوداني (عمر البشير الذي تولى السلطة في السودان منذ ١٩٩٨) ووصفتها إيران بأنها ظلم وتحركها لاعتبارات سياسية، وفي المقابل دعم الرئيس السوداني حق إيران في امتلاك الطاقة النووية<sup>(٣)</sup>. أما أرتيريا والصومال فإنهما كانتا شريكين متعاطفين مع إيران، إذ تهتم إيران بتوثيق علاقاتها بأرتيريا لإطلاقها على البحر الأحمر وخليج عدن، فضلا عن موقعها البحري المهم في الفناء الخلفي للملكة العربية السعودية<sup>(٤)</sup>، ومثلت زيارة الرئيس الأرتيري (أسياس أفورقي) لإيران في (آيار / ٢٠٠٨)، ولقاؤه (بأحمددي نجاد) دليلا على العلاقات الوثيقة بين البلدين، وتم خلال الزيارة عقد اتفاقيات لتقوية التعاون في مجال التجارة والاستثمار، ووقعها وزير الخارجية الإيراني (منوشهر متكي) ووزيرا الاقتصاد

(١) ندى عليوي لعبيبي، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢١٨-٢٢٠.

(٢) ندى عليوي لعبيبي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٠.

(٣) مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب، نشاط إيران في شرق إفريقيا (بوابة الشرق الأوسط والقارة الإفريقية)، ترجمة قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، المملكة العربية السعودية، العدد ٥، يونيو / جماد الثاني ٢٠١٠، ص ١٠٧.

(4) gerald feierstein, craig greathead, the fight for Africa the new focus of the Saudi\_ranian rivalry, middle east institute, policy focus, September 2017,p1.

والزراعة في أرتيريا، فضلا عن مشاركة رجال الأعمال الإيرانيين في الزيارة<sup>(١)</sup>، أما الصومال فتشكل نقطة اتصال لإيران في دعم وجودها في القرن الإفريقي عند مدخل البحر الأحمر، وانضمت إيران لقائمة الدول المهتدة في حركتها البحرية من القرصنة وذلك بسبب الضرر الذي تعرضت له من عمليات القرصنة عند الساحل الشمالي، إذ اختطف القرصنة في (٢١ / آب / ٢٠٠٨) سفينة شحن إيرانية والتي كانت محملة بـ (٤٠٠) ألف طن من الحديد وفي طريقها من الصين إلى هولندا<sup>(٢)</sup>، كما سعت إيران بمد جسر التعاون مع كينيا لكسر القيود المفروضة عليها، في إطار العلاقات والتفاعلات الدولية، وبالمقابل فإن كينيا عانت من العزلة خلال حقبة حكم الرئيس الكيني السابق (مواي كيباكي)<sup>(\*)</sup>، ومن هنا التقت مصالح البلدين في تطوير العلاقات الثنائية، وزار (أحمدي نجاد) عام (٢٠٠٩) كينيا والتقى الرئيس الكيني (مواي كيباكي) ورئيس الوزراء، وتم توقيع عدد من مذكرات التفاهم، وبذلك وصلت الزيارات بينهما أعلى مستوى من التمثيل الدبلوماسي بمستوى سفارات لكلا البلدين، أما في الفترة الزمنية من (٢٠١٣) وحتى (٢٠٢١)، فانشغلت إيران بالدول العربية والخليجية، ورافق تلك الفترة حدثان مهمان هو توقيع إيران الاتفاق النووي (٢٠١٥)، وعام (٢٠١٨) خروج الولايات المتحدة منه<sup>(٣)</sup>.

٢\_ **الأداة الاقتصادية:** تعد من اهم الجوانب لتوثيق العلاقات الإيرانية مع دول المنطقة، حيث نشطت إيران في مجال الاستثمار وتم توقيع العديد من الاتفاقيات مع بعض دول المنطقة، إذ وقعت إيران مع كينيا مذكرة تفاهم في مجال الإسكان وبناء

(١) وللمزيد ينظر: مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب، نشاط إيران في شرق القارة، مجلة قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، المملكة العربية السعودية، العدد ٥، ٢٠١٠، ص ١١٠.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١١٠.

(\*) مواي كيباكي: هو عالم الاقتصاد الكيني تولى منصب رئيس كينيا من (٣٠ / ١٢ / ٢٠٠٢ \_ ٩ / ٤ / ٢٠١٣)، وكان عضو الجمعية الوطنية الكينية ونائب الرئيس الكيني (دانيل اراب موي) ١٤ / ١٠ / ١٩٨٧ \_ ٢٤ / آذار / ١٩٨٨، وكان وزيرا للمالية (١٩٦٩ \_ ١٩٨٢)، وتوفي في ٢٢ / ٤ / ٢٠٢٢ عن عمر ٩٠ عاما.

(٣) فريدة بنداري، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩.

المدن ودعم الاستثمار ومساهمة شركات البناء الإيرانية والكنينية لتنمية بناء المباني وإنتاج مواد البناء في البلدين<sup>(١)</sup>، وفي عام (١٩٨٩) في عهد الرئيس السوداني (عمر البشير) أقام كلا البلدين شراكة استراتيجية من خلال الاتفاقيات الاقتصادية والعسكرية، كما زار الرئيس الإيراني الأسبق (علي أكبر هاشمي الذي حكم من ١٩٨٩\_١٩٩٧) الخرطوم عام (١٩٩١) للاتفاق على بيع النفط للسودان بأسعار زهيدة، كما عمل على توقيع ميثاق عسكري يقضي بتدريب المقاتلين الإسلاميين في السودان على يد الحرس الثوري الإيراني<sup>(٢)</sup>، وفي عام (١٩٩٦)، قام رفسنجاني بجولة إلى كينيا وأرتيريا وأوغندا وتنزانيا من دول شرق إفريقيا، لتعزيز سبل التعاون الاقتصادي فيما بين إيران ودول شرق إفريقيا، فضلا عن تطبيق استراتيجيات مستدامة نسبيا لتسيير العلاقات الاقتصادية<sup>(٣)</sup>، وفي (تشرين الأول/ أكتوبر من عام ٢٠٠٤) قام خاتمي مع وفد وزاري ضم وزير الخارجية والدفاع والصناعة والمعادن ومدير إدارة إفريقيا في وزارة الخارجية، فضلا عن عدد من كبار المسؤولين الإيرانيين بزيارة السودان، وفي عام (٢٠٠٥) قام بزيارة لدول شرق إفريقيا (أوغندا)، إذ شكلت تلك الزيارات أهمية كبيرة في تعزيز التعاون وتحسين العلاقات وتنميتها ووضعها في مسارها الطبيعي وتعزيز القواسم المشتركة لمواجهة التغيرات الإقليمية والدولية<sup>(٤)</sup>، وكان لنشاط المسلمين الشيعة دور ملحوظ في كينيا، ومن المؤسسات الشيعية النشطة على أرض

(١) إسرائ رشيد عبد الله البياتي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٩.

(2) may darwich, Saudi\_ Iranian rivalry from the gulf to the horn of Africa: changing geographies and infrastructures, project on middle east political science, university of Birmingham, <https://pomeps.org/saudi-iranian-rivalry-from-the-gulf-to-the-horn-of-Africa-changing-geographies-and-infrastructures>.

(٣) شريف شعبان مبروك، السياسة الخارجية الإيرانية في إفريقيا، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، ابو ظبي، ط١، ٢٠١١، ص ١٤.

(٤) شريف شعبان مبروك، مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

الواقع شبكة الأغا خان للتنمية الاقتصادية<sup>(\*)</sup> استثمارات رئيسية في توليد الكهرباء، والزراعة، والإعلام، والسياحة، وتعتبر من أنجح المنظمات والمؤسسات المدرجة في بورصة نيروبي، وتوفر فرص العمل لعشرات الآلاف من الكينيين<sup>(١)</sup>، كما تم افتتاح "بيت إيران للابتكار والتكنولوجيا" والذي يقع في مبنى السفارة الإيرانية في نيروبي الكينية وبحضور (العالم الإيراني سورينا ساتاري<sup>(\*\*)</sup> ووزير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في كينيا جوزيف مارشيرو، ورئيس غرفة التجارة في كينيا ريتشارد أنغاتي)، ويساهم في تيسير الإجراءات المتعلقة بصادرات الشركات المعرفية والمبدعة الإيرانية إلى أسواق شرق إفريقيا<sup>(٢)</sup>، وإلى جانب ذلك شاركت إيران مع كينيا في مجال تبادل المعلومات والتجارب والخبراء في مجال الأبحاث، وحاولت إيران توظيف العزلة التي يعاني منها الرئيس الكيني (ماوي كيباكي) دولياً لتحقيق أهدافها والعمل على نشر المذهب الشيعي بين مسلمي كينيا<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن الوجود الإيراني في البحر الأحمر من خلال تواجدها في السودان وأرتيريا التي وقعت معهما اتفاقية عام (٢٠٠٨) لإنشاء قاعدة بحرية في ميناء عصب الأرتيري، وبذلك تعتبر (إسرائيل) الوجود الإيراني تهديداً لملاحتها في البحر الأحمر (ميناء أيلات المطل على البحر الأحمر)، وبذلك تعد إسرائيل الدور الإيراني في إفريقيا ككل وفي شرق إفريقيا خاصة، تهديداً لمصالحها الاقتصادية في المنطقة، وشكل ذلك دافعاً لها لفتح علاقات مع دول شرق إفريقيا،

(\*) مجموعة من الوكالات التنموية الدولية اللا طائفية تعمل على تحسين الظروف المعيشية في البلاد النامية وبشكل خاص في شرق إفريقيا، وتعمل على نشر الوعي الاجتماعي للإسلام.

ويكيبيديا، <https://2u.pw/ivklbo>.

(١) فريدة بنداري، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠.

(\*\*) سورينا ساتاري: عالم ومخترع إيراني من مواليد ١٩٧٢ شغل منصب نائب الرئيس للعلوم والتكنولوجيا ٤ أكتوبر ٢٠١٣ في عهد الرئيس حسن روحاني .

(٢) إذاعة طهران، إيران تفتتح مركزاً للابتكار في جمهورية كينيا، الأربعاء ٢٧ كانون الثاني ٢٠٢١، تاريخ الزيارة ١٥ / ٨ / ٢٠٢٢، متوفر على الرابط

<https://arabicradio.net/news/79953>.

(٣) إباد عبد الكريم مجيد، العلاقات الإيرانية السنغالية ١٩٧٩-٢٠١١، المجلة السياسية والدولية، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، العدد ٢٥، ٢٠١٣، ص ٤.

ولعل ما قام به وزير الخارجية الإسرائيلي (أفيغدور ليبرمان) خلال زيارته إلى دول المنطقة عام (٢٠٠٩) كان هدفه الرئيسي مواجهة نفوذ إيران، وكذلك ما قام به رئيس الوزراء الإسرائيلي (بنيامين نتنياهو) (٢٠٠٩) لدعوة رؤساء الدول الإفريقية لزيارة إسرائيل، وحثهم على تشكيل محور إفرو إسرائيلي لمواجهة خطر التمدد الإيراني في المنطقة، والحفاظ على مصالح إسرائيل وأهدافها الحيوية في المنطقة<sup>(١)</sup>.

**٣\_ الأداة العسكرية:** تعد منطقة شرق إفريقيا الجانب الأكثر أهمية لإيران من الناحية الجيوسياسية، ومن هنا أدركت إيران وجود مجموعة من الأهداف المرتبطة بالجانب العسكري فسعت إلى تحقيقها في المناطق الاستراتيجية مثل البحر الأحمر وخليج عدن وباب المندب وخاصة في ظل سيطرتها على مضيق هرمز الذي تطل عليه من الشمال عبر محافظة بندر عباس، باعتبار هذه المنطقة هي الأقرب استراتيجيا لها والتي تمر منها السفن عبر باب المندب وقناة السويس باتجاه أوروبا ودول العالم، وبالتالي حرصت إيران على إيجاد موطئ قدم لها في منطقة شرق إفريقيا وخصوصا في الصومال وجيبوتي والسودان<sup>(٢)</sup>، ففي السودان عملت إيران عام ١٩٩٧ على تقديم الدعم العسكري للحكومة السودانية في الحرب ضد حركات التمرد في جنوب السودان، وكذلك ساعدت إيران في بناء جهاز أمني في السودان والذي تكون من قوات الدفاع الشعبي وشرطة الأمن، فضلا عن زيارة الرئيس الإيراني آنذاك (هاشمي رفسنجاني) إلى السودان في (١٣ / كانون الأول / ١٩٩١) وتدخل شخصيا لحل الخلاف بين الرئيس السوداني (عمر البشير) والرئيس الأوغندي (يوري موسفيني) حول دعم المعارضة المسلحة في كلا البلدين، وهو ما يمكن عده قمة التنسيق بين السودان وإيران، والذي

(١) رائد حسنين، مصدر سبق ذكره، ص ٣١. وللمزيد ينظر: محمد بدير، زيارة ليبرمان إلى إفريقيا: اهتمام إسرائيلي بالقارة السوداء، ٧ آب ٢٠٠٩، تاريخ الدخول (٢٢ / ١ / ٢٠٢٣)، متاح على الرابط: <https://2u.pw/bbecx5>.

(٢) بدر حسن شافعي، الدور الإيراني في إفريقيا (المحددات التحديات)، دراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات، ١٤ / ٢ / ٢٠٢٠، ص ٤. وللمزيد ينظر: إسرائ رشيد عبد الله البياتي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٥ وما بعدها.

نتج عنه توقيع السودان اتفاقاً مبدئياً للسلام مع أوغندا في (٩ / أيلول / ٢٠٠٣) وبرعاية مباشرة من الرئيس الإيراني (رفسنجاني)<sup>(١)</sup>، أما الصومال وأرتيريا فكلاهما يحتلان مكانة هامة في الاستراتيجية الخارجية الإيرانية الاقتصادية، إذ عملت إيران على توطيد علاقاتها بأرتيريا كدولة تعاني أيضاً من الضغوط الدبلوماسية من الولايات المتحدة، وقدمت إيران لها قرضاً عام (٢٠٠٨) ما يعادل (٢٥ مليون يورو)، حيث التواجد الإيراني في قاعدة عصب الأرتيري، وبحسب العديد من التحليلات إن إيران استعملته لنقل الأسلحة إلى داخل جنوب اليمن، فتحدث تقرير صدر عن مركز دراسات استراتيجي وأمني أمريكي (ستراتفور) في (تشرين الأول / ٢٠١٢) إن إيران تستعمل الميناء الأرتيري لإيصال المؤن والأسلحة للحوثيين في شمال اليمن، كما أن الباحثين في أجهزة الاستخبارات الغربية توصلوا لنقطة مهمة وهي أن الوجود العسكري الإيراني في ميناء عصب الأرتيري يشير إلى مخطط إيراني لا يستهدف فقط اختراق أرتيريا والقرن الإفريقي (الصومال وجيبوتي التي تتحكم في ضفتي باب المندب)، بل أيضاً نقل صدى الاختراق ليصل إلى مضيق هرمز والخليج العربي إلى خليج عدن وباب المندب وهو الممر الحيوي لناقلات النفط<sup>(٢)</sup>، أما تجاه الصومال فسعت إيران لتوسيع دائرة وجودها العسكري تحت ذريعة محاربة القرصنة، وتمكنت إيران عام (٢٠٠٨) من إرسال سفينة بمهمة عسكرية، فتحول الموقع الاستراتيجي عند باب المندب وخليج عدن إلى أكبر قاعدة بحرية إيرانية خارج مضيق هرمز<sup>(٣)</sup>، وبذلك أصبح لدى إيران الكثير من القطع الحربية البحرية التي تتواجد بصفة مستمرة في شمال المحيط الهندي وباب المندب والبحر الأحمر وخليج عدن، وفي عام (٢٠١٠) شاركت إيران في

(١) شريف سميان شريف، السياسة المصرية تجاه إفريقيا (١٩٨١م - ٢٠٠٥م)، رسالة ماجستير، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠، ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) رحموني عبد الرحيم، التواجد الإيراني في الصومال وأرتيريا: بين الدين والسياسة وحتمية المصلحة، المركز الديمقراطي العربي، برلين - ألمانيا، ٢٥ ديسمبر ٢٠١٦، تاريخ الزيارة (١ / ١٢ /

٢٠٢٢)، متوفر على الرابط، <https://democraticac.de/?p=41629>.

(٣) رحموني عبد الكريم، مصدر سبق ذكره.

مناورة مع جيبوتي، ووضعت إيران استراتيجية عسكرية تمتد إلى عام (٢٠٢٥م) تهدف إلى نشر القوات البحرية بكفاءة وسرعة قياسية على امتداد مثلث استراتيجي من مضيق هرمز إلى البحر الأحمر<sup>(١)</sup>، وبناء على ذلك، عدت إسرائيل الوجود الإيراني في المنطقة تهديدا لوجودها وأمنها، وعملت على التصدي له من خلال إقامة علاقات مع دول المنطقة وتقديم الخبرات الإسرائيلية في المجال العسكري من تدريب وتسليح وتدريب جيوشها، فضلا عن تعزيز وجودها عبر أرخبيل (دهلك) في أرتيريا من خلال مراقبة الأنشطة الإيرانية في المنطقة وحراسة تجارتها البحرية، وبذلك عززت إسرائيل من وجودها الأمني وانتشارها العسكري (البحري والجوي) في دول المنطقة، لمواجهة الوجود الإيراني.

#### ٤\_ الأداة الثقافية: انتهجت إيران في سياستها الخارجية مبدأ (تصدير الثورة

الإسلامية)، ورفع شعار(حماية المستضعفين، ومواجهة الاستكبار العالمي)، وعلن هذا الأساس ارتبطت إيران في علاقاتها مع دول المنطقة بوصفها دولا ضعيفة وسهلة الاختراق في تبني أفكار الثورة الإسلامية. فعن طريق العلاقات الثقافية، أخذت العلاقات الإيرانية تأخذ شكل المؤتمرات مثل، المؤتمر السنوي الأول للعلاقات الثقافية والحضارية الإيرانية الإفريقية والذي عُقد بين (٤/٣٠) و(٢٠٠١/٥/٢)، كذلك في (مارس/ ٢٠٠٣) عقدت إيران منتدى التعاون الإيراني الإفريقي، وبعده أنشأت (المجلس التنفيذي الإيراني الإفريقي) لتنفيذ المشاريع المشتركة بين الجانبين<sup>(٢)</sup>. وبذلك استثمرت إيران جهودها عن طريق المؤسسات الإيرانية والمراكز الثقافية التي تنشر أفكار وتوجهات الثورة الإيرانية، وتعزيز وجودها في البلاد الإسلامية والمجتمعات الإسلامية التي تعيش في شرق إفريقيا<sup>(٣)</sup>، فمثلا في الصومال تعمل مؤسسة الخميني

(١) ندى عليوي لعيبي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٣.

(٢) بو زيدي يحيى، السياسة الإيرانية والتركية تجاه إفريقيا دراسة مقارنة، مجلة قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، الرياض، العدد ٢١، ٢٠١٤، ص ٤١.

(٣) إسرائ رشيد عبد الله البياتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢١.

للإغاثة في مساعدة آلاف النازحين في الداخل الصومالي<sup>(١)</sup>، كما اعتمدت إيران على جاليات الشيعة التي لعبت دورا كبيرا في التأثير على العلاقات الإيرانية \_

الإفريقية والتي تنتشر في تنزانيا وكينيا والصومال، وعملت إيران على بناء المساجد والجامعات والمراكز الثقافية التي ساهمت في نشر التشيع، كما عملت أيضا على استقبال الطلاب الأفارقة في جامعاتها لدراسة التعاليم الإسلامية الإيرانية<sup>(٢)</sup>، وعملت على دعم المراكز الدينية التعليمية، فعندما زار وزير التعليم الإيراني عام (٢٠١٤) أرتيريا والتقى بمفتي أرتيريا، دعا إلى التوسع في إقامة المراكز القرآنية في أرتيريا، وفي عام (٢٠١٦) استضافت مدينة قم الإيرانية مؤسسة رسمية لنشر التشيع في (٣٠) دولة إفريقية<sup>(\*)</sup> تحت عنوان "الدعوة والترويج ونشر التشيع"<sup>(\*\*)</sup>

والتعريف بالإمام المهدي ورسالته، كما ترعى شؤون المتشيعين في إفريقيا ككل وتدعمهم، وكذلك تعمل على إنشاء الجامعات التي تساهم في نشر التشيع مثل جامعة المصطفى الإيرانية، التي تروج لرسالة إيران والتوجه الديني الشيعي لها في جميع أنحاء العالم وإفريقيا<sup>(٣)</sup> وبالإضافة إلى تلك المهام تقوم إيران بتنفيذ نشاطات دعائية حول "تحرير فلسطين" والقضاء على إسرائيل من أجل تعميق أو نشر

(١) رحموني عبد الكريم، مصدر سبق ذكره.

(٢) شريف شعبان مبروك، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٦\_٢٧.

(\*) الدول هي (النيجر، غينيا، سيراليون، نيجيريا، تنزانيا، السودان، كينيا، جزر القمر، بنين، مالي، زامبيا، غينيا بيساو، ساحل العاج، موريتانيا، غامبيا، ليسوتو، سوازيلاند، سيشل، الرأس الأخضر، زيمبابوي).

(\*\*) وهو مشروع إيراني لنشر التشيع، حيث دعت طهران مئات المتشيعين والمعممين الأفارقة لحضور المؤتمر في قم التي تحتوي على أكبر مدارس وحوزات تستقطب الطلبة الشيعة والسنة الذين يتشيعون في العالم، وشكلت إيران اتحاد الطلبة الشيعة كأول مؤسسة رسمية ترعى شؤون المتشيعين في إفريقيا، وتدعمهم وتعمل على نشر التشيع عن طريق الطلبة الأفارقة الذين يتخرجون من الجامعات الإيرانية. محمد مجيد الأحوازي، إيران تطلق أكبر مشروع لنشر التشيع في إفريقيا، موقع عربي ٢١، ٢٠١٦، تاريخ الدخول (٢٠ / ٢ / ٢٠٢٣)، رابط الدخول: <https://2u.pw/h3z3zv/>

(٣) بدر حسن الشافعي، الدور الإيراني في إفريقيا...، مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

الإيديولوجية الإيرانية في نفوس المسلمين من غير الشيعة في الدول الإفريقية<sup>(١)</sup>، وبالتالي فإن تلك النشاطات شكلت محمداً أمام التغلغل (الإسرائيلي) في شرق إفريقيا، والتي عدتها (إسرائيل) منافساً لها في منطقة شرق إفريقيا مما يشكل تهديداً لها ولمصالحها في المنطقة، لكن في المقابل خطت (إسرائيل) خطوات سريعة في تعميق علاقاتها مع دول المنطقة، فمثلاً في كينيا تم القبض على إيرانيين عام (٢٠١٦) وحبسهم بتهمة التخطيط للاعتداء على السفارة (الإسرائيلية)، والتجسس وجمع المعلومات وتصوير السفارة (الإسرائيلية) في نيروبي<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: المحدد التركي

تتمتع تركيا بنفوذ كبير في منطقة شرق إفريقيا وذلك لأهميتها الاستراتيجية وتماشياً مع طموحات تركيا بلعب دور الفاعل المركب (عالمي وإقليمي) أوسع خارج منطقة الشرق الأوسط، لهذا حاولت الدخول بقوة في المنطقة لاعتبارات كبيرة، خاصة في ظل توسيع آفاق التعاون والشراكة مع دول المنطقة في ضوء ما تحتويه من ممرات مائية ذات أهمية تجارية وعسكرية مثل (خليج عدن ومضيق باب المندب)، التي تتحكم بالدخول للبحر الأحمر والتي تعد من أهم طرق الملاحة التجارية للعالم. بدأت السياسة الخارجية التركية بوضع خطة "الانفتاح على إفريقيا" عام (١٩٩٨) لكن الخطة فشلت نتيجة الاضطرابات السياسية الداخلية في تركيا، ولم يكن لتركيا في شرق إفريقيا أي دور سوى افتتاح سفارة تركيا عام (١٩٦٢) في العاصمة الأثيوبية أديس أبابا، لكن بعد تولي حزب العدالة والتنمية السلطة في تركيا عام (٢٠٠٢) اتبع

(١) وللمزيد ينظر: عبد الله عيسى الشريف، النفوذ الإيراني في شرق إفريقيا الأدوات والاستراتيجيات، المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية، ٢ مارس / أبريل / ٢٠٢٠، تاريخ الزيارة (١) / ١٢ / ٢٠٢٢، متوفر على الرابط: <https://afaip.com>.

(٢) جريدة الشرق الأوسط، كينيا تعتقل إيرانيين بتهمة التخطيط للاعتداء على السفارة الإسرائيلية، رقم العدد (١٣٨٨٥)، ٣ أيلول ٢٠١٦، تاريخ الدخول (٢٠ / ٢ / ٢٠٢٣)، متوفر على الرابط: <https://2u.pw/8rsur4>.

سياسة التوسع خارج نطاق الجغرافية التقليدية على إفريقيا نظرا للأيدولوجية التي اتبعها الحزب في إعادة الإرث العثماني (العثمانية الجديدة)، وفي عام (٢٠٠٩) حصلت تركيا على "مقعد مراقب" في الاتحاد الإفريقي، وفر هذا الوضع لتركيا اتصالات دائمة مع الدول الإفريقية وساعدها في فهم بعضها البعض وتقوية علاقاتهم، وبذلك تزايد التوسع التركي داخل القارة منذ (٢٠١١) والتي تمثلت بزيارة رئيس الوزراء آنذاك (رجب طيب أردوغان) إلى مقديشيو والتي كانت تواجه حينها أزمة إنسانية نتيجة الجفاف، وتلك الزيارة حملت أبعادا متعددة (سياسية واقتصادية وإنسانية)<sup>(١)</sup>، فمثلت المنطقة عمقا استراتيجيا وهيأت فرصا استثمارية جديدة لتركيا من خلال فتح أسواق جديدة وكبيرة لتسويق منتجاتها، ومن ذلك المنطلق يمكن تحديد أهم أبعاد الدور التركي في المنطقة:

**أولا: البعد الاقتصادي:** بدأت تركيا بالتوسع نحو المنطقة منذ بداية حقبة حزب

العدالة والتنمية عام (٢٠٠٢) إذ سعت تركيا إلى مد نفوذها داخل المنطقة، وفي (١٨ \_ ٢٠ آب من عام ٢٠٠٨) عقد في إسطنبول قمة (تركيا\_ إفريقيا) بمشاركة (٤٩) دولة إفريقية وحظيت القمة بتعزيز العلاقات وبتسمية تركيا حليفا استراتيجيا للقارة من قبل (الاتحاد الإفريقي)<sup>(\*)</sup>

وأسفرت القمة (التركية\_ الإفريقية) عن وثيقتين مهمتين وهما: أولا: إعلان

(١) مصطفى شفيق علام، التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجية التركية.. المحددات والسياقات والتحديات، مجلة قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، الرياض، العدد ٢٩، ٢٠١٦، ص ٤٨. ونورا فخري أنور، السياسة الخارجية التركية تجاه إفريقيا، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد ٢١٩، ٢٠٢٠، ص ١٩٠.

(\*) الاتحاد الإفريقي: منظمة سياسية اقتصادية إقليمية شاملة أُسِّتت (٩ / تموز / ٢٠٠٢) خلفا لمنظمة الوحدة الإفريقية حيث تكون هذه المنظمة أكثر قدرة على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه القارة، وتضم جميع دول القارة الإفريقية، ومقرها في أديس أبابا، ومن أهدافها الدفاع عن سيادة الدول الأعضاء ووحدة أراضيها واستقلالها وتعزيز السلم والأمن في القارة، وللمزيد ينظر: مهند عبد الواحد النداوي، الاتحاد الإفريقي وتسوية المنازعات دراسة حالة الصومال، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥، ص ١٤ وما بعدها.

إسطنبول للتعاون التركي الإفريقي، (التعاون والتضامن من أجل مستقبل مشترك)، ثانيا: (إطار التعاون للشراكة التركية الإفريقية). وأصبحت عضوا في بنك التنمية الإفريقي (afdb)\*\*<sup>(١)</sup> في (أيار من عام ٢٠٠٨)<sup>(١)</sup>، وتأسيسا على ذلك لما تتميز به المنطقة من موارد اقتصادية وموقع استراتيجي مهم عملت أنقرة على فتح مجالات أوسع للتعاون الاقتصادي والاستثماري، فقد انتهجت الحكومة التركية نظاما محفزا لجذب الشركات التركية الكبيرة للاستثمار وتعزيز وجودها التجاري من خلال تدشين خط الشحن الملاحي الذي يربط تركيا بجيبوتي والصومال بحرا، وهذا يقلل من فترة تسليع البضائع من (٥٥) يوما أو (٣٥) يوما إلى (١٠) أيام، وهذا يعزز التبادل التجاري بين تركيا ومنطقة شرق إفريقيا<sup>(٢)</sup>. ومن بين دول شرق إفريقيا كانت الصومال التي نالت الاهتمام التركي، فسعت للحكومة التركية لفتح أكبر الأسواق الاقتصادية في العاصمة مقديشيو، فضلا عن امتلاك تركيا لشركات استثمارية كثيرة داخل الصومال، منها تولي إدارة وتطوير (ميناء مقديشيو)<sup>(\*)</sup> مثل (شركة البيريك) التي تدير الميناء منذ (٢٠١٤)، ووقعت الشركة امتيازًا جديدًا لمدة (١٤) عاما

(\*\*) بنك التنمية الإفريقي: هو مؤسسة تمويل إنمائية متعددة الأطراف مقرها في (أبيدجان) بساحل العاج، تأسس عام (١٩٦٤) من قبل منظمة الوحدة الإفريقية (الاتحاد الإفريقي الآن)، هدفه محاربة الفقر وتحسين الظروف المعيشية في القارة، ويتألف من ثلاثة كيانات: البنك الإفريقي، وصندوق التنمية الإفريقي، وصندوق الاستثمار النيجيري. ويضم كل الدول الإفريقية المنظمة إلى الاتحاد الإفريقي، فضلا عن الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، للمزيد ينظر: بنك التنمية الإفريقي، ويكيبيديا، تاريخ الدخول (٥ / ١٠ / ٢٠٢٢)، متوفر على الرابط

<https://ar.m.wikipedia.org/wiki>

(١) جوزيف رامز أمين، العلاقات التركية مع دول القرن الإفريقي، آفاق إفريقية، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، العدد ٤٧، ٢٠١٨، ص ٣٩.

(٢) ترك برس، الكشف عن خط بحري استراتيجي يربط تركيا بجيبوتي والصومال، اقتصاد، ٢٣ يناير ٢٠٢٠، تاريخ الدخول (٥ / ١٠ / ٢٠٢٢)، رابط الموقع

<https://www.turkpress.co/node/74976>.

(\*) ميناء مقديشيو من أكبر موانئ الصومال ويمكنه التعامل مع مختلف أحجام السفن التجارية ويطل على ساحل المحيط الهندي.

مع الحكومة الصومالية في (أكتوبر/ ٢٠٢٠) لإدارة وتشغيل الميناء<sup>(١)</sup>. وفي (٧ / تشرين الثاني/ ٢٠٢٠) قررت تركيا سداد ديون الصومال المتأخرة لصندوق النقد الدولي، من خلال حقوق السحب الخاصة في حساباتهم الاحتياطية والمقدرة بـ (٢ مليون و ٤٠٠ ألف) سهم متراكم، وذلك بهدف دعم الإصلاحات الاقتصادية في الدول الواقعة في القرن الإفريقي، ودخل القرار الذي يحمل اسم الاتفاقية الدولية حيز التنفيذ بتاريخ (٥ / تشرين الثاني/ ٢٠٢٠) وذلك في نطاق القانون رقم (٤٧٤٩) المتعلق بتنظيم المالية العامة وإدارة الديون، وبموجب القرار التركي افترض العمل على تخفيض ديون الصومال من (٥,٢) مليار دولار في نهاية (٢٠١٨) إلى (٣,٧) مليار دولار، وهي خطوة مهمة نحو تعزيز النمو الاقتصادي والحد من الفقر<sup>(٢)</sup>، في حين وقعت حكومة ولاية (جلمدغ) الصومالية اتفاقا مع اتحاد (oriental terminal المحطة الشرقية) ومقره لندن ويتكون من شركات تركية وصومالية وبريطانية لإدارة ميناء (هوبيو)<sup>(\*)</sup> الصومالي الاستراتيجي<sup>(٣)</sup>، أما من ناحية التبادل التجاري فقد بلغ حجم التجارة الثنائية بين الصومال وتركيا (٣,١٨٧) مليون دولار أمريكي عام (٢٠١٨)، و(٨٥٠,٢٥٠) مليون دولار أمريكي عام (٢٠١٩)، وبلغت القيمة الإجمالية للاستثمارات التركية في

(١) فاروق حسين أبو ضيف، الاستراتيجية التركية تجاه منطقة القرن الإفريقي، مجلة حمورابي، بغداد، العدد ٣٧، ٢٠٢١، ص ٥٦.

(٢) وكالة الأناضول (أنقرة)، تركيا تسدد ديون الصومال لصندوق النقد الدولي، ١١ / ٧ / ٢٠٢٠، تاريخ الدخول (٦ / ١٠ / ٢٠٢٢)، متوفر على الرابط: <https://www.aa.com.tr/ar/>

(\*) ميناء هوبيو: يقع في شمال شرق الصومال بالقرب من خليج عدن ومضيق باب المندب ويمثل حلقة وصل بين شمال الصومال وجنوبه ويمكن أن يمثل بوابة عبور للصادرات النفطية من إقليم أوجادين في إثيوبيا إلى العالم الخارجي. نداء كسبر، التنافس الدولي على الموانئ البحرية في منطقة القرن الإفريقي، مقال، مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٢١، تاريخ الدخول (٢٢ / ١٢ / ٢٠٢٢)، متاح على الرابط:

<https://pharostudies.com/?p=10684>.

(٣) أحمد عسكر، التنافس على الموانئ البحرية في القرن الإفريقي: الدوافع والتداعيات، مركز سيتا، وزارة الإعلام اللبنانية، متاح على الرابط: <https://sitainstitute.com/?p=10000>

الصومال (١٠٠) مليون دولار<sup>(١)</sup>، وبلغت الصادرات التركية للصومال عام (٢٠٢١) (٣٥٤,٩٢) مليون دولار، وفقا لقاعدة البيانات الخاصة بالتجارة (comtrade) الأمم المتحدة<sup>(٢)</sup>. وفي أثيوبيا عززت تركيا التعاون الثنائي مع أديس أبابا من خلال الدائرة الاقتصادية لزيادة حجم التبادل التجاري وزيادة الاستثمارات في السكك الحديدية، والذي هدفت أثيوبيا من خلاله لربط البلاد بشبكة من السكك الحديدية السريعة، والتي قامت بإنجازها شركات تركية بقيمة (١,٧) مليار دولار، وفي أواخر (٢٠١٦) وقعت تركيا العديد من الاتفاقيات في مجالي الطاقة الكهربائية والاقتصاد وتنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة وسبل تحقيق التعاون الاقتصادي<sup>(٣)</sup>، وعدت الاستثمارات التركية في أثيوبيا هي الأكبر بين الاستثمارات الأجنبية المباشرة فيها، حيث تعمل (٣٥٠) شركة تركية في أثيوبيا والتي أتاحت بحدود (١٠) آلاف فرصة عمل، بالإضافة إلى السوق التجاري الأثيوبي الذي يستضيف شركات استثمارية كبرى من أمثال (bme) للكابلات، و(ايكيا اديس) للنسيج.

وبلغت استثمارات تركيا في أثيوبيا نحو (٣) مليارات دولار عام (٢٠١٧) وعملت أنقرة على زيادتها لتصل (١٠) مليارات دولار بنسبة زيادة (٣٠٠٪) حسب ما صرح به السفير التركي لدى أثيوبيا (فاتح أولوصوي) في (يناير / ٢٠١٨)<sup>(٤)</sup>، وفي عام (٢٠٢٠) قدرت قيمة الاستثمارات التركية في أثيوبيا بحدود (٢,٥) مليار دولار حسب

(1)republic of turkiuy, ministry of foreign affairs, relations between turkey and Somalia, published on link :https: / /www.mfa.gov.tr / relations between turkey and Somalia .en .mfa .visit date (7 /10 /2022).

(2)turkey exports to Somalia, trading economics, published on link: https: / /www. trading economics. Com /turkey / imports / Somalia. visit date(7 /10 /2022).

(٣) فاروق حسين أبو ضيف، مصدر سبق ذكره، ص٥٦.

(٤) إيمان الشعراوي، السياسة الخارجية التركية تجاه منطقة القرن الإفريقي وأثرها على الأمن المائي المصري، متابعات إفريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، العدد٦، ٢٠٢٠، ص٧٢.

بيانات لجنة الاستثمارات الأثيوبية، كما تم التخطيط التركي لبناء أكبر مطار في إفريقيا باستثمار بلغ (٥) مليار دولار، وعلى بعد حوالي (٥٠) كم من العاصمة أديس أبابا<sup>(١)</sup>. أما جمهورية السودان فقد وقعت تركيا مع السودان عام (٢٠١٤) اتفاقاً للشراكة والتعاون في المجال الزراعي، يشمل تخصيص أرض وسط السودان لإقامة مشروع نموذجي على مساحة (١٥٠٠) هكتارا، وعام (٢٠١٧) وقع البلدان بروتوكولا للتعاون يشمل تدريب (٣١٠) مهندسين زراعيين في إطار خطة عمل تشمل إنتاج المحاصيل والصحة النباتية والحيوانية، بالإضافة إلى شركة البناء التركية (summa) التي وصفت ضمن خططها تخطيط بناء أكبر مطار في السودان (مطار الخرطوم الدولي) بقيمة (١٥٠) مليار دولار<sup>(٢)</sup>، وفي (٢٤ / كانون الأول / ٢٠١٧) وصل الرئيس التركي (رجب طيب أردوغان) برفقة العديد من رجال الأعمال والوزراء في زيارة رسمية استغرقت يومين، وناقش الجانبان العلاقات الثنائية وسبل تعزيز التعاون، وأعلن الرئيس التركي حينها عن رغبة بلاده في رفع التبادل التجاري بين البلدين إلى (مليار دولار) خلال عام واحد وليصل في المستقبل (١٠) مليارات دولار، وفي نهاية المحادثات وقع الجانبان (١٢) اتفاقية تعاون بقيمة إجمالية مقدارها (٦٥٠) مليون دولار، وبحسب تقرير صادر عن وزارة الاستثمار السودانية، فإن حجم الاستثمارات التركية في السودان بلغت (٢) مليار دولار) للفترة من (٢٠٠٠-٢٠١٧) وزاد عدد المشاريع الاستثمارية والتي بلغ عددها (٢٨٨) مشروعاً<sup>(٣)</sup>.

**ثانياً: البعد السياسي:** سعت تركيا من خلال نشاطها الدبلوماسي لجذب تأييد دول المنطقة وعموم الدول الإفريقية ودعمها في المحافل الدولية والإقليمية، فمثلاً في عام (٢٠٠٨) صوتت (٥١) دولة إفريقية من أصل (٥٤) دولة لصالح تركيا للحصول على

(١) إيمان الشعراوي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢.

(٢) نورا فخري أنور، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢.

(3) Sudan, turkey agrees to increase trade exchange to \$1billion, Sudan tribune, December 24,2017, published on link, [https:// Sudan tribune.com /article62497 /](https://Sudantribune.com/article62497/) visit date(10 /10 /2022).

مقعد العضو غير الدائم في مجلس الأمن،

كما استطاعت أيضا كسب ثقة (٥١) دولة إفريقية للفوز برئاسة المؤتمر الإسلامي، كما استفادت تركيا من تشجيع ودعم الدول الإفريقية لها لمواجهة منافسيها من القوى التقليدية والقوى الصاعدة في المنطقة<sup>(١)</sup>. فعملت تركيا على توسيع تواجدتها في إفريقيا ككل وفي المنطقة من خلال النشاط الدبلوماسي، حيث رفعت تركيا عدد سفاراتها من (١٢) سفارة قبل عام (٢٠٠٩) إلى (٤٣) سفارة، وخططت أن يكون عدد سفاراتها في القارة (٥٠) سفارة في المستقبل لما تمثله من مدخل مهم مع دول المنطقة لتعزيز مصالح تركيا<sup>(٢)</sup>، وفي عام (٢٠٠٩) زار الرئيس التركي (عبد الله جول ٢٠٠٧-٢٠١٤) كينيا في أول زيارة رسمية، وردت كينيا بالمثل عام (٢٠١٤) عندما زار الرئيس الكيني (أوهورو كينيا) تركيا وفتح الرئيس خلال زيارته سفارة كينيا في أنقرة، وتم توقيع مجموعة من الاتفاقيات ومذكرات تفاهم، واتفق الطرفان على إعطاء الأولوية للتجارة والتصنيع والنقل والزراعة والسياحة والتعليم والصحة والتكنولوجية بالإضافة إلى تنمية الأراضي القاحلة مثل تلك الموجودة حول نهر "تانا" في كينيا، وبذلك شكل اهتمام كينيا كجزء مهم في استراتيجية تركيا في شرق إفريقيا، وكان دخول تركيا إلى كينيا مقبولا من قبل الحكومة الكينية، وذلك لما بادرت به تركيا من إحلال السلام والاستقرار لجاراتها الصومال التي تعاني من عدم الاستقرار، خاصة في ظل حكومة "أردوغان" الذي زار كينيا في (تموز / ٢٠١٦)، ووفقا لسفير كينيا في تركيا (جوليوس كيما كيلونزو)، فإن الرئيس التركي "أردوغان" وإدارته قد فعلوا الكثير من أجل الصومال، وهذا أمر رحبت به كينيا، كما أن الاستقرار في الصومال على الصعيدين السياسي

(١) عليّة حسين علي الساعدي، الأبعاد الجيوبوليتيكية للمصالح التركية في إقليم القرن الإفريقي، مجلة الباحث، العدد ٢٣، ٢٠١٧، ص ١٨٩.

(٢) جوهانسبرغ / وكالة الأناضول، تاريخ دخول الموقع (٧ / ١٠ / ٢٠٢٢)، متاح على الرابط:

والاقتصادي سيكون مفيدا لكينيا<sup>(١)</sup>، كما رعت تركيا مفاوضات بين الصومال وأرض الصومال لاند حتى تتوصل إلى اتفاق بينهم وعينت سفيرها السابق الدكتور (أولغان بيكار) في (٢٨ / كانون الأول / ٢٠١٨) في الصومال مبعوثا خاصا لمحادثات تلك المفاوضات التي لم تسفر عن أي نتيجة<sup>(٢)</sup>.

وفي (كانون الأول من عام ٢٠٢١) عقدت القمة الإفريقية التركية الثالثة في إسطنبول وحظيت القمة بمشاركة (١٦) رئيس دولة إفريقية، و(١٠٢) وزير إفريقي بينهم (٢٦) وزيرا للخارجية، وافتتح القمة الرئيس التركي (أردوغان)، وكان هدف تركيا هي أنها تحصل على دعم الدول الإفريقية ليكون

لها صوت دائم في مجلس الأمن لبناء تحالفات قوية بين تركيا والدول الإفريقية<sup>(٣)</sup>.

**ثالثا: البعد الأمني:** لقد تجسد الوجود التركي في المنطقة إلى مد نفوذها العسكري، وإجراء مناورات مشتركة مع جيوش المنطقة، حيث أقدمت تركيا على توقيع اتفاقيات أمنية مع (كينيا وأثيوبيا وأوغندا وتنزانيا) ولتدريب قوات الأمن في هذه الدول لمكافحة الارهاب أولا، وأعمال القرصنة ثانيا. فضلا عن سعيها على فتح أسواق جديدة للصناعات العسكرية التركية في المنطقة<sup>(٤)</sup>، ففي (٣٠ / أيلول / ٢٠١٧) افتتحت تركيا أكبر قاعدة عسكرية لها في العالم في مقديشيو بالصومال، والتي تطل على خليج عدن الاستراتيجي حيث تتحكم في مضيق باب المندب، وبلغت كلفة

(1) brendon j.cannon, turkey in Kenya and Kenya in turkey: alter natives to the east /west paradigm in diplomacy, trade and security, ajpsir, article in African journal of political science and international relations, may 2016, pp58-59.

(٢) صهيب عبد الرحمن، هل تصلح تركيا لرعاية المفاوضات بين الصومال وصومالي لاند؟، تقارير، ٢٥ / ٢ / ٢٠١٩، تاريخ دخول الرابط (١٠ / ١٠ / ٢٠٢٢)، متاح على الرابط: <https://hafryat.com/ar/blog>.

(٣) وللمزيد ينظر: الشافعي ابتدون، عن القمة الإفريقية الثالثة، العربي الجديد، ٢٢ ديسمبر ٢٠٢١، تاريخ الدخول (١٠ / ١٠ / ٢٠٢٢) متاح على الرابط

<https://www.alaraby.co.uk/opinion>

(٤) فاروق حسين أبو ضيف، مصدر سبق ذكره، ص ٥٦.

إنشائها نحو (٥٠) مليون دولار وتبلغ مساحتها (٤٠٠) هكتار، وتضم ثلاث مدارس عسكرية لإعادة هيكلة وتجهيز وتدريب القوات المسلحة الصومالية، وقد تولت تركيا مهمة تدريب (١٠,٥٠٠) جندي صومالي على دفعات متتالية كل دفعة تشمل (١٥٠٠) جندي عملت على تدريبهم قوة تركية مكونة من (٢٠٠) جندي<sup>(١)</sup>، وفي عام (٢٠١٨) سعت تركيا للاتفاق على إنشاء قاعدة عسكرية في جيبوتي باعتبارها مركزا رئيسيا للتجارة والأمن، كما حاولت تركيا التواجد على جزيرة سواكن<sup>(\*)</sup> في شرق السودان، إذ أعلن الرئيس التركي (رجب طيب أردوغان) في (٢٥) كانون الأول / (٢٠١٨) إن السودان خصص جزيرة سواكن<sup>x</sup> لتركيا لتتولى إعادة تأهيلها وإدارتها لفترة زمنية لم يحددها، وزار الرئيس التركي برفقة رئيس السودان (عمر البشير) سواكن حيث نفذ وكالة التعاون والتنسيق التركية "تيكا" مشروعا لترميم الآثار العثمانية، وتفقد الرئيسان خلالهما مبنى الجمارك ومسجد الحنفي والشافعي التاريخيين في الجزيرة<sup>(٢)</sup>، وشدد (عمر البشير) على إرث هذه الجزيرة وإمكاناتها السياحية، كما تم الإقرار أيضا بخطط لبناء مرسى للسفن العسكرية والمدنية، فضلا عن القيام بتعاون عسكري أوسع، وضمت الاتفاقيات أيضا حضورا للقوات التركية في بورتسودان، من أجل تدريب القوات السودانية في مجال مكافحة الإرهاب<sup>(٣)</sup>.

#### رابعا: البعد الإنساني (القوة الناعمة)

(١) نورا فخري أنور، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢.  
 (\*) جزيرة سواكن: هي جزيرة واقعة في البحر الأحمر شرقي السودان طولها (٢٠ كم) ويعد ميناء سواكن الأقدم في السودان وهو الميناء الثاني بعد بور سودان الذي يبعد (٦٠ كم) إلى الشمال منه، وسبق للدولة العثمانية استخدام جزيرة سواكن مركزا لبحريتها في البحر الأحمر، وضم الميناء مقر الحاكم العثماني لمنطقة جنوب البحر الأحمر بين عامي (١٨٢١-١٨٨٥)، وهي موقع عثماني تاريخي قديم قد توقف عن العمل على ساحل البحر الأحمر السوداني. إيمان الشعراوي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢.

(٢) وللمزيد ينظر: التقرير الاستراتيجي الإفريقي الثالث (٢٠١٧-٢٠١٨)، العلاقات التركية الإفريقية (٢٠١٧)، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مصر، ص ٢٩٥.  
 (٣) زاك فيرتين، منافسات البحر الأحمر: الخليج والقرن الإفريقي وجيوسياسات البحر الأحمر الجديدة، مركز بروكنجز الدوحة، قطر، آب ٢٠١٩، ص ١٢.

تعد المساعدات الإنسانية الأداة الرئيسية والأكثر فاعلية للحكومة التركية، حيث يتم استخدامها مقابل تعزيز علاقاتها السياسية والاقتصادية، وقد ظهر ذلك الأمر بالدول التي قدمت تركيا إليها معونات كالصومال والسودان، فمثلا الصومال بعد عام (٢٠١١) حصل على المساعدات الإنسانية من خلال وكالة التعاون والتنسيق التركية (tika)، والهلال الأحمر التركي، ومؤسسة ديانيت إلى جانب المؤسسات المدنية مثل مؤسسة الإغاثة الإنسانية (ihh)، وفي (أيلول/ ٢٠١٩) قدمت تركيا مساعدات إنسانية للسودان كنوع من أنواع تقديم العون نظرا لاجتياح الفيضانات<sup>(١)</sup>.

لكن تظهر لنا حقيقة مهمة وهي، أن التوسع التركي في منطقة شرق إفريقيا لا يشكل تحديا أمام إسرائيل مثل ما يشكله الوجود الإيراني في المنطقة، والدليل ما شاهدناه مؤخرا (٢٠٢٢) من تحسن في العلاقات وتبادل الرسائل الودية بين إسرائيل وتركيا، وعليه فإن التوسع التركي شجع إسرائيل أن تكون أكثر حرصا على مصالحها في المنطقة.

## الخاتمة

تتمتع منطقة شرق إفريقيا بموقع استراتيجي مهم جعلها محط اهتمام القوى الدولية والإقليمية في التنافس عليها، مما جعل الدول الإقليمية تسعى لتطوير علاقاتها مع دول المنطقة خاصة في ظل ما تعانيه من ضعف في بنيتها الاقتصادية وتدهور المستوى الاقتصادي للسكان، وجعل (تركيا وإيران) تستغلان هذا الجانب والدخول لدول المنطقة بشكل واسع لتحقيق أهدافهما ومصالحهما خاصة في ظل التنافس الذي يشهده النظام العالمي. ونجحا في التواجد داخل منطقة شرق إفريقيا باستعمال كل أدواتها الدبلوماسية والاقتصادية والدينية والثقافية والإنسانية والقوة الناعمة، فمن

(١) نورا فخري أنور، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢.

خلال هذا عملت إيران في تحقيق أهدافها في التغلغل إلى منطقة شرق إفريقيا لا سيما في ضوء العقوبات التي أضرت بها فضلا عن تأسيس وجود إيراني في البحر الأحمر الذي يقودها نحو قناة السويس، مما يشكل تحديا أمام إسرائيل في البحر الأحمر التي تعمل في التغلغل بمنطقة شرق إفريقيا ونجحت في منع تحول البحر الأحمر إلى بحيرة عربية، من خلال تعاونها مع دول المنطقة خاصة (أرتيريا وأثيوبيا وكينيا وجنوب السودان) لكسر طوق الحصار العربي، وتحقيق مصالحها الاستراتيجية وللنفاذ لدول القارة ككل بالإضافة إلى ذلك مراقبة أنشطة إيران في دول المنطقة، أما تركيا فإن دورها أكثر نشاطا في تنفيذ أهدافها بدول المنطقة خاصة في ظل الدعم والمساعدات الاقتصادية والإنسانية التي تقدمها، فضلا عن النظرة الإيجابية التي تتصف بها تركيا لدى دول المنطقة مما جعلها تعزز وجودها في تحقيق مصالحها، وهذا ما يجعل إسرائيل أكثر حرصا في تعميق علاقاتها بدول المنطقة لتأمين المصالح الاستراتيجية الإسرائيلية وحماية الممرات المائية.

## المصادر

### أولا: الكتب

- ١\_ ندى عليوي لعبيبي، التنافس الإقليمي في القرن الإفريقي بعد عام ٢٠٠١، بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠٢١.
- ٢\_ عبد السلام إبراهيم البغدادي، السودان المعاصر السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٥.

٣\_ مهند عبد الواحد الندوي، الاتحاد الإفريقي وتسوية المنازعات " دراسة حالة الصومال"، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.

٤\_ رائد حسنين، السياسة الإسرائيلية في إفريقيا، دار ابن رشد، القاهرة، ط١، ٢٠١٧.

### ثانياً: البحوث والدراسات

١\_ بوزيدي يحيى، السياسة الإيرانية والتركية تجاه إفريقيا دراسة مقارنة، مجلة قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، الرياض، العدد ٢١، ٢٠١٤.

٢\_ حسام صادق حاجم، التنافس الأمريكي- الصيني على الطاقة في إفريقيا، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا- برلين، ط١، ٢٠٢٠.

٣\_ سعد عبید علوان السعيدى ومصطفى عبد الكريم، التنافس الدولي والإقليمي في منطقة القرن الإفريقي \_شرق إفريقيا وانعكاسه على الأمن في الشرق الأوسط، مجلة تكريت للعلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة تكريت، العدد ٣، ٢٠١٩.

٤\_ فريدة بنداري، سياسة إيران تجاه إفريقيا من منظور الجيواستراتيجية المذهبية، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد ٢١٩، ٢٠٢٠.

٥\_ مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب، نشاط إيران في شرق إفريقيا(بوابة الشرق الأوسط والقارة الإفريقية)، ترجمة قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، المملكة العربية السعودية، العدد ٥، يونيو/ جماد الثاني ٢٠١٠.

٦\_ شريف شعبان مبروك، السياسة الخارجية الإيرانية في إفريقيا، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، ابو ظبي، ط١، ٢٠١١.

٧\_ إياد عبد الكريم مجيد، العلاقات الإيرانية السنغالية ١٩٧٩-٢٠١١، المجلة

- السياسية والدولية، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، العدد ٢٥، ٢٠١٤.
- ٨\_ مصطفى شفيق علام، التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجية التركية.. المحددات والسياقات والتحديات، مجلة قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، الرياض، العدد ٢٩، ٢٠١٦.
- ١٠\_ نورا فخري أنور، السياسة الخارجية التركية تجاه إفريقيا، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد ٢١٩، ٢٠٢٠.
- ١١\_ عليّة حسين علي الساعدي، الأبعاد الجيوبوليتيكية للمصالح التركية في إقليم القرن الإفريقي، مجلة الباحث، العدد ٢٣، ٢٠١٧.
- ١٢\_ زاك فيرتين، منافسات البحر الأحمر: الخليج والقرن الإفريقي وجيوسياسات البحر الأحمر الجديدة، مركز بروكنجز الدوحة، قطر، اب ٢٠١٩.
- ١٣\_ بدر حسن شافعي، الدور الإيراني في إفريقيا (المحددات والتحديات)، دراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات، ٢٠٢٠/٢/١٤.
- ١٤\_ رحموني عبد الرحيم، التواجد الإيراني في الصومال وأرتيريا: بين الدين والسياسة وحتمية المصلحة، المركز الديمقراطي العربي، برلين- ألمانيا، ٢٥ ديسمبر ٢٠١٦، تاريخ الزيارة (٢٠٢٢/١٢/١)، متوفر على الرابط، <https://democraticac.de/?p=41629>.
- ١٥\_ جوزيف رامز أمين، العلاقات التركية مع دول القرن الإفريقي، آفاق إفريقية، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، العدد ٤٧، ٢٠١٨.
- ١٦\_ فاروق حسين أبو ضيف، الاستراتيجية التركية تجاه منطقة القرن الإفريقي، مجلة حمورابي، بغداد، العدد ٣٧، ٢٠٢١.

١٧\_ إيمان الشعراوي، السياسة الخارجية التركية تجاه منطقة القرن الإفريقي وأثرها على الأمن المائي المصري، متابعات إفريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، العدد٦، ٢٠٢٠.

١٨\_ التقرير الاستراتيجي الإفريقي الثالث ٢٠١٧-٢٠١٨، العلاقات التركية الإفريقية ٢٠١٧، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مصر.

### ثالثا: الرسائل الجامعية

١\_ إسرائء رشيد عبد الله البياتي، الاستراتيجية الأمريكية تجاه منطقة القرن الإفريقي بعد ٢٠٠١ دراسة جيوسراتيجية، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة النهريين، ٢٠١٤.

٢\_ شريف سميان شريف، السياسة المصرية تجاه إفريقيا (١٩٨١م- ٢٠٠٥م)، رسالة ماجستير، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠.

### رابعا: المصادر الأجنبية

1-gerald feierstein, craig greathead, the fight for Africa the new focus of the Saudi\_ ranian rivalry, middle east institute, policy focus, September 2017.

2-may darwich, Saudi\_ Iranian rivalry from the gulf to the horn of Africa: changing geographies and infrastructures, project on middle east political science, university of Birmingham, [https://pomeps.org/Saudi-Iranian-rivalry-from the gulf to the horn of Africa changing geographies and infrastructures.](https://pomeps.org/Saudi-Iranian-rivalry-from-the-gulf-to-the-horn-of-Africa-changing-geographies-and-infrastructures)

3\_ republic of turkiuy, ministry of foreign affairs, relations between turkey and Somalia, published on link:[https://www.mfa.gov.tr/relations between turkey and Somalia.en.mfa.visit date \(7/10/2022\).](https://www.mfa.gov.tr/relations-between-turkey-and-Somalia.en.mfa.visit-date-(7/10/2022))

4\_ turkey exports to Somalia, trading economics, published on link:

<https://www.tradingeconomics.com/turkey/imports/Somalia>.  
visit date(7/10/2022).

5\_ Sudan, turkey agrees to increase trade exchange to \$1billion, Sudan tribune, December 24,2017, published on link, <https://Sudantribune.com/article62497/> visit date(10/10/2022).

6\_ brendon j.cannon, turkey in Kenya and Kenya in turkey: alter natives to the east /west paradigm in diplomacy, trade and security ,ajpsir, article in African journal of political science and international relations, may 2016.

### خامسا: المصادر الإللكترونية

١\_ ويكيبيديا، تاريخ الدخول (٢٠٢٣/٢/٢٢) <https://2u.pw/ivklbo>.

٢- إذاعة طهران، إيران تفتتح مركزا للابتكار في جمهورية كينيا، الأربعاء ٢٧ كانون الثاني ٢٠٢١، تاريخ الزيارة ٢٠٢٢/٨/١٥، متوفر على الرابط

<https://arabicradio.net/news/79953>.

٣\_ محمد بدير، زيارة لبيرمان إلى إفريقيا: اهتمام إسرائيلي بالقارة السوداء، ٧ آب ٢٠٠٩، تاريخ الدخول (٢٠٢٣/١/٢٢)، متاح على الرابط:

<https://2u.pw/bbecx5> .

٤\_ محمد مجيد الأحوازي، إيران تطلق أكبر مشروع لنشر التشيع في إفريقيا، موقع عربي ٢١، ٢٠١٦، تاريخ الدخول (٢٠٢٣/٢/٢٠)، رابط الدخول:

<https://2u.pw/h3z3zv>.

٥- عبد الله عيسى الشريف، النفوذ الإيراني في شرق إفريقيا الأدوات والاستراتيجيات، المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية، ٢ مارس/ أبريل/ ٢٠٢٠، تاريخ الزيارة (٢٠٢٢/١٢/١) <https://afaip.com>. متوفر على الرابط

٦- جريدة الشرق الأوسط، كينيا تعتقل إيرانيين بتهمة التخطيط للاعتداء على السفارة

الإسرائيلية، رقم العدد (١٣٨٨٥)، ٣ ايلول ٢٠١٦، تاريخ الدخول (٢٠٢٣/٢/٢٠)،  
متاح على الرابط: <https://2u.pw/8rsur4>.

٧- بنك التنمية الإفريقي، ويكيبيديا، تاريخ الدخول (٢٠٢٢/١٠/٥)، متوفر على  
الرابط <https://ar.m.wikipedia.org/wiki>

٨- ترك برس، الكشف عن خط بحري استراتيجي يربط تركيا بجيبوتي والصومال،  
اقتصاد، ٢٣ يناير ٢٠٢٠، تاريخ الدخول (٢٠٢٢/٥/١٠)، رابط الموقع  
<https://www.turkpress.co/node/74976>.

٩- وكالة الأناضول (أنقرة)، تركيا تسدد ديون الصومال لصندوق النقد الدولي،  
٢٠٢٠/٧/١١، تاريخ الدخول (٢٠٢٢/١٠/٦)، متوفر على الرابط:

<https://www.aa.com.tr/ar/>.

١٠- نداء كسبر، التنافس الدولي على الموانئ البحرية في منطقة القرن الإفريقي،  
مقال، مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٢١،  
تاريخ الدخول (٢٠٢٢/١٢/٢٢)، متوفر على الرابط:

<https://pharostudies.com/?p=10684>

١١- أحمد عسكر، التنافس على الموانئ البحرية في القرن الإفريقي: الدوافع  
والتداعيات، مركز سيتا، وزارة الإعلام اللبنانية، متوفر على الرابط:

<https://sitainstitute.com/?p=10000>

١٢- جوهانسبرغ/ وكالة الأناضول، تاريخ دخول الموقع (٢٠٢٢/١٠/٧)، متاح على  
الرابط: <https://www.aa.com.tr/ar>

١٣- صهيب عبد الرحمن، هل تصلح تركيا لرعاية المفاوضات بين الصومال وصومالي  
لاند، تقارير، ٢٠١٩/٢/٢٥، تاريخ دخول الرابط (٢٠٢٢/١٠/١٠)، متاح على  
الرابط: <https://hafryat.com/ar/blog>.

١٤- وللمزيد ينظر: الشافعي ابتدون، عن القمة الإفريقية الثالثة، العربي الجديد، ٢٢  
ديسمبر ٢٠٢١، تاريخ الدخول (٢٠٢٢/١٠/١٠) متاح على الرابط

<https://www.alaraby.co.uk/opinion>

# التحوط الاستراتيجي الأمريكي - الإيراني: التنافس الدولي في منطقة آسيا الوسطى أنموذجاً

بسام داود سليمان المولى (\*)

[bds931228@gmail.com](mailto:bds931228@gmail.com)

أ.م.د. طارق محمد طيب القصار (\*)

[dr.alqassar@uomosul.edu.iq](mailto:dr.alqassar@uomosul.edu.iq)

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/١٠/٣ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١٠/١٨ تاريخ النشر: ٢٠٢٤/٢/٢٨

## **المستخلص:**

تُعد ظاهرة التنافس الدولي وجهاً من أوجه التفاعل الدولي، وهي صفة غالبية على معظم العلاقات الدولية خاصةً في جانبها الاقتصادي، والدافع وراء التنافس في العلاقات الدولية هو تقاطع المصالح وتعارضها في الكثير من المجالات، وعلى الرغم من تزايد الاعتماد المتبادل بين الدول وتقنيته ضمن نشاط المنظمات الدولية؛ إلا أن تضارب المصالح يحتم سيادة التنافس في العلاقات الدولية وعلى الأخص ما بين الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية والصين وروسيا، وفضلاً عن ذلك، ظهرت بعض القوى الإقليمية بوصفها لاعباً مؤثراً ومنافساً قوياً في بعض المناطق المهمة في العالم مثل

(\*) كلية العلوم السياسية/ جامعة الموصل.

(\*) كلية العلوم السياسية/ جامعة الموصل.

آسيا الوسطى، التي تتميز بموقعها الاستراتيجي الحيوي ولما تحتويه من موارد الطاقة الكبيرة، فتسعى عبر ذلك أن تتبوأ مكانة إقليمية في محيطها مثل إيران، وبسبب طبيعة المنافسة؛ تحاول الولايات المتحدة الأمريكية توظيف جلّ قدراتها لتعزيز نفوذها في المنطقة، في حين توظف إيران في سبيل ذلك ما تملكه من قدرات سواء أكانت اقتصادية أم عسكرية وحتى أيولوجية، الأمر الذي يمكن إدراجه في إطار التحوط الاستراتيجي؛ لأنها تعود بالفائدة للدولة عبر تحقيق مكاسب جيواستراتيجية أمنية واقتصادية، إلا أن ذلك يثير إشكالية لمعرفة ما تأثير التحوط الاستراتيجي في سياستي الولايات المتحدة الأمريكية وإيران وما انعكاساته على منطقة آسيا الوسطى؟ فكلما زاد الضغط الأمريكي على إيران، زاد الاندفاع الإيراني على مناطق النفوذ الأمريكي القريبة منها، وكلما زاد النفوذ الإيراني في مناطق النفوذ الأمريكي؛ زاد نشاط الأخيرة فيها وتنوعت سياساتها تجاهها، ويستنتج من البحث أن التحوط الأمريكي في منطقة آسيا الوسطى يهدف إلى احتواء إيران ومنعها من مد نفوذها إلى المنطقة، واحتواء روسيا من جناحها الجنوبي، والصين من جناحها الغربي مع إزالة النفوذ الروسي - الإيراني واستبداله بنفوذ تابع لها، في حين يتيح التحوط الاستراتيجي لإيران مجالاً استراتيجياً جديداً يمكنها من مواجهة الحملة الأمريكية ضد برنامجها النووي، خاصةً بعد الحصار الأمريكي عليها بعد حربي أفغانستان والعراق، إذ أصبح الوجود العسكري الأمريكي على تماس مع حدودها، لذلك لم تتردد إيران في استغلال هذه الفرصة لكسر الحصار الأمريكي وتوسيع نفوذها.

**الكلمات المفتاحية:** استراتيجية، إيران، آسيا الوسطى، التنافس الدولي، الولايات

المتحدة

## **US – Iranian Strategic Hedging: International Competition in Central Asia as a Model**

Prof. Tariq Mohammed Tayeb Al-Kassar<sup>(\*)</sup> [dr.alqassar@uomosul.edu.iq](mailto:dr.alqassar@uomosul.edu.iq)

Bassam Dawood Suleiman Al-Mawla<sup>(\*)</sup> [bds931228@gmail.com](mailto:bds931228@gmail.com)

Receipt date:3/10/2023 Accepted date: 18/10/2023 Publication date:28/2/2024

### **Abstract:**

The phenomenon of international competition is one of the aspects of international interaction, and it is a dominant characteristic of most international relations, especially in its economic aspect. The motivation behind competition in international relations is the intersection and conflict of interests in many fields, and despite the increasing interdependence of countries and codifying it within the activity of international organizations. However, conflicts of interest necessitate the prevalence of competition in international relations, especially among major countries such as the United States of America, China and Russia. Moreover, some regional powers have emerged as an influential player and a strong competitor in some important regions in the world like Central Asia with its vital strategic location and large energy resources, it seeks to assume a regional position in its surroundings such as Iran, and because of the nature of competition, the United States of America is trying to employ all its capabilities to enhance its influence in the region.

While Iran employs its capabilities, whether economic, military or even

---

<sup>(\*)</sup> Faculty of Political Science/University of Mosul.

<sup>(\*)</sup> Faculty of Political Science/University of Mosul.

ideological, which can be included in the framework of strategic hedging because it benefits the state by achieving geostrategic security and economic gains. However, it is problematic to know what is the impact of strategic hedging in the policies of the United States of America and Iran and what are its repercussions on the Central Asian region? The greater the American pressure on Iran, the greater the Iranian impulse on the areas of American influence close to it.

The greater the Iranian influence in the areas of American influence, the greater the activity of the latter and the diversity of its policies towards it, and it is concluded from the research that the American hedge in the Central Asian region aims to contain Iran and prevent it from extending its influence to the region containing Russia from its southern wing, and China from its western wing with the removal of Russian-Iranian influence and replacing it with its subordinate influence, while strategic hedging allows Iran a new strategic area that enables it to confront the US campaign against its nuclear program, especially after the US siege after the wars in Afghanistan and Iraq, as the US military presence came into contact with its borders, so Iran did not hesitate to take this opportunity to break the US siege and expand its influence.

**Keywords:** strategy, Iran, Central Asia, international competition, the United States

### المقدمئٲ:

يُعدّ التحوط الاستراتيجي من مفاهيم حقل العلاقات الدولية التي جاءت نتيجةً للتطور في دراسات العلاقات الدولية والأمنية التي وضعت العديد من النظريات المفسرة لسلوك الدول خارجياً، فالخيارات الاستراتيجية للدول لا تقتصر على التوازن أو الانحياز أو الحياد في بيئة دولية تتسم بعدم اليقين والثبات؛ بل يمكن للدول إتباع استراتيجيات وخيارات عدة في إطار تفاعلاتها الدولية، فظهر مصطلح "التحوط الاستراتيجي" للإشارة إلى مجموعة من الاستراتيجيات التي تهدف إلى تجنب حالة لا تستطيع فيها الدول اتخاذ

قرارات بشأن بدائل أكثر وضوحاً مثل التوازن أو الانحياز أو الحياد.

فبعد انهيار الاتحاد السوفياتي، أصبحت آسيا الوسطى مسرحاً مهماً للتنافس بين القوى المختلفة، إذ أدت روسيا والصين والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وتركيا وإيران والهند أدواراً رئيسة فيها، كما بدأت دول مجلس التعاون الخليجي أيضاً في ممارسة نفوذها، وتأتي أهمية آسيا الوسطى بكونها تقع على مفترق طرق مهم استراتيجياً تمر عبره الممرات الاقتصادية الرئيسية التي أنشأتها الدول المختلفة، وتربط الشرق بالغرب، وكذلك الشمال بالجنوب، فضلاً عن امتلاك المنطقة كميات هائلة من موارد الطاقة، مما يزيد من أهميتها على الساحة العالمية، فالولايات المتحدة الأمريكية بعدها القوة العظمى المهيمنة على الساحة الدولية تحاول بسط نفوذها وتأكيد هيمنتها في المنطقة ومنع محاولات الدول الأخرى الحد من نفوذها وتعزيز مكانتها، فوظفت في سبيل ذلك قدراتها الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية لمنع ذلك؛ بينما إيران التي تُعد فاعلاً إقليمياً له وزنه في المنطقة، فهي تسعى إلى الولوج فيها وتحقيق مصالحها وتأكيد رفضها للهيمنة الأمريكية مما دفعها إلى اتباع عدة خيارات منها تطوير علاقاتها مع دول المنطقة، فضلاً عن تشكيل والدخول في تحالفات مع قوى عالمية فعالة لها مثل روسيا والصين، وهنا يبرز تأثير تبني التحوط الاستراتيجي على سياستي الولايات المتحدة الأمريكية وإيران في المنطقة.

### مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في موضوع التنافس الدولي في آسيا الوسطى بعدها غنية بموارد الطاقة فضلاً عن موقعها الاستراتيجي المهم، ومحاولة سيطرة القوى العالمية والإقليمية عليها بوسائل مختلفة، إلا أن هذه الوسائل يمكن أن تؤدي إلى تواصل هذه القوى، فتعمل هذه القوى على انتهاج استراتيجيات مغايرة متعارف عليه، ومن أبرز هذه الاستراتيجيات التحوط الاستراتيجي، وعليه تكمن مشكلة البحث في التساؤل الآتي:

ما تأثير التحوط الاستراتيجي في سياستي الولايات المتحدة الأمريكية وإيران؟

وما انعكاساته على منطقة آسيا الوسطى؟

### فرضية البحث

كلما زاد الضغط الأمريكي على إيران، زاد الاندفاع الإيراني على مناطق النفوذ الأمريكي القريبة منها، وكلما زاد النفوذ الإيراني في مناطق النفوذ الأمريكي؛ زاد نشاط الأخيرة فيها وتنوعت سياساتها تجاهها.

تقسيم البحث: قسم البحث على النحو الآتي

المبحث الأول: مفهوم التحوط الاستراتيجي.

المطلب الأول: تعريف التحوط الاستراتيجي.

المطلب الثاني: أهداف وآليات التحوط الاستراتيجي.

المبحث الثاني: التحوط الاستراتيجي في ظل التنافس حول منطقة آسيا الوسطى.

المطلب الأول: التحوط الاستراتيجي الأمريكي في ظل التنافس حول منطقة آسيا

الوسطى.

المطلب الثاني: التحوط الاستراتيجي الإيراني في ظل التنافس حول منطقة آسيا

الوسطى.

### المبحث الأول

## مفهوم التحوط الاستراتيجي

### المطلب الأول: تعريف التحوط الاستراتيجي

لتوضيح مصطلح التحوط، يستلزم بيان أصله لغوياً، فالتحوط مشتق لغةً من "حوطَ" تحوُّطاً: حفظه وتعهده بجلب ما ينفعه، ودفع ما يضره<sup>(١)</sup>، و"تحوط في الأمر احتاط وحذر... حاط القوم بالبلد: أحاطوا به، حاط الشيء: حفظه ورعاه، وأحاط به أو بالشيء: أحقق به من جوانبه كلها" أحاطه بالأمر علماً<sup>(٢)</sup>، أما في اللغة الإنكليزية فالتحوط (Hedge) "يعني جداراً أو حدوداً حاجزة، وهو وسيلة للحماية والدفاع، أو هو حماية من الخسارة أو الفشل عبر إجراءات متوازنة"<sup>(٣)</sup>.

أما في الاصطلاح، فالتحوط (Hedging) مصطلح مالي بالأساس، وهو طريقة لتقليل مخاطر الخسارة الناجمة عن تقلب الأسعار، ويتمثل في شراء أو بيع كميات متساوية من نفس السلع أو سلع متشابهة جداً، في وقت واحد تقريباً، في سوقين مختلفين مع توقع إن التغيير المستقبلي في السعر في إحدى الأسواق سيعوضه تغيير معاكس في السوق الأخرى، ومن ثم يأمل المتحوط في حماية نفسه من الخسارة الناتجة عن تغيرات الأسعار عبر تحويل المخاطرة إلى مضاربة يعتمد فيها على مهاراته في التنبؤ بحركات الأسعار<sup>(٤)</sup>.

ويستخدم مصطلح التحوط في العلاقات الدولية لوصف بعض الظواهر التي لا تتوافق مع توقعات النظريات التقليدية، إذ يسعى مفهوم التحوط الاستراتيجي إلى شرح كيفية إدارة القوى الكبرى لعلاقاتها، وتحديد الآليات التي يمكن عبرها للدول

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨). ص ٤٢٢-٤٢٣.

(٢) احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨)، ص ٥٨٢-٥٨٣.

(3) "Hedge", Merriam Webster Dictionary, accessed: 12/8/2022, available at: <https://www.merriam-webster.com>.

(4) "Hedging", Britannica, accessed: 12/8/2022, available at: <https://www.britannica.com>.

الصاعدة والصغرى أن تتحدى قائد النظام بشكل غير مباشر، وتتجاوز التوازن الناعم ولكن دون الانخراط في سلوك التوازن الصعب، ويوضح طبيعة المنافسة والتعاون بين القوى الكبرى عبر الحوافز الهيكلية المرتبطة بالنظام الأحادي القطبية، ويفيد كذلك في شرح وتحليل العلاقة بين القوى الكبرى والقوى الصاعدة والقوى الإقليمية، فالقوى الصاعدة والقوى الإقليمية تريد أن تُحسّن من قوتها ومجال نفوذها مع تجنب المواجهة المباشرة مع القوى الكبرى، وفي الوقت الذي تسعى فيه القوى الصاعدة إلى تحسين وضعها فيما يخص قائد النظام؛ فإن القوى الإقليمية تريد الاستفادة من قوتها النسبية لتقرير سياستها الخارجية وتحقيق استقلالها الاقتصادي<sup>(١)</sup>.

ويعرف كينيث والتز (Kenneth Waltz) التحوط الاستراتيجي بأنه: "سلوك تسعى عبره الدولة إلى مواجهة التهديدات عبر اتباع سياسات متعددة بهدف إحداث آثار تفاعلية متبادلة في ظل حالة عدم اليقين والتهديدات العالية"<sup>(٢)</sup>، أما إيفان ميديروس (Evan S. Medeiros) فالتحوط الاستراتيجي عنده يعني: "اتباع استراتيجيات تؤكد على آليات المشاركة والتكامل من جهة، ومن جهة أخرى تؤكد على التوازن الواقعي بصورة تعاون أمني خارجي وبرامج تحديث عسكرية وطنية"<sup>(٣)</sup>.

ووفقاً لـ إيفلين جوه (Evelyn Goh) فالتحوط الاستراتيجي: "مجموعة من الاستراتيجيات (أو التخطيط لحالات طارئة) تهدف الدولة عبره إلى تجنب حالة لا تستطيع فيها اتخاذ قرارات بشأن بدائل أكثر وضوحاً مثل التوازن أو الانحياز أو

(1) Mordechai Chaziza, "Israel – China Relations Enter a New Stage: Limited Strategic Hedging", Contemporary Review of the Middle East 5, No.1 (December 2017): P.2.

(2) According to: Cheng Chwee Kuik, "The Essence of Hedging: Malaysia and Singapore's Response to a Rising China", Contemporary Southeast Asia 30, No.2 (August 2008): P.163.

(3) Gustaafa Geeraets & Mohammad Salman, "The Impact of Strategic Hedging on the Foreign Politics of Great Powers: The Case of Chinese Energy Strategy in the Middle East", China Goes Global 7, (September 2013): P.4.

الحياد، وبدلاً من ذلك تضع بديلاً وسطاً لتجنب الاضطرار إلى اختيار جانب على حساب آخر واضح<sup>(1)</sup>.

وبينما يحدد بروك تيسمان (Brock F. Tessman) مفهوم التحوط الاستراتيجي على أنه: "جزء من خطة متماسكة طويلة الأجل، مصممة لتعظيم الفرص وتقليل التهديدات إلى حالة من الدرجة الثانية في نظام أحادي القطبية مع وجود دولة قائدة تبدو أنها في حالة تدهور نسبي"<sup>(2)</sup>.

في حين أشار كل من غوستافا غيرايتس ومحمد سلمان (Gustaafa Geeraets & Mohammad Salman) إلى أن التحوط الاستراتيجي: "شكل من أشكال السلوك الذي تستخدمه الدول التي ترغب في تحسين قدراتها التنافسية مع تجنب المواجهة المباشرة مع المنافسين الرئيسيين في الوقت نفسه، وهو اختيار يجذب الدول التي تواجه حالة من عدم اليقين بسبب التغيرات الهيكلية في النظام الدولي مثل نظام القطبية الأحادية الذي يفسح المجال لعملية انتشار القوة، ففي ظل هذه الظروف يصبح التحوط الاستراتيجي البديل

الأنسب لاستراتيجيات أخرى مثل التوازن والحياد، وغيرها"<sup>(3)</sup>.

ويعرف تشنك تشو كويك (Cheng Chwee Kuik) التحوط الاستراتيجي بأنه: "سلوك تسعى فيه دولة ما للتخلص من التهديدات، عبر اتخاذ سياسات مختلفة، ويتم استخدام هذا السلوك في حالات عدم اليقين، في حين يتم اتخاذ تدابير أمنية واقتصادية

(1) Evelyn Goh, Meeting the China Challenge: The U.S. in Southeast Asian Regional Security Strategies (Washington: East-West Center, 2005), P.2.

(2) Brock F. Tessman, "System Structure and State Strategy: Adding Hedging to the Menu", Security Studies 21, No.2 (May 2012): P.209.

(3) Gustaafa Geeraets and Mohammad Salman, "Measuring Strategic Hedging Capability of Second – Tier States Under Unipolarity", Chinese Political Science Review 1, No.1 (2016): P.76.

وسياسية<sup>(١)</sup>، أي هو: "سلوك يسعى إلى التأمين في ظل حالات عالية المخاطر وعدم اليقين، إذ تنتهج جهة فاعلة ذات سيادة مجموعة من السياسات المناوئة والغامضة عن عمد لمواجهة التنافس على القوة لإعداد موقف إحتياطي إذا تغيرت الظروف"<sup>(٢)</sup>.

وسعى عدد من المفكرين إلى تحسين مفهوم التحوط الاستراتيجي عبر إضافة التعقيد إلى شرح وقت حدوثه، على سبيل المثال يحدد تيسمان موقع التحوط الاستراتيجي في سياق قطبية النظام واقترح أن التحوط هو "الأكثر انتشاراً في الأنظمة أحادية القطب وفي عملية إلغاء تركيز القوة"<sup>(٣)</sup>. في حين اقترح فان جاكسون (Van Jackson) إطار عمل بديل يركز على منطق الشبكات المعقدة، ضمن الشبكات المترابطة للسياسة والاقتصاد، ويفسر رد الفعل على الدوافع الناشئة عن بنية معقدة محفوفة بأنواع متعددة من عدم اليقين والاستجابة العقلانية للمتحوط<sup>(٤)</sup>.

ويرى كويك وغيلبرت روزمان (Kuik & Gilbert Rozman) أن التحوط الاستراتيجي منتشر في السلوك الحالي لفن الحكم في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، ولتعزيز فهمه السائد بوصفه بوليصة تأمين استراتيجية؛ يؤكدان أن هذا النهج ذا الشقين لا يمثل توازناً خالصاً أو مجرد مسايرة، ويستلزم عناصر ثلاثة: عدم الانحياز بين القوى المتنافسة، واعتماد تدابير متعاكسة ومتعارضة، واستخدام الأفعال المضادة

(1) Cheng Chwee Kuik, "The Essence of Hedging: Malaysia and Singapore's Response to a Rising China", Op. Cit., P. 163.

(2) Cheng Chwee Kuik, "How Do Weaker States Hedge? Unpacking ASEAN states' alignment behavior towards China", Journal of Contemporary China 25, No. 100 (March 2016): P.12.

(3) Brock F. Tessman, "System Structure and State Strategy: Adding Hedging to the Menu", Op. Cit., P.193.

(4) Van Jackson, "Power, trust, and network complexity: three logics of hedging in Asian security", International Relations of the Asia-Pacific 14, No.3 (June 2014): P.P. 331 – 356.

بشكل متبادل للحفاظ على المكاسب وتشكيل موقف احتياطي<sup>(١)</sup>، كما يريان بأن تحوط الدول الصغرى يجنبها اتخاذ خيار واضح للانحياز إلى جانب قوة كبرى واحدة، وبدلاً من ذلك ينطوي على انحياز واقعي ومتداخل ومرن بدون التزام صارم، ويميز كويك وروزمان بين "المتحوظون الثقيلون" و"المتحوظون الخفيفون"، إذ يسعى الفاعلون إلى التحوط بدرجات مختلفة من التركيز على تدابير الطوارئ والمخاطر<sup>(٢)</sup>، وبشكل عام، تقوم نظرية التحوط الاستراتيجي على افتراضات عدة، هي<sup>(٣)</sup>:

١- كلما تراجعت قوة الدولة؛ زاد انكفاؤها على الداخل، أي تحوط داخلي للحفاظ على أمنها وبقائها.

٢- كلما زادت معدلات التهديد الأمني الخارجي؛ زادت معدلات التوسع الداخلي للدولة، أي السيطرة على أكبر قدر من الموارد لحفظ وزيادة الأمن في مواجهة الخارج.

٣- كلما زاد معدل الاستقرار الداخلي؛ زاد اتجاه الدول نحو الخارج سياسياً.

وللتحوط الاستراتيجي شروط عدة، ففي حالة الدول الكبرى، يجب توافر ركيزتين، هما<sup>(٤)</sup>:

١- يجب أن تكون الدولة مستقلة عسكرياً نسبياً، وهو أمر حاسم لسيادة الدولة ولعملية صنع القرار الدبلوماسي المستقل، وعلى الرغم من السماح بالتحالفات

(1) Cheng Chwee Kuik, "Light or Heavy Hedging: Positioning Between China and the United States", Op. Cit., P.2.

(2) Cheng Chwee Kuik, "Hedging in Post-Pandemic Asia: What, How, and Why?", The Asian Forum, 6/6/2022, accessed: 12/8/2022, available at: <https://theasanforum.org>.

(٣) طارق محمد طيب القصار، "التحوط الاستراتيجي في السياسة الدولية". (محاضرات ألقيت على طلبة الماجستير، السنة التحضيرية، جامعة الموصل، كلية العلوم السياسية، ٢٠٢١).

(4) Tianqi Yin, "Strong Power to Weak Power Strategic Hedging in Regional Conflicts and China's Involvement in the Saudi Arabia - Iran Rivalry", International Journal of Asian Social Science 12, No.8 (August 2022): P. 296.

العسكرية القوية مع الدول الأخرى؛ يجب ألا يتمكن أي من حلفاء الدولة من ممارسة السيطرة العملياتية على جيش الدولة الخاضعة.

٢- يجب أن تكون الدولة غير معزولة، مما يستبعد الدول الشمولية شديدة المركزية وشديدة الانغلاق على البيئة الدولية.

أما في حالة الدول الصغرى، ومن أجل عدّ الدولة بحالة تحوط، فيجب أن تتبع في سلوكها آلية تستند على ركائز أساسية ثلاث، هي<sup>(١)</sup>:

١- دعم القدرة الاقتصادية للاستعداد لقبول التكاليف المحلية والدولية على المدى القصير وزيادة الاحتياطات الاستراتيجية من المنافع العامة للتأمين ضد التهديدات الأمنية في ضوء عدم اليقين بشأن استمرار تقديم الإعانات المقدمة من قائد النظام.

٢- تحسين القدرة العسكرية تحسباً لمواجهة مع قائد النظام مع تجنب الاستفزاز الصريح لهذا القائد بشكل كبير في الترسانة العسكرية أو عبر الانضمام إلى تحالفات عسكرية ضد قائد النظام.

٣- تنسيق القرار مركزياً على أعلى مستويات الحكومة؛ لأنه يعالج قضايا تتعلق بمصلحة الأمن القومي.

مما تقدم، يمكن تعريف التحوط الاستراتيجي بأنه: اتباع سياسات متنوعة متضاربة ومتعاكسة للحد من التهديدات الأمنية المتزايدة في بيئة تتميز بعدم اليقين والوضوح، بشرط تطوير القدرات الاقتصادية والعسكرية وتوحيد القرار السياسي ومركزيته، وذلك للحصول على أكبر قدر ممكن من المكاسب مقابل أقل قدر من الخسائر، وللحفاظ أو الوصول إلى مكانة دولية مؤثرة.

### المطلب الثاني: أهداف وآليات التحوط الاستراتيجي

(1) Brock F. Tessman, "System Structure and State Strategy: Adding Hedging to the Menu", Op, Cit., P. 193.

تختلف أهداف التحوط الاستراتيجي حسب طبيعة الدولة المتحولة، فتتبعه الدول الصغرى لتحقيق أهداف عدة تتعلق بالأمن والاستقرار والعمل على توفير قوة إضافية وذلك عبر التحالفات الأمنية مثل تحالفات دول الخليج مع الولايات المتحدة الأمريكية، أو عبر تعزيز قدراتها العسكرية باتباع سياسات بناء وتحديث عسكري وذلك بتسخير مواردها خدمةً لهذا الهدف، فضلاً عن تعظيمها للمكاسب الاقتصادية، بينما تتحوط الدول الكبرى للحفاظ على مكانتها وهيمنتها، أو للحصول على مكانة دولية تتلاءم وعناصر قوتها الاستراتيجية.

**أولاً: أهداف التحوط الاستراتيجي:** يهدف التحوط الاستراتيجي إلى تعظيم المصالح الاستراتيجية للدولة قدر الإمكان، وبالأخص تعظيم المصالح الأمنية والاقتصادية، وسيتم توضيح هذه الأهداف فيما يأتي:

**١- البحث عن الأمن والاستقرار:** يُلحظ على سياسة التوازن أنها تؤدي إلى التضحية بالمصالح الاقتصادية للدولة، إلا أنه يمكن للدولة ممارسة سلوكيات عدة في الوقت ذاته لتحقيق أقصى قدر من توفير الأمن وتحقيق المصالح الاقتصادية، فتجد الدولة أن تعظيم مصالحها من شأنه أن يضعها بشكل أفضل في نظام دولي فوضوي، فالدولة تتبع استراتيجيات تتراوح بين الانحياز، والتوازن غير المباشر، والبراغماتية الاقتصادية، ومنع الهيمنة؛ فالأولى تعني أن الدولة تحاول الحصول على منافع سياسية عبر انحيازها الانتقائي، والثانية تعني محاولة توفير الأمن عبر اكتساب درجة معينة من القوة العسكرية، وتعني الاستراتيجية الثالثة أن الدولة تحاول تعظيم المكاسب الاقتصادية، أما الأخيرة فتعني محاولة منع أي

قوة كبرى إقليمية من السعي للهيمنة<sup>(1)</sup>.

وتفترض المدرسة الواقعية أن القوى الصغرى تتبع سياسة التوازن ضد الدول

(1) Cheng Chwee Kuik, "Light or Heavy Hedging: Positioning Between China and the United States", Op. Cit, P.13.

المهددة أو تتحاز إليها، وفي حالة تغيير الهيكل العام للنظام الدولي فإن هذه القوى ستعمل على تغيير سياستها الخارجية بشكل يتلاءم والوضع القائم، ويمكن معرفة سلوكها عبر الافتراضات الآتية<sup>(١)</sup>:

١- يجب أن تتفاعل الدول الصغرى مع القوى الكبرى، عبر التوازن أو المسايرة والانحياز.

٢- مع زيادة مستويات التهديد، يجب على الدول الصغرى أن تتصرف بواقعية عبر التوازن أو الانحياز.

٣- اختيار السياسة الخارجية مُقيد للدول الصغرى، وكلما صغر حجمها؛ زاد القيد، فكلما كان الاختيار مقيداً؛ كان على الدولة أن تتبع التوازن أو الانحياز.

إن الدول الصغرى دائماً ما تعاني لحفظ أمنها واستقرارها في النظام الدولي، ومن النادر جداً أن تؤدي دوراً مهيماً إلا في حالات استثنائية تحظى بموافقة الدول الكبرى، ويدور نمطها السلوكي حول الإمكانيات الحقيقية التي تمتلكها، كما أنها لا تتبع نفس السلوك دائماً بالطريقة نفسها<sup>(٢)</sup>، وعليه تتبع الدول الصغرى سياسة الانحياز؛ لأنها غير قادرة على ضمان أمنها بمفردها مما يجعلها تلجأ إلى الدول الكبرى لتوفيره، وتسعى كذلك إلى البحث عن بيئة تحقق الاستقرار؛ لأن محاولات الهيمنة من قبل الدول القوية لا يمكن ردعها إلا عبر تكوين حلف يجمع الدول ذات المصالح المشتركة للوقوف بوجه التهديدات الخارجية، مما يحقق لها الاستقرار ومن ثم تحقيق المنافع الاقتصادية، أي انصراف الدول الصغرى إلى البناء الداخلي والتنمية

(1) Neal G. Jesse and John R. Dreyer, Small States in the International System: At Peace and at War (Maryland: Lexington Books, 2016), P.51.

(2) Neal G. Jesse and John R. Dreyer, Small States in the International System: At Peace and at War, Op. cit., P.117.

الاقتصادية بدلاً من التكاليف الباهظة للتسلح<sup>(١)</sup>.

وتتميز سلوكيات الدول الصغرى في النظام الدولي عادةً بأنها تفتقر إلى بعض عناصر الأمن وتلجأ للتعويض عن الافتقار إلى هذه العناصر في العلاقات مع القوى الكبرى، وبما أن تلك الدول لا تستطيع اتباع استراتيجيات التوازن؛ لأن ذلك يؤدي إلى الاستفزاز المباشر للدول الأقوى الأمر الذي يهدد أمنها؛ فإن معظم علماء العلاقات الدولية عدواً الحياد والانحياز والخيارات الأفضل لها، ومع ذلك قد يكلف الحياد هذه الدول قطع العلاقات مع أحد أطراف النزاع، الذي كان من المتوقع أن يحظى بدعم الدولة الصغيرة، في حين أن الانحياز سيزيد من اعتماد الدولة على الحلفاء، ويظهر دور التحوط الاستراتيجي هنا، إذ يهدف إلى تجنب اتباع إحدى السياسات الموازنة أو الانحياز أو الحياد وتسعى الدولة عبره إلى تقليل المخاطر المحتملة فيما يتعلق بالقوى الإقليمية دون مواجهة أي منهما<sup>(٢)</sup>.

**٢- توفير قوة إضافية:** إن من أهداف التحوط الاستراتيجي زيادة قدرات الدولة بالاعتماد على حليف يضيفي لها قوة تجعلها قادرة على مواجهة التهديدات الإقليمية المتزايدة، فالانضمام إلى حلف يعمل على تعزيز القدرات الاقتصادية والعسكرية، فتلجأ الدول إلى التحالف بدلاً عن سياسة التوازن وتبعات التسلح التي تستنزف الموارد الاقتصادية، فضلاً عن حاجة التسلح إلى فترات زمنية طويلة؛ لذلك تعد أنجح وسيلة لتوفير قوة إضافية بعدها تحقق النتائج ذاتها وتكلفة أقل<sup>(٣)</sup>، وتسعى الدولة من ذلك إلى زيادة قدراتها اتجاه الدولة الأخرى، إذ تعد الأحلاف وسيلة لتقليل تأثير الدولة

(١) سعد حقي توفيق، *العلاقات الدولية* (بغداد: دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، ٢٠١٧). ص ٥١٩ - ٥٢٠.

(2) Leah Sherwood, "Small States' Strategic Hedging for Security and Influence", Trends Research, 14/9/2016, accessed: 21/8/2022, available at: <https://trendsresearch.org>.

(٣) عادل السلطان، *الأحلاف والتكتلات الدولية*، الحوار المتمدن، ٢٠٠٤/٨/١٩، تاريخ الوصول: ٢٠٢٢/٨/٢٣، على الرابط: <https://www.ahewar.org>.

المعادية التي تمارس ضغوطها لتهديد استقلال وأمن الدول الصغرى، والهدف من ذلك تحويل الضغط إلى ضغط مضاد والتركيز على نقاط ضعف العدو من أجل استنزافه اقتصادياً<sup>(١)</sup>.

وهناك حالات تتمتع فيها الدولة المتحولة عن الاعتماد على قوى تلزمها دون أخرى، وعضواً عن ذلك تسعى إلى تكوين تحالفات أمنية مع قوى متعددة أقل إلزاماً، على سبيل المثال تكوين تحالفات أمنية مع الولايات المتحدة الأمريكية وقوى إقليمية أخرى<sup>(٢)</sup>، مثل دول الخليج التي تعمل على تنويع تحالفاتها وشراكاتها الأمنية مع دول شرق آسيا مثل الصين وكوريا الجنوبية، فضلاً عن تحالفها مع الولايات المتحدة الأمريكية، أما في حالة لم يكن التهديد فعلياً أو واضحاً، يهدف التحوط الاستراتيجي إلى أن تتبع الدولة (أ) ضد الدولة (ب) التي يتوقع أن تشكل مصدر تهديد سياسة توازن لكن بكثافة منخفضة، على سبيل المثال البدء بعملية تسليح بشكل انتقائي للحفاظ على التوازن الدفاعي الهجومي، مما يعني محاولة تأمين دولة التحوط بشكل أفضل عبر الحصول على ميزة دفاعية ضد هجوم محتمل من قبل الدولة الأخرى، على افتراض أن هذه الأخيرة لن تبدأ حرباً في المستقبل القريب، فتعمل الدولة المتحولة على زيادة قدراتها العسكرية بشكل معتدل بهدف تعظيم الأمن باستخدام الحد الأدنى من الموارد<sup>(٣)</sup>.

**٣- تعظيم المكاسب الاقتصادية:** تهدف الدولة المتحولة إلى الحصول على المنافع الاقتصادية وتتبع بذلك سياسة "المسايرة من أجل الربح" التي وضعها شويلر، وبموجب هذه السياسة: في حال رأت الدولة المتحولة أن الخسائر في الأمن يمكن أن

(١) سعد حقي توفيق، العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢٤.

(2) Cheng Chwee Kuik, "The Essence of Hedging: Malaysia and Singapore's Response to a Rising China", Op. Cit., P.164.

(3) Cheng Chwee Kuik, "Light or Heavy Hedging: Positioning Between China and the United States", Op. Cit.

يتم تعويضها أو تجاوزها بالمكاسب الاقتصادية، وتنسق الدولة سلوكياتها لمنع إثارة ردود فعل قاسية من جانب القوة المستفيدة منها، وينطوي ذلك على التنازل بعض الشيء عن بعض الأهداف السياسية، فعند وصف الدول التي تسعى لتحقيق الربح، اقترح شويلر فكرة "موجة المستقبل"، التي تعني أن الدول المتحولة التي تهتم بالوضع الراهن تسعى إلى تحقيق مكاسب عبر الانضمام إلى الجانب الذي يتمتع بربحية أعلى في المستقبل<sup>(1)</sup>.

وتتمتع الدول المتحولة بمستوى عالٍ من الترابط الاقتصادي الذي يكون بمثابة أساس للدول للسعي بشكل عملي لتحقيق الأرباح الاقتصادية من ممارسة الأعمال التجارية مع الدولة الأقوى، وذلك عبر استخدام المؤسسات الإقليمية لتعظيم المكاسب الاقتصادية، على سبيل المثال تقوم الدول المتحولة في جنوب آسيا بإشراك الصين في شبكة التجارة الإقليمية التي تحكمها قواعد ولوائح لتحرير العلاقات التجارية<sup>(2)</sup>.

٤- البحث عن مكانة دولية والحفاظ على الهيمنة: تحاول الدول بشكل عام تعزيز مكانتها الدولية لتعزيز قوتها ونفوذها، إذ تسعى الدولة للحصول على مكانة بعدها مورداً مهماً لتنسيق توقعات الهيمنة والاحترام في التفاعلات الاستراتيجية<sup>(3)</sup>، وتتطوي المكانة سواء أكانت إقليمية أم دولية أم على مستوى المؤسسات الدولية على حقوق ومزايا مثل حصول الدولة على دورٍ متميزٍ في المنظمات الدولية، وهذا بدوره يوفر للدول فرصاً لتشكيل الترتيبات السياسية والاقتصادية والأمنية في العالم، وفقاً لمصالحها الخاصة، كما يمكن للمكانة الدولية المرتفعة أن

(1) 10- Randall L. Schweller, "Bandwagoning for Profit: Bringing the Revisionist State Back In", International Security 19, No.1 (Summer 1994), P.P. 96 – 97.

(2) Ji yun Lee, "Hedging Strategies of the Middle Powers in East Asian Security: the Cases of South Korea and Malaysia", Op. Cit., P.13.

(3) Jonathan Renshon, Fighting for Status: Hierarchy and Conflict in World Politics (New Jersey: Princeton University Press, 2017), P.33.

تحفز الاحترام السلوكي من الدول الأقل مكانة، وهذا يعني أن الدول الأعلى مكانة يجب أن تعتمد بشكل أقل على الإكراه لتحقيق أهدافها، فالدولة في أعلى التسلسل الهرمي للمكانة قادرة على ترجمة قوتها إلى النتائج السياسية التي تريدها<sup>(١)</sup>.

**ثانياً: آليات التحوط الاستراتيجي:** تحتاج الدولة إلى قدرات كافية لاتباع التحوط الاستراتيجي، إذ إن القدرات تبين وتوضح السلوك التحوطي المحتمل، كما أنه من الصعوبة تحديد قدرة التحوط الاستراتيجي دون معرفة بعض المؤشرات التي تعد آليات بناء التحوط الاستراتيجي، وهذه الآليات يمكن توضيحها على النحو الآتي:

**١- الديمقراطية والحكومة المركزية:** ترتبط عملية اتخاذ القرار السياسي الخارجي بطبيعة النظام السياسي للدولة، من كونه نظام ديمقراطياً أم غير ديمقراطي، ويؤثر في عملية اتخاذ القرار من ناحية الجهة التي تصنع القرار، ومدى مشاركة أكثر من طرف في هذه العملية، ومن ناحية أخرى المراحل التي تمر بها عملية صناعة القرار، ففي النظم الديمقراطية تخضع هذه العملية لإجراءات ومشاورات ومناقشات طويلة مع جهات عديدة، ويلزم لتنفيذها موافقة أكثر من جهة<sup>(٢)</sup>، وعلى الرغم من ذلك، فإن زيادة حجم المشاركة في عملية اتخاذ القرار في الأنظمة الديمقراطية، تؤدي إلى فقدان السرية، واحتمال معرفة أطراف خارجية بتفاصيل القرار قبل اتخاذه، ويختلف الأمر في الأنظمة غير الديمقراطية، فإن عملية اتخاذ القرار تتم في نطاق ضيق، ولا يشارك في اتخاذه إلا عناصر محدودة، فضلاً عن أن عملية اتخاذ القرار هنا تتميز بالسرعة في مواجهة المواقف الخارجية؛ لأن متخذ القرار لا يحتاج إلى مراجعة مؤسسات أخرى في الدولة ليكسب هذا القرار شرعيته منها، كما هو الحال في

(1) Yuen Foong Khong, "Power as prestige in world politics", International Affairs 95, No.1 (January 2019): P.120.

(٢) إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية: دراسة تحليلية مقارنة (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٠)، ص ١٥١.

الأنظمة الديمقراطية<sup>(١)</sup>.

ويعد تنفيذ القرار السيادي ركيزة أساسية لسلوك التحوط، ولا تصبح الدول الغنية اقتصادياً قوى كبرى إلا بالاستناد إلى حكومة مركزية قوية تعمل على تسخير القوة الاقتصادية والعسكرية لأغراض السياسة الخارجية، وعلى الرغم من أن للديمقراطية تأثيراً إيجابياً كبيراً في النمو الاقتصادي؛ لأنها تؤدي إلى توسيع الإنفاق الحكومي على التعليم والصحة وحماية حقوق الملكية والتجارة الحرة والسماح لعدد أكبر من المواطنين بالمشاركة في الاقتراح وإدخال القوانين؛ إلا أن المستويات العالية من الديمقراطية تؤدي إلى تقليص قدرة السلطة المركزية على اتخاذ القرارات، ومن ثم تراجع التنسيق على أعلى مستويات الحكومة الذي يعدّ أحد أهم شروط التحوط الاستراتيجي<sup>(٢)</sup>.

القرار المركزي الحكومي مثل حالة الصين، على الرغم من كونها دولة غير ديمقراطية وترتكز على سياسة الحزب الواحد؛ إلا أنها عملت على تسخير جميع القدرات خدمة لمصالح الدولة مما ساعدها على تبني تحوط استراتيجي فعال اتجاه القوى الدولية الكبرى المنافسة لها وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية.

**٢- تحسين القدرات الاقتصادية:** منذ مطلع تسعينيات القرن العشرين، بدأت النظريات السياسية التي أغفلت الحديث عن العوامل الاقتصادية في تفسيرها وتأثيرها في العلاقات الدولية تميل نحو التغيير والتسليم بدور هذا العنصر وأهميته في رسم شكل العلاقات الدولية وطبيعتها وتحديد موقع الدولة في سلم ترتيب الدول وتقدير مكانة أمنها القومي أو الإقليمي أو الدولي، إذ تشكل الدول غالبية اتجاهات علاقاتها

(١) أحمد عارف الكفارنة، العوامل المؤثرة في عملية اتخاذ القرار في السياسة الخارجية، مجلة دراسات دولية، العدد ٤٢ (٢٠٠٩): ص ٢٢.

(2) Gustaafa Geeraets and Mohammad Salman, "Measuring Strategic Hedging Capability of Second - Tier States Under Unipolarity", Op. Cit., P.P. 6 - 7.

الخارجية وفقاً لقدراتها الاقتصادية، وتعتمد عليها لتحقيق النصر في الحروب<sup>(١)</sup>، ونظراً لأهمية القوة الاقتصادية بعدها آلية للتحوط الاستراتيجي؛ يتم استخدام مؤشرات ثلاثة لقياس قدرة الدولة على التحوط، وهي الناتج المحلي الإجمالي، إجمالي الاحتياطيات، والدين الحكومي.

٣- تحسين القدرات العسكرية: تتبع أهمية القدرات العسكرية من كونها أحد العناصر الأساسية في تحديد مركز الدولة ومكانتها في النظام الدولي، فضلاً عما تمثله من مفتاح للأمن والاستقرار، ومن ثم فإن تحديد متطلبات بناء القوات المسلحة يُعد من الأولويات التي على قيادة الدولة السياسية تحديدها، وهذه يجب أن تتسجم مع جملة من المعطيات التي لا بُدَّ من أخذها بنظر الاعتبار، وهي<sup>(٢)</sup>:

- طبيعة التهديدات المحتملة سواءً للحالة الآنية القائمة أو للعدو المحتمل والمستقبلي.
- القدرات الاقتصادية المتيسرة ومدى إمكانية توظيف جزء منها في تأمين متطلبات البناء للمنظومة العسكرية والأمنية.
- البنية التحتية لعموم الدولة بشكل عام، والمؤسسة العسكرية القائمة ومدى قدرتها على التطور نحو تأمين متطلبات المرحلة اللاحقة بشكل خاص.
- العامل البشري ومدى تأمينه، خاصة فيما يتعلق بالعناصر ذات القدرات والقابليات عالية المستوى، التي تستطيع التعامل مع المستجدات العلمية في مجالات بناء القوات العسكرية.
- الوضع الجيوبوليتيكي للدولة ومدى حاجته إلى تأمين متطلبات بذاتها، إذ إن لكل جزء من البلاد طبيعة خاصة تختلف في متطلباتها عن الأخرى.

(١) بشار أحمد العراقي، "قياس قوة الدولة الاقتصادية: اعتماد منهجية دلفي في دراسة واقع البلدان العربية سنة ٢٠١٥ مقارنة بالدول الإقليمية"، *سياسات عربية*، العدد ٣٣ (تموز / يوليو ٢٠١٨): ص ٧٣.

(٢) حسن سلمان خليفة البيضاني، "متطلبات البناء وتطوير القدرات العسكرية العراقية في ظل التهديدات القائمة"، *مجلة حمورابي*، العدد ٣٧ (شتاء ٢٠٢١): ص ص ١٠٦ - ١٠٧.

وللقوة العسكرية تأثير مزدوج ومتناقض وفقاً للتحوط الاستراتيجي، إذ يتضمن الأخير تعزيز القدرات العسكرية، إلا أنه يسعى إلى تجنب استفزاز قائد النظام بسبب زيادة الترسانة العسكرية بشكل استفزازي أو الدخول في تحالف ضد الأخير، وعليه يتم اتباع مؤشرين: أحدهما إيجابي والآخر سلبي لقياس تأثير القوة العسكرية على التحوط الاستراتيجي هما: الإنفاق العسكري، ونمو الترسانة العسكرية<sup>(١)</sup>.

---

(1) Gustaafa Geeraets and Mohammad Salman, "Measuring Strategic Hedging Capability of Second – Tier States Under Unipolarity", Op. Cit., P.6.

## المبحث الثاني

### التحوط الاستراتيجي في ظل التنافس حول منطقة آسيا الوسطى المطلب الأول: التحوط الاستراتيجي الأمريكي في ظل التنافس حول آسيا الوسطى

تعود بدايات الوجود الأمريكي في آسيا الوسطى إلى تاريخ ما بعد هجمات (١١ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١)، عندما بدأت مفاوضات مع عواصم دول تلك المنطقة لنشر قواتها فيها، إذ وافقت أوزبكستان على توفير قاعدتها الجوية وأراضيها للقوات الأمريكية لضرب أفغانستان، بمقابل تعهد الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم مبلغ (٢٥) مليون دولار إلى أوزبكستان لشراء أسلحة لمحاربة الإرهاب<sup>(١)</sup>، كما وقع الطرفان على اتفاقية شراكة التعاون الاستراتيجي تركز على القضايا الأمنية في عام (٢٠٠٢)، وأنشأت القوات الجوية الأمريكية قواعد في مطار خان آباد بأوزبكستان، تلتها قاعدة أخرى في مطار ماناس الدولي في قرغيزستان<sup>(٢)</sup>.

إلا أن روسيا والصين عدت وجود القوات الأمريكية في آسيا الوسطى تهديداً أمنياً لها، مما دفعهما إلى الضغط على هذه الدول عبر اللجوء إلى منظمة شنغهاي من أجل انسحاب القوات الأمريكية من المنطقة، إذ دعمت هذه المنظمة أوزبكستان في عام (٢٠٠٥) لإغلاق القاعدة الجوية في خان آباد، وضغطت روسيا على قيرغيزستان لإغلاق القاعدة الجوية الأمريكية في ماناس، وفي عام (٢٠١٥)، انسحبت قيرغيزستان التي أصبحت عضواً في الاتحاد الاقتصادي الأوراسي بقيادة روسيا، من اتفاقية تعاون مدتها

(1) Pauline Luong and Erika Weinthal, "New friends, New Fears in Central Asia", *Foreign Affairs*, (New York, USA), April / March 2002, accessed: 14/10/2022,

[https://ciaotest.cc.columbia.edu/olj/fa/fa\\_marapr02/fa\\_marapr02f.html](https://ciaotest.cc.columbia.edu/olj/fa/fa_marapr02/fa_marapr02f.html).

(2) Degang Sun and Hend Elmahly, "NATO vs. SCO: A Comparative Study of Outside Powers' Military Presence in Central Asia and the Gulf", *Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies* 12, No.4, (February 2019): 11 – 12.

(٢٢) عاماً مع الولايات المتحدة<sup>(١)</sup>، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية تفاوض كل من طاجيكستان وأوزبكستان للسماح لها ببناء قواعد عسكرية لنشر طائراتها ومراكز القيادة والقوات الخاصة لتضع لنفسها موطئ قدم في آسيا الوسطى بعد انسحابها من أفغانستان عام (٢٠٢١)<sup>(٢)</sup>.

فضلاً عن ذلك، عملت الولايات المتحدة الأمريكية على تعزيز علاقاتها الاقتصادية مع دول المنطقة، فوقعت اتفاقية إطار العمل مع كل من كازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان وتركمانستان، ووقعت مع أوزبكستان اتفاقية تطوير علاقات التجارة والاستثمار<sup>(٣)</sup>، وأنشأت قمة (C5 + 1) في عام ٢٠١٥ (والتي تضم وزراء خارجية دول آسيا الوسطى الخمس ووزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية، وتُعد سنوياً لمواجهة التحديات الأمنية والاقتصادية والبيئية، ففي قمة ٢٠١٦) اتفق وزراء الخارجية الستة في واشنطن على تنفيذ خمسة مشاريع بقيمة ١٥ (مليون دولار، بتمويل من الكونجرس الأمريكي)<sup>(٤)</sup>.

أما في عام (٢٠٢٠)، فعملت الولايات المتحدة الأمريكية على تشجيع المشاريع الإقليمية التي تهدف إلى تعزيز التجارة والنقل وروابط البنية التحتية، وتطوير وتكثيف التفاعلات بين دول المنطقة في قطاع الطاقة، وتحسين التعاون العلمي والتكنولوجي،

(1) Ibid.

(2) "US persuades Tajikistan, Uzbekistan to allow military bases to oversee operations in Afghanistan", ANI News, 12/1/2022, accessed: 17/10/2022, <https://www.aninews.in/news/world/asia/us-persuades-tajikistan-uzbekistan-to-allow-military-bases-to-oversee-operations-in-afghanistan20220112045749>

(3) Mher Sahakyan, "The New Great Power Competition in Central Asia: Opportunities and Challenges for the Gulf", HAL Open Science, March/2021, accessed: 13/10/2022, <https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-03224546>.

(4) U.S. Department of State, Fact Sheet, C5+1 Fact Sheet, 22/9/2017, <https://2017-2021.state.gov/c51-fact-sheet/index.html>.

وتوسيع العلاقات الثقافية والإنسانية والتعليمية، وتطوير أمن الحدود، وكذلك التعاون وتوسيع الحوار حول التهديدات الإرهابية، وتعزيز عملية السلام الأفغانية، وتقوية المجتمع المدني<sup>(١)</sup>، ومشروع خط سكة حديد بين أفغانستان وباكستان، والطريق الدائري الأفغاني، وخط أنابيب تركمانستان وأفغانستان وباكستان والهند (TAPI)، ومبادرة آسيا الوسطى لمكافحة المخدرات، وخط نقل الطاقة بين آسيا الوسطى وجنوب آسيا<sup>(٢)</sup>، ذلك كله يدعم الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة.

مما تقدم، يتضح أن استراتيجية التحوط الأمريكية تجاه منطقة آسيا الوسطى تسعى إلى تحقيق أهداف عدة، منها: احتواء إيران عبر استخدام الوسائل الدبلوماسية والمساعدات الخارجية، ودعم التوجهات الإصلاحية، ومساندة التوجه التركي لمحاصرة النفوذ الإيراني في المنطقة، ويلاحظ ذلك في قول ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي الأسبق بقوله: "أن لتركيا دوراً مهماً ضد التغلغل الإيراني في الشرق الأوسط وتؤثر إيجابياً على أوزبكستان وتركمانستان وقرغيزستان وكازاخستان كي لا تسقط في الفخ الإيراني..."<sup>(٣)</sup>.

وكذلك تقليص النفوذ الروسي في آسيا الوسطى، ومد نفوذها في المناطق التي كانت تابعة للاتحاد السوفياتي السابق لاسيما جمهوريات هذه المنطقة ومحاولة عزلها بشكل نهائي عن روابطها مع روسيا، وتبرز أهمية إيران في هذا المجال والسعي الأمريكي لعزلها عن روسيا وعن الدول الجديدة في المنطقة، فإيران الجسر الطبيعي والمناسب للربط بين تلك المناطق والخليج العربي والمياه الدولية، والعمل على كبح المحور الثلاثي (الروسي - الإيراني - الصيني)، عبر دعم التوجه التركي نحو آسيا

(1) U.S. Embassy in Uzbekistan, *Joint Statement on the Ministerial Meeting in the C5+1 Format*, 5/2/2020, <https://uz.usembassy.gov/joint-statement-on-the-ministerial-meeting-in-the-c51-format>.

(2) Sahakyan, "The New Great Power Competition".

(٣) سعد رزيق إيدام وعباس هاشم عزيز، أثر المتغير الأمريكي في التوجه التركي - الإيراني نحو جمهوريات آسيا الوسطى بعد الحرب الباردة، *مداوات إيرانية*، العدد ١، (أيلول / سبتمبر ٢٠١٨): ٤٠٤.

الوسطى، وزيادة وجودها في المنطقة مما يفضي إلى احتواء روسيا من جناحها الجنوبي، والصين من جناحها الغربي مع إزالة النفوذ الروسي - الإيراني واستبداله بنفوذ تابع لها، فضلاً عن تعزيز وجودها العسكري بإقامة قواعد عسكرية في المنطقة بعدها موقع تلاقي ثلاث مناطق الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وجنوب آسيا<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: التحوط الاستراتيجي الإيراني في ظل التنافس حول آسيا الوسطى

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي حاولت إيران التعاون مع جيرانها الجدد في آسيا الوسطى وممارسة نفوذها عليهم، إلا أن إيران لم تكن بعيدة عن المنافسة الدولية على المنطقة، إذ كانت دول عدة مثل الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وتركيا وإسرائيل والهند والصين وباكستان، كل منها سعى إلى وضع موطئ قدم في المنطقة بالاعتماد على مزايا استراتيجية عدة لأداء دور حيوي في المنطقة، وفيما يتعلق بإيران، فيمكن أن تتلخص مزاياها وفرصها في المنطقة على النحو الآتي<sup>(٢)</sup>:

١- التقارب الجغرافي: يقع بحر قزوين على الحدود الشمالية لإيران، ومن ثم تشترك إيران في أراضيها مع تركمانستان وكازاخستان، وكذلك الحدود المشتركة مع تركمانستان، مما يوفر لها ميزة مهمة في علاقاتها مع جمهوريات آسيا الوسطى، ويمكن عبر ذلك أن تعمل بوصفها حلقة وصل بين هذه الجمهوريات والعالم الخارجي عن طريق إنشاء مجموعة من شبكات النقل البري ومنها السكك الحديدية.

٢- الروابط الثقافية: يتحدث شعبا طاجيكستان وأذربيجان اللغة الفارسية، فضلاً عن الامتدادات العرقية لبعض هذه الدول في إيران، مثل الأقلية الأذرية والتركماني في

(١) إيدام وعزيز، "أثر المتغير الأمريكي"، ٤٠٦ و ٤٠٨.

(٢) أحمد عبده طرابيك، "تنافس دولي وإقليمي في آسيا الوسطى يضع تحديات أمام التقارب مع الدول العربية"، مجلة آراء حول الخليج، العدد ١٤٢، (٢٠١٩/١٠/٨)، تاريخ الوصول: ٢٠٢٢/١٠/١٤.

إيران.

٣- تُعدّ إيران الميناء البري الطبيعي لغالبية دول المنطقة من الموصل إلى الخليج العربي.

٤- القدرة الإنتاجية وموارد الطاقة: تمتلك إيران القدرة على إنتاج السلع الاستهلاكية التي تحتاجها هذه الدول، فضلاً عن قدرات إيران في إنتاج وتكرير النفط والغاز، والتي لها أهمية كبيرة بالنسبة للجمهوريات المستقلة وخاصةً تركمانستان، فضلاً عن قرب إيران من الدول المستهلكة للطاقة مثل تركيا وأرمينيا والهند وباكستان ودول الاتحاد الأوروبي، ويتجلى ذلك في التصدير الناجح للغاز التركماني إلى تركيا وأوروبا عبر إيران بأقصر الطرق وأفضلها وأقلها تكلفة عبر خط أنابيب (كوريبيديجي - كورت كوي) والذي يعد أول خط أنابيب غاز غير روسي في آسيا الوسطى وتبلغ طاقته السنوية ما يقارب (٣٠٠) مليار متر مكعب<sup>(١)</sup>.

وعليه، فإن إيران استفادت من هذه المزايا في علاقاتها مع آسيا الوسطى لتحقيق مجموعة من الأهداف منها، الخروج من العزلة الدولية المفروضة عليها منذ ثورة (١٩٧٩)، والتي زادت مع الكشف عن أنشطتها النووية أواخر عام (٢٠٠٢)، ومواجهة النفوذ الأمريكي المتزايد في المنطقة، والعمل على تصدير الثقافة والأيدولوجية الإيرانية إلى المنطقة، فضلاً عن تعزيز العلاقات الاقتصادية مع دول المنطقة<sup>(٢)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن الصين تُعد من أوائل الدول التي اعترفت بدول آسيا الوسطى بعد الاستقلال عن الاتحاد السوفياتي السابق، وأقامت علاقات دبلوماسية قوية معها،

(١) رباب بولمشاور وجميلة علاق، ألتنافس حول شبكة خطوط أنابيب الطاقة في منطقة آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين، المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية ٦، العدد ١، (حزيران / يونيو ٢٠٢٢): ٢٩٠.

(2) Abdalla Moh'd Dyab Al-Nouimat, Saltanat Jakubayeva, Duman Zhekenov and A. Azimov, "Geopolitical interest of Iran in Central Asia", *Халықаралық қатынастар және халықаралық құқық сериясы* 87, No.3, (2019): 43.

ولعلّ من أبرز ما أفرزته الاستراتيجية الصينية تجاه المنطقة هي فكرة منظمة شنغهاي للتعاون مع روسيا وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان، والتي انضمت إليها أوزبكستان في عام (٢٠٠١)، ويكمن السبب الرئيس وراء ذلك أن الصين كانت تستخدم نفوذ روسيا للانتقال إلى آسيا الوسطى، بينما كانت روسيا تبحث عن حليف قوي في آسيا لمواجهة توسع الناتو والاتحاد الأوروبي تجاه مناطق نفوذها، وكذلك تزايد احتياج الصين إلى الطاقة وارتفاع أسعار النفط والغاز، دفعها للبحث عن بدائل أرخص وأكثر أماناً لتلبية احتياجاتها، فأصبحت موارد الطاقة في آسيا الوسطى القريبة منها هدفها المنشود لتلبية ذلك<sup>(١)</sup>.

وفي ذات السياق، وقعت إيران وثيقة انضمامها لمنظمة شنغهاي في (٢٠٢٢/٩/١٦) في قمة سمرقند، إذ ترى إيران أن ذلك يساعدها على حماية مصالحها الأساسية في ظل العقوبات التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية والتي شلت اقتصادها لفترة طويلة، وكذلك التزامها بالتعددية الآسيوية<sup>(٢)</sup>، وهناك محددات عدة تحد من النفوذ السياسي والاقتصادي الإيراني في آسيا الوسطى، وهي على النحو الآتي<sup>(٣)</sup>:

١- الطبيعة الأيديولوجية لدول آسيا الوسطى، فهي دول علمانية نوعاً ما، وترى بأن إيران تشكل تهديداً لها لأنها دولة ثيوقراطية، ويطغى على خطابات قادتها أهمية تصدير "الثورة الإسلامية".

٢- ما زالت إيران تخضع لعقوبات أميركية شديدة، مما يعرقل استثماراتها في المنطقة، وكذلك نفوذ القوى الدولية مثل الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين، فنول آسيا الوسطى حنزة في علاقاتها مع إيران؛ لأنها لا تريد أن

(1) Ibid, 44.

(٢) حسين أمير عبداللهيان، "انضمام إيران لمنظمة شنغهاي" وأقول الهيمنة الأحادية، وكالة مهر للأنباء، ٢٠٢٢/٩/١٧، تاريخ الوصول: ٢٠٢٢/١٠/١٤.

<https://ar.mehrnews.com/news/1926564>.

(3) Sahakyan, "The New Great Power Competition".

تبدو وكأنها موجهة تحت الضغط الأمريكي تجاه إيران.

وعلى الرغم من التحديات أعلاه، إلا أن إيران حققت بعض النجاحات عبر قوتها الناعمة، على سبيل المثال في طاجيكستان، التي تشترك معها في اللغة والثقافة، إذ قامت بدعم البنية التحتية المالية، والقدرات الجوية، والاتصالات عبر الأقمار الصناعية، فضلاً عن الكتب المدرسية المكتوبة بالحروف الفارسية، كما تحاول إيران تحسين آليات التعاون عبر الانضمام إلى مشاريع مشتركة عدة، بما في ذلك ممر النقل الدولي بين الشمال والجنوب (INSTC) الذي يربط بين روسيا والهند عبر آسيا الوسطى وإيران، كما يربط الطريق الشرقي بين السكك الحديدية الروسية والإيرانية والتركمانية والكازاخية والأوزبكية<sup>(1)</sup>.

ونفذت إيران في العقد الأول من القرن أعمالاً كبيرة بالتعاون مع دول آسيا الوسطى، على سبيل المثال ممر العبور (تيجين - سيراخس - مشهد) الذي أتاح لجمهوريات آسيا الوسطى إمكانية الوصول إلى الموانئ في الخليج العربي، والأسواق في الشرق الأوسط، وفي جنوب وشرق آسيا، وأصبحت كذلك مصدراً أساسياً لإيرادات تركمانستان من النقد الأجنبي، كما تعاونت إيران مع دول آسيا الوسطى لبناء محطات الطاقة الكهرومائية، إذ خططت إيران لجعل شبكات الكهرباء الإيرانية تعمل بالتوازي مع الشبكات المحلية وعملت على بناء خطوط أنابيب الغاز وغيرها من البنى التحتية المشتركة<sup>(2)</sup>.

إن العلاقات الجيدة بين إيران والصين وروسيا، سمحت لها بالارتباط بدول المنطقة

(1) Mher D Sahakyan, "Rebuilding Interconnections: Russia, India and the International North-South Transport Corridor" Asia Global Online, 17/9/2020, accessed: 13/10/2022, <https://www.asiaglobalonline.hku.hk/rebuilding-interconnections-russia-india-and-international-north-south-transport-corridor>.

(2) Silvia Boltuc, "Iran's interests and strategy in Central Asia", Geopolitical Report 23, No.1, (September 2022), accessed: 14/10/2022, <https://www.specialeurasia.com/2022/09/07/iran-interests-central-asia>.

دون تضارب كبير في المصالح، والقدرة على تنويع علاقاتها التجارية، وجنبا إلى جنب مع هذه الجهات الفاعلة الإقليمية الحاسمة، حاولت طهران تحقيق الاستقرار في المنطقة عبر أداء دور أساسي في مكافحة الإرهاب<sup>(1)</sup>.

وفي (٣٠ أيار / مايو عام ٢٠٢٢) عقد الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي والرئيس الطاجيكي لقاء يوصف بالتاريخي وتم توقيع (١٧) اتفاقية تعاون<sup>(٢)</sup>، وأعطى هذا الحدث دفعة جديدة للعلاقات بين الدولتين اللتين واجهتا أزمة وفتوراً في السنوات الأخيرة على أثر قيام زعيم حزب النهضة الإسلامي في طاجيكستان محي الدين كبيري بزيارة رسمية إلى إيران والتقى بالمرشد الأعلى الخامنئي في عام (٢٠١٥)، مما أثار سخط السلطات الطاجيكية التي فسرت هذا الحدث على أنه دعم إيراني للمعارضة<sup>(٣)</sup>.

وترتبط إيران بكازاخستان عن طريق المشاركة المشتركة للدول في حل النزاعات الدولية، فضلاً عن استضافة كازاخستان أكثر من مرة المفاوضات الدولية حول البرنامج النووي الإيراني، وازداد حجم التجارة بينهما بشكل كبير منذ افتتاح خط سكة حديد شرق بحر قزوين في عام (٢٠١٤)، وبفضل ذلك يتم تسليم البضائع بشكل أسرع وأرخص، وقيرغيزستان هي الدولة الوحيدة في المنطقة التي وقعت بنجاح اتفاقية تعاون مدتها عشر سنوات مع إيران في عام (٢٠١٦) وكانت أول

(1) Francisco Olmos, "Busy Times in Iran-Central Asia Relations", *The Diplomat*, (Washington, D.C., USA), 24/6/2022, accessed: 14/10/2022, <https://thediplomat.com/2022/06/busy-times-in-iran-central-asia-relations>.

(٢) صابر غل عنبري، الرئيس الطاجيكي يلتقي نظيره الإيراني في طهران: التوقيع على ١٧ وثيقة، العربي الجديد، ٢٠٢٢/٥/٣٠، تاريخ الوصول: ٢٠٢٢/١٠/١٤، <https://www.alaraby.co.uk/politics/%D8%A7%D9%...>

(3) "Tajikistan concerned over Iran's decision to invite leader of banned IRP to conference", *Asia – Plus*, 30/12/2015, accessed: 14/10/2022, <https://www.asiaplustj.info/en/news/tajikistan/politics/20151230/tajikistan-concerned-over-iran-s-decision-invite-leader-banned-irp-conference>.

من حصل على أُرصفة في ميناء تشابهار في خليج عمان في عام (٢٠٠٧)<sup>(١)</sup>.

---

(1) Boltuc, "Iran's interests and strategy in Central Asia".

## الخاتمة

تتجلى استراتيجية التحوط في ميدان التنافس الدولي في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الحفاظ على مكانتها والحفاظ على مصالحها الاستراتيجية ومنع تمدد النفوذ الصيني والروسي، بينما تتجلى استراتيجية إيران التحوطية في مد نفوذها ومحاولة الحصول على مكاسب اقتصادية تستطيع عبرها التخلص من العقوبات الغربية المفروضة عليها، فترى بأنها أصبحت قوة تؤدي دوراً قيادياً في منطقة آسيا الوسطى.

وعليه، فإن تأثير التحوط الاستراتيجي على السياسات الخارجية الأمريكية والإيرانية فيما يتعلق بالتنافس حول منطقة آسيا الوسطى، يمكن توضيحه على النحو الآتي:

- ١- احتواء إيران ومنعها من مد نفوذها إلى المنطقة.
- ٢- احتواء روسيا من جناحها الجنوبي، والصين من جناحها الغربي مع إزالة النفوذ الروسي - الإيراني واستبداله بنفوذ تابع لها.
- ٣- تحقيق مكاسب اقتصادية جديدة تتمثل بوفرة موارد الطاقة الهائلة في المنطقة.
- ٤- يتيح لإيران مجالاً استراتيجياً جديداً يمكنها من مواجهة الحملة الأمريكية ضد برنامجها النووي، خاصةً بعد الحصار الأمريكي عليها بعد حربي أفغانستان والعراق، إذ أصبح الوجود العسكري الأمريكي على تماس مع حدودها، لذلك لم تتردد إيران في استغلال هذه الفرصة لكسر الحصار الأمريكي وتوسيع نفوذها.
- ٥- تحقيق طموحاتها فيما يسمى بـ "استراتيجية المنطقة الحيوية"، إذ تلعب طاجيكستان دوراً رئيساً في ذلك وتمثل نافذة إيران على آسيا الوسطى وأفغانستان المجاورة.
- ٦- ساعد التنافس في المنطقة على زيادة تعاونها وشراكاتها مع روسيا والصين مما يضمن توفير قوة إضافية لها وتوفير الأمن والاستقرار فضلاً عن بقائها لاعباً مؤثراً في المنطقة.

## المصادر

## المصادر العربية:

## أولاً: المعاجم والقواميس:

- ١- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨).
- ٢- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨).

## ثانياً: الكتب:

- ١- إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية: دراسة تحليلية مقارنة (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٠).
- ٢- سعد حقي توفيق، العلاقات الدولية (بغداد: دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، ٢٠١٧).

## ثالثاً: المجلات العلمية:

- ١- أحمد عارف الكفارنة، العوامل المؤثرة في عملية اتخاذ القرار في السياسة الخارجية، مجلة دراسات دولية، العدد ٤٢ (٢٠٠٩).
- ٢- بشار أحمد العراقي، قياس قوة الدولة الاقتصادية: اعتماد منهجية دلّفي في دراسة واقع البلدان العربية سنة ٢٠١٥ مقارنة بالدول الإقليمية، سياسات عربية، العدد ٣٣ (تموز / يوليو ٢٠١٨).
- ٣- حسن سلمان خليفة البيضاني، متطلبات البناء وتطوير القدرات العسكرية العراقية في ظل التهديدات القائمة، مجلة حمورابي، العدد ٣٧ (شتاء ٢٠٢١).
- ٤- رباب بولمشاور وجميلة علاق، التنافس حول شبكة خطوط أنابيب الطاقة في منطقة آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين، المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية

والاجتماعية ٦، العدد ١، (حزيران / يونيو ٢٠٢٢).

٥- سعد رزيق إيدام وعباس هاشم عزيز، "أثر المتغير الأمريكي في التوجه التركي - الإيراني نحو جمهوريات آسيا الوسطى بعد الحرب الباردة"، *مبادرات إيرانية*، العدد ١، (أيلول / سبتمبر ٢٠١٨).

#### رابعاً: المحاضرات:

١- طارق محمد طيب القصار، "التحوط الاستراتيجي في السياسة الدولية". (محاضرات أُلقيت على طلبة الماجستير، السنة التحضيرية، جامعة الموصل، كلية العلوم السياسية، ٢٠٢١).

#### خامساً: الإنترنت:

١- أحمد عبده طرابيك، "تنافس دولي وإقليمي في آسيا الوسطى يضع تحديات أمام التقارب مع الدول العربية"، *مجلة آراء حول الخليج*، العدد ١٤٢، (٢٠١٩/١٠/٨)، تاريخ الوصول: ٢٠٢٢/١٠/١٤، <https://araa.sa/index.php?option=com>

٢- حسين أمير عبد اللهيان، "انضمام إيران لمنظمة شنغهاي" وأقول الهيمنة الأحادية، وكالة مهر للأنباء، ٢٠٢٢/٩/١٧، تاريخ الوصول: ٢٠٢٢/١٠/١٤، <https://ar.mehrnews.com/news/1926564>.

٣- صابر غل عنبري، "الرئيس الطاجيكي يلتقي نظيره الإيراني في طهران: التوقيع على ١٧ وثيقة"، *العربي الجديد*، ٢٠٢٢/٥/٣٠، تاريخ الوصول: ٢٠٢٢/١٠/١٤، <https://www.alaraby.co.uk/politics/%D8%A7%D9%...>

٤- عادل السلطان، "الأحلاف والتكتلات الدولية"، *الحوار المتمدن*، ٢٠٠٤/٨/١٩، تاريخ الوصول: ٢٠٢٢/٨/٢٣، على الرابط: <https://www.ahewar.org>.

#### المصادر الأجنبية:

**First: Books:**

- 1- Cheng Chwee Kuik, "Light or Heavy Hedging: Positioning Between China and the United States," in *Joint U.S. – Korea Academic Studies*, ed. Gilbert Rozman (USA: Korea Economic Institute of America, 2015).
- 2- Evelyn Goh, *Meeting the China Challenge: The U.S. in Southeast Asian Regional Security Strategies* (Washington: East-West Center, 2005).
- 3- Jonathan Renshon, *Fighting for Status: Hierarchy and Conflict in World Politics* (New Jersey: Princeton University Press, 2017).
- 4- Neal G. Jesse and John R. Dreyer, *Small States in the International System: At Peace and at War* (Maryland: Lexington Books, 2016).

**Second: Journals:**

- 1- Abdalla Moh'd Dyab Al-Nouimat, Saltanat Jakubayeva, Duman Zhekenov and A. Azimov, "Geopolitical interest of Iran in Central Asia", *Халықаралық қатынастар және халықаралық құқық сериясы 87*, No.3, (2019).
- 2- Brock F. Tessman, "System Structure and State Strategy: Adding Hedging to the Menu", *Security Studies* 21, No.2 (May 2012).
- 3- Cheng Chwee Kuik, "How Do Weaker States Hedge? Unpacking ASEAN states' alignment behavior towards China", *Journal of Contemporary China* 25, No. 100 (March 2016).
- 4- Cheng Chwee Kuik, "The Essence of Hedging: Malaysia and Singapore's Response to a Rising China", *Contemporary Southeast Asia* 30, No.2 (August 2008).
- 5- Degang Sun and Hend Elmahly, "NATO vs. SCO: A Comparative

Study of Outside Powers' Military Presence in Central Asia and the Gulf", *Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies* 12, No.4, (February 2019).

- 6- Gustaafa Geeraets & Mohammad Salman, "The Impact of Strategic Hedging on the Foreign Politics of Great Powers: The Case of Chinese Energy Strategy in the Middle East", *China Goes Global* 7, (September 2013).
- 7- Gustaafa Geeraets and Mohammad Salman, "Measuring Strategic Hedging Capability of Second – Tier States Under Unipolarity", *Chinese Political Science Review* 1, No.1 (2016).
- 8- Ji yun Lee, "Hedging Strategies of the Middle Powers in East Asian Security: the Cases of South Korea and Malaysia", *East Asia* 34, No.1 (March 2017).
- 9- Mordechai Chaziza, "Israel – China Relations Enter a New Stage: Limited Strategic Hedging", *Contemporary Review of the Middle East* 5, No.1 (December 2017).
- 10- Randall L. Schweller, "Bandwagoning for Profit: Bringing the Revisionist State Back In", *International Security* 19, No.1 (Summer 1994).
- 11- Tianqi Yin, "Strong Power to Weak Power Strategic Hedging in Regional Conflicts and China's Involvement in the Saudi Arabia – Iran Rivalry", *International Journal of Asian Social Science* 12, No.8 (August 2022).
- 12- Van Jackson, "Power, trust, and network complexity: three logics of hedging in Asian security", *International Relations of the Asia-Pacific* 14, No.3 (June 2014).
- 13- Yuen Foong Khong, "Power as prestige in world politics", *International Affairs* 95, No.1 (January 2019).

**Third: Internet:**

- 1- Cheng Chwee Kuik, "Hedging in Post-Pandemic Asia: What, How, and Why?", *The Asian Forum*, 6/6/2022, accessed: 12/8/2022, available at: <https://theasianforum.org>.
- 2- Francisco Olmos, "Busy Times in Iran-Central Asia Relations", *The Diplomat*, (Washington, D.C., USA), 24/6/2022, accessed: 14/10/2022, <https://thediplomat.com/2022/06/busy-times-in-iran-central-asia-relations>.
- 3- Hedge", Merriam Webster Dictionary, accessed: 12/8/2022, available at: <https://www.merriam-webster.com>.
- 4- Hedging", Britannica, accessed: 12/8/2022, available at: <https://www.britannica.com>.
- 5- Leah Sherwood, "Small States' Strategic Hedging for Security and Influence", Trends Research, 14/9/2016, accessed: 21/8/2022, available at: <https://trendsresearch.org>.
- 6- Mher D Sahakyan, "Rebuilding Interconnections: Russia, India and the International North-South Transport Corridor" Asia Global Online, 17/9/2020, accessed: 13/10/2022, <https://www.asiaglobalonline.hku.hk/rebuilding-interconnections-russia-india-and-international-north-south-transport-corridor>.
- 7- Mher Sahakyan, "The New Great Power Competition in Central Asia: Opportunities and Challenges for the Gulf", HAL Open Science, March/2021, accessed: 13/10/2022, <https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-03224546>.
- 8- Pauline Luong and Erika Weinthal, "New friends, New Fears in Central Asia", *Foreign Affairs*, (New York, USA), April / March 2002, accessed: 14/10/2022, [https://ciaotest.cc.columbia.edu/olj/fa/fa\\_marapr02/fa\\_marapr02f.html](https://ciaotest.cc.columbia.edu/olj/fa/fa_marapr02/fa_marapr02f.html).

- 9- Silvia Boltuc, “Iran’s interests and strategy in Central Asia”, Geopolitical Report 23, No.1, (September 2022), accessed: 14/10/2022,  
<https://www.specialeurasia.com/2022/09/07/iran-interests-central-asia>.
- 10- Tajikistan concerned over Iran’s decision to invite leader of banned IRP to conference”, Asia – Plus, 30/12/2015, accessed: 14/10/2022,  
<https://www.asiaplustj.info/en/news/tajikistan/politics/20151230/tajikistan-concerned-over-iran-s-decision-invite-leader-banned-irp-conference>.
- 11- U.S. Department of State, Fact Sheet, *C5+1 Fact Sheet*, 22/9/2017,  
<https://2017-2021.state.gov/c51-fact-sheet/index.html>.
- 12- U.S. Embassy in Uzbekistan, *Joint Statement on the Ministerial Meeting in the C5+1 Format*, 5/2/2020,  
<https://uz.usembassy.gov/joint-statement-on-the-ministerial-meeting-in-the-c51-format>.
- 13- US persuades Tajikistan, Uzbekistan to allow military bases to oversee operations in Afghanistan”, ANI News, 12/1/2022, accessed: 17/10/2022,  
<https://www.aninews.in/news/world/asia/us-persuades-tajikistan-uzbekistan-to-allow-military-bases-to-oversee-operations-in-afghanistan20220112045749>



# تأملات في تأريخ النظم القانونية والاجتماعية الخارجة عن دائرة الدولة

د. محمد عامر حسن (\*)

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٩/٢٥ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١٠/٩ تاريخ النشر: ٢٠٢٤/٢/٢٨

## المستخلص

البحث بعنوان (تأملات في تاريخ النظم القانونية والاجتماعية خارج دائرة الدولة) الذي يفترض أن دراسة نشأة الدولة تتطلب متابعة تاريخية للعلاقة بين النظم القانونية والنظم الاجتماعية التي نشأت بعد أن تخلّص القانون من كل ما هو مغاير عنها كالدين والأخلاق، لربط وجودها بالأنظمة الاجتماعية، وسيتناول البحث هذه الأنظمة عند اليونانيين خلال العصور الوسطى، ثم مدرستي الوضعية والعلوم الاجتماعية، مبيناً أنماط مختلفة لهذه العلاقة في كل مرحلة تاريخية، مع الإشارة إلى بعض القواعد القانونية الموجودة فوق الدولة والقواعد القانونية للفئات الأدنى من الدولة.

الكلمات المفتاحية: النظم القانونية، النظم الاجتماعية، الإغريق، العصور الوسطى، القواعد القانونية، فوق الدولة، تحت الدولة

---

(\*) م.د. محمد عامر حسن، باحث وأكاديمي عراقي.

**المفاتيح الأساسية للدراسة:**

- ١ . النظم القانونية.
- ٢ . النظم الاجتماعية.
- ٣ . النظم القانونية والاجتماعية لدى كل من (الإغريق، العصور الوسطى، المدرستين  
الوضعية والعلم اجتماعية).
- ٤ . القواعد القانونية القائمة فوق الدولة.
- ٥ . القواعد القانونية القائمة تحت الدولة.

## **Reflections on the history of legal and social systems outside the state circle**

**Lecturer. Dr. Mohammad Amir Hasan<sup>(\*)</sup>**

Receipt date:25/9/2023 Accepted date: 9/10/2023 Publication date:28/2/2024

### **Abstract**

The research entitled (Reflections on the history of legal and social systems outside department state) assumes that the study of the emergence of the state requires a historical pursuit of the relationship between legal systems and social systems, which was established after the law got rid of everything that is alien to it, such as religion and morals, to be linked to its existence with social systems. The research will deal with these systems of the Greeks through the Middle Ages, then the two schools of positivism and social science, showing the different patterns of this relationship in each historical stage, with reference to some of the legal rules that exist above the state and the legal rules for groups lower than the stat.

**Keywords:** legal systems, social systems, Greeks, the Middle Ages, legal rules, above the state, under the state

---

<sup>(\*)</sup> Lecturer. Dr. Mohammad Amir Hasan Iraqi researcher and academic.

## المقدمة

تفترض دراسة نشأة الدولة ملاحقة تأريخية العلاقة بين النظم القانونية والنظم الاجتماعية، غير أن التأكيد على هذه العلاقة لم يكن واضحاً في جميع الأوقات، وربما يمكن القول بأن التأكيد على هذه العلاقة أمر مستحدث افترضه الاستقلال النسبي للقانون، مثلما افترضه وجوده الذاتي. أي إن هذه العلاقة بين القواعد القانونية والنظم الاجتماعية قامت بعد أن استطاع القانون أن يتخلص من كل ما هو غريب عليه، مثل الدين والأخلاق، ليرتبط بوجوده بالنظم الاجتماعية، ويبدو أن القانون وهو يمثل قواعد سلوك يلتزم بها الأفراد لم يكن يتمتع في جميع المراحل التاريخية بمثل هذا الوجود الذاتي، إذ بقي لفترة طويلة مندمجاً بالدين، لتبدو القواعد القانونية باعتبارها قواعد دينية في الجوهر. وفي ظل مثل هذا التصور فإن القواعد القانونية تُعبر عن الإرادة الإلهية، فكما أن الله يخلق الإنسان فإنه يقوم بالوقت نفسه بخلق القواعد التي تحدد سلوكه، وبهذا المعنى يمكن القول بأن الخليقة بمجملها هي معطى من معطيات الله، والقانون هو جزء من هذه الخليقة، وبالتالي فإنه هو الآخر معطى من معطيات الله، وفي مثل هذه الحالة فإن القانون لا يملك قدرة أو قوة بذاته، إنما مثل هذه القدرة وهذه القوة هي تعبير عن قدرة الله وقوته، فالله يخلق الإنسان ليُعبر بسلوكه عن إرادة الله، ويُعبر في الوقت نفسه عن قدرته وقوته، وبهذا الشكل يتطابق القانون والدين<sup>(١)</sup>.

إن القانون يعبر عن العدالة، والعدالة تعني التوازن الذي يفرضه الدين بين الناس ولكن العدالة هذه لا تُعبر بالأحرى عن علاقة الإنسان بالله، وبهذا المعنى يمكن الكلام عن نمطين من العلاقة، علاقة بين الناس وعلاقة بين الله والناس، والعلاقة الأولى تخضع للعلاقة الثانية وكل شيء في العلاقة الإنسانية محكوم بالإرادة الإلهية، الذي يترتب على هذا هو أن الناس ليس بمقدورهم أن يعدلوا أو يلغوا القواعد الإلهية المقررة التي تنظم سلوكهم، ذلك لإدراكهم أن هذه القواعد هي ليست من صنعهم، وإنما هي من صنع الإرادة الإلهية، وعليه فإن القاضي لا يجد سبيلاً له إلا التعرف على الإرادة الإلهية، وكان ذلك يتم بطرق مختلفة ومنها الحلم مثلاً. وسوف لن يتغير الحال

كثيراً مع ظهور الديانات السماوية، فأصبح الأنبياء هم الذين يتولون عن طريق الوحي استطلاع إرادة الإله، وهكذا نرى أن القانون في ظل مثل هذا التصور سوف يبدو باعتباره معطى أو هبة إلهية، لا يرتبط بأي إرادة أخرى غير إرادة الله لكي يُعبر عن النظم الاجتماعية. إلا أن إدراك القواعد القانونية ضمن هذا البعد الديني إذا كان قد استمر لفترة طويلة جداً فإنه لم يكن يمثل التصور الأول والأخير، فقد وُجد تصور آخر ينتهي إلى إدراك القاعدة القانونية ضمن بُعد أخلاقي، هو العدالة القائمة في الطبيعة، فإذا كان التصور الأول يقيم دمجاً بين القانون والدين، فإن الثاني يُقيم دمجاً بين القانون والعدالة القائمة في الطبيعة بقدر ما تعبر القاعدة القانونية عن معنى العدالة الكامنة في الطبيعة. وهذا التصور كان قد وجد في العهد الإغريقي واستمر قائماً في العصور الوسطى، لينتفش في عصر النهضة مع ظهور دولة المؤسسات وظهور النزعة العقلانية<sup>(٢)</sup>.

### النظم القانونية والاجتماعية عند الإغريق

في العهد الإغريقي كانت كلمة القانون وكلمة العدالة مترادفتين، ويتم التعبير عنهما في كلمة واحدة، ليبدو القانون باعتباره ما هو عادل ورجل القانون هو ذلك الذي يتولى خدمة العدالة. ولكن ماهي العدالة؟ عند الفيلسوف أرسطو أن العدالة هي ليست فكرة خيالية، وإنما هي تحقق فعلي لعلاقة عادلة بين الناس، تقوم على أساس من إعطاء كل فرد ما يستحق، والعدالة بمعناها هذا ترتبط في وجودها بالطبيعة. فكيف يتم الترابط بين العدالة والطبيعة؟ أرسطو يرى أن التوازن يأتي عن مراعاة الطبيعة، إذ إن كل ما هو عادل طبيعي، وعالم الطبيعة هو الذي يوحى بالعدالة، وبالتالي التوازن بين مصالح الأفراد. إن العدالة لا توجد إلا وهي مرتبطة بالطبيعة، إذ إن هذه الأخيرة هي التي تقضي بوجود التوازن، وفي مثل هذه الحالة فإن الطبيعة العادلة سوف تمثل مرة أخرى معطى مستقلاً في وجوده عن الإرادة الإنسانية، ذلك لأنها ترتبط في الطبيعة التي لا دخل فيها للإرادة الإنسانية<sup>(٣)</sup>.

## النظم القانونيّة والاجتماعيّة في العصور الوسطى

إن القديس توماس الاكويني الذي كان متأثراً بأفكار أرسطو، كان قد ميز بين القانون الطبيعي الإنساني والقانون الطبيعي المقدس الذي لا يُدرك إلا من قبل رجال الدين، وأكثر من ذلك إذ يرى هذا المفكر أن القانون الطبيعي الإنساني يخضع بدوره لإرادة الله الذي يتولى خلق الطبيعة.

ولكن اعتباراً من القرن السادس عشر والقرن السابع عشر سوف ينزع القانون الطبيعي عن نفسه مثل هذه الصفة الدينية، فقد افترض "كروشيوس" أن القانون الطبيعي سوف لا يتوقف عن الوجود في حالة ما إذا تم استبعاد الإرادة الإلهية، بهذا الشكل فإن الطبيعة لوحدها أصبحت مصدر القانون، أي إنه انطلاقاً من الطبيعة فقط نستطيع أن نتعرف على القانون دون الحاجة إلى أي مرجع إلهي مقدس<sup>(٤)</sup>، ولكن لا بدّ من الإشارة إلى أن كروشيوس كان قد أدرك الطبيعة بشكل يتميز في مضمونه عن المضمون الذي اتخذته في العهد الإغريقي وفي العصور الوسطى. فقد كانت الطبيعة تعني الطبيعة بصورة عامة بكل ماتحتويه، غير أن كروشيوس ذهب إلى أن الطبيعة من أجل أن تكون سببا لوجود القانون هي الطبيعة الإنسانية فقط، فليس اعتباراً من تجربة الطبيعة بعموميتها ينشأ القانون، وإنما ينشأ اعتباراً من الطبيعة الإنسانية، وقد عبر هذا الفقيه عن رأيه هنا بقوله "إن الطبيعة الإنسانية هي أم القانون الطبيعي". إن هذه الأفكار التي جاء بها كروشيوس سوف يتم اعتمادها في وقت لاحق من قبل العديد من الفقهاء والمفكرين، على الرغم من إسهام هذه المدرسة في تطوير مفهوم القانون فإنها لم تستطع أن تحقق للقانون استقلاله، ذلك لأنها أبقت القانون مرتبطاً في وجوده بوجود الطبيعة الإنسانية، وبالتالي فإنه في ظل مثل هذا التصور سوف لا يرتبط بأي شيء آخر بما فيه العلاقات الاجتماعية والنظم الاجتماعية<sup>(٥)</sup>.

## النظم القانونيّة والاجتماعيّة عند المدرسة الوضعيّة

يبدو أن (المدرسة الوضعيّة) ستسير خطوة أبعد في طريق تأكيد العلاقة بين القانون والنظم الاجتماعية. هذه المدرسة تنطلق من القانون القائم من الناحية الفعلية،

ولا تنظر بعين الاعتبار بأي شيء آخر مثل الدين والأخلاق في اهتمامها بالقواعد القانونية، فالقانون هو من صنع الناس، وبالتالي فإن القانون هو الذي يوضع بشكل فعلي من قبل الناس، وبهذا المعنى سوف يكون بعيداً عن الاعتبارات الفكرية والمثالية، فالقانون الذي يخضع للاعتبارات الفكرية سوف يكون قانوناً قائماً في مجال الفكر فقط، وما هو قائم في ميدان الفكر لا يُشترط فيه أن يكون الواقع الفعلي. كما أن هذه المدرسة كانت قد وقفت موقفاً سلبياً اتجاه العبارات المثالية التي يقام على أساس منها القانون، وهذه الاعتبارات ميدانها الأخلاق، والأخلاق تبحث عما يجب أن يكون وليس عما هو كائن، وفي كل هذه الأحوال فإن الاعتبارات الفكرية والاعتبارات المثالية لاتصلح أن تكون أساساً في النظر إلى القواعد القانونية، إذ إن المهم هو القاعدة القانونية بحد ذاتها، أي الشكل الذي ترد فيه بالصيغة التي تتخذها، وهكذا فإن مهمة الفقيه القانوني تبقى محصورة في إطار متابعة هذا النص ومحاولة تفسيره بالشكل الذي هو فيه. هذه المدرسة كانت بلا شك قد أكدت استقلال القانون بالقياس إلى كل ما هو غريب عليه كالدين والأخلاق، ولكن الذي يميزها هو أنها لم تسمح بتفسير القاعدة القانونية إلا بموجب القاعدة القانونية نفسها بعيداً عن كل الاعتبارات الاجتماعية التي كانت قد أدت إلى وجودها، وبهذا الشكل فإن هذه المدرسة لم تستطع أن تتلمس العلاقة بين القانون والنظم الاجتماعية على أساس من أن الأخيرة توجد خارج القانون، وما هو خارج القانون لا يهم هذه المدرسة<sup>(٦)</sup>.

### النظم القانونية والاجتماعية عند المدرسة (العلم اجتماعية)

إن المدرسة (العلم اجتماعية) في القانون كانت قد ذهبت مذهبا مخالفا لما ذهبت إليه المدرسة الوضعية، فهي إذا كانت تنظر إلى القاعدة القانونية باعتبارها قاعدة وضعية، فإنها بالمقابل ترى أن هذه القاعدة الوضعية ترتبط في وجودها بالمجتمع، وفي رأي هذه المدرسة فإن القاعدة القانونية تصلح أن تكون موضوعاً للدراسة العلمية بسبب أنها تنظر إليها باعتبارها شيئاً أو بالأحرى باعتبارها ظاهرة اجتماعية. وهذه المدرسة في تأكيدها هذا تميل إلى أن تستبعد كل اعتبار ديني أو أخلاقي عند متابعة

القاعدة القانونية متابعة علمية، وهكذا فإن ما كان يُفسر بدلالة الدين أو الطبيعة أو العقل أصبح يُفسر بدلالة العلاقات الاجتماعية التي ترتبط بها القواعد القانونية، وبهذا الشكل تكون هذه المدرسة قد مهدت السبيل لدراسة القانون دراسة علمية، وذلك بقدر ما ربطت بينه وبين العلاقات الاجتماعية القائمة في المجتمع. ويبرز في هذا المجال عالم الاجتماع (دركهايم) ليؤكد بأن القانون ممكن أن يُعالج باعتباره ظاهرة اجتماعية ذات طبيعة إكراهية يمكن أن تُفسر بدلالة المجتمع. من هذا المنطلق يحاول (دركهايم) أن يؤكد على المبادئ التي يقوم عليها القانون، وفي رأيه أن القواعد القانونية قائمة على أساس من الإكراه مهما كان الشكل الذي يتخذه، وقد يحصل أنه لا يتم إدراك هذا الإكراه الذي يكمن وراء القاعدة القانونية بسبب أننا اعتدنا هذا الإكراه في حياتنا اليومية، والإكراه الذي تتضمنه القاعدة القانونية هو الذي يمهد للوظيفة الاجتماعية التي تلتزم بها، وهذه الوظيفة تتمثل بتوفير التضامن الاجتماعي الذي يترتب على تقسيم العمل الاجتماعي داخل المجتمع. بهذا الشكل يؤكد (دركهايم) العلاقة بين القواعد القانونية والنظم الاجتماعية السائدة في المجتمع، وسوف يسير في هذا الطريق بعض الفقهاء القانونيين ومنهم الفقيه (دكي) الذي يرى أن القاعدة القانونية لا تنفصل في وجودها عن السير الطبيعي للمجتمع، وطبقاً لذلك فإن القواعد القانونية هي ليست من صنع الفقهاء القانونيين، وإنما الذي يتسبب في وجودها هو المجتمع، والمجتمع إذ يفترض وجود القواعد القانونية إنما يتوخى من وراء ذلك ضمان التضامن الاجتماعي، فالقانون إذا كان يعبر عن إرادات فهي بلا شك الإرادات التي يتشكل منها المجتمع، والقانون سوف يحقق وظيفته هذه عن طريق مؤسسات عديدة، يأتي في المقدمة منها الدولة. بهذا الشكل تكون المدرسة العلم اجتماعية قد ربطت بين النظم القانونية والنظم الاجتماعية<sup>(٧)</sup>.

وقد سار في هذا الاتجاه الفقهاء القانونيون، إذ اعتمد الفقيه (ستارك stark) هذا الاتجاه وذلك عندما حاول إن يتلمس الأساس الذي يقوم عليه القانون، فهو يتساءل قائلاً "من أين نبدأ؟" إنما يبدو منطقياً هو تلمس البداية أو بالأحرى تلمس هذا المبدأ في

فكرة بسيطة قد تبلغ درجة البداهة، يصعب معها تباينها، وربما يصبح بيانها غير ضروري لأنها تشكل بديهية. إن هذا ما يدعوه الفلاسفة بالبديهية، ولكن هل من الممكن أن يقوم القانون على أساس من بديهية ؟ ويبدو أن ستارك لا يراوده الشك في ذلك، لأن الإنسان يعيش في مجتمع وقد قيل من قبل أن الإنسان هو حيوان اجتماعي، وهذا يعني أن الإنسان ليس بوسعه إلا أن يعيش في مجتمع. وربما يمكن القول بأن هذا ما يقضي به العقل، فالإنسان يعيش في أسرة أو في قبيلة أو في أمة وكل هذه المؤسسات هي مؤسسات اجتماعية وهي التي تشكل نقطة الانطلاق في وجود القواعد القانونية. ومثل هذا المفهوم الذي يؤكد على الترابط ممكن أن نتلمسه عند فقيه آخر وهو (ويل Wille)، فقد ذهب هذا الفقيه هو الآخر إلى التأكيد على التلازم بين القواعد القانونية والنظم الاجتماعية بقدر ما تتضمن القواعد القانونية عنصر الإكراه الذي يشكل وسيلة في ضمان الترابط داخل المجتمع<sup>(8)</sup>.

أما بالنسبة للفقهاء العربي، فنشير إلى لدكتور (صوفي حسن أبو طالب) الذي أكد قائلاً "إن قاعدة السلوك التي ياتمر بها الأفراد يخاطب بها الناس الذين يعيشون في مجتمع، وبهذا المعنى سوف لا توجد القواعد القانونية إلا حيث يوجد المجتمع"<sup>(9)</sup>.

وهنا علينا أن نبين، مالذي نعنيه بالقانون ؟ ومالذي نعنيه بالنظم الاجتماعية ؟ وما الذي نعنيه بالنظم القانونية ؟

### أولاً: القانون

يبدو أن كلمة قانون مستعربة عن الإغريقية، فالأصل الإغريقي لكلمة قانون هو "Kanun" التي تفيد معنى العصا المستقيمة، ويبدو أن التركيز كان يتم بصدد الاستقامة وليس بصدد العصا، وذلك تماماً كما ترد في مقابلاتها باللغات الأجنبية الأخرى، فمقابل كلمة قانون في هذه اللغات هو الاستقامة، وهكذا فإن كلمة "droit" مثلاً تُعبر عن معنى الاستقامة في نفس الوقت الذي تُعبر فيه عن معنى القانون. والملاحظ أن هذا الاشتقاق اللغوي يساعدنا كثيراً في تفهم جوهر القانون، فمن

المعلوم أن القانون يتكون في الأصل من مجموعة قواعد، ونعود مرة أخرى إلى الأصل الأجنبي لكلمة قاعدة، فهو يقابل لكلمة "Norma" التي تفيد معنى المقياس، ويترتب على هذا أن الاستقامة التي يُعبر عنها القانون يتأكد وجودها بدلالة مقياس تُعبر عنه القاعدة القانونية التي يتضمنها، فما هو يتطابق مع القاعدة القانونية سوف تتوفر فيه الاستقامة ويكون العمل في مثل هذه الحالة شرعياً ومقبولاً، وما لا يتطابق مع القاعدة القانونية سوف يكون غير مستقيم، وبالتالي غير شرعي ولا يمكن الأخذ به<sup>(١٠)</sup>.

إن هذا المعنى الذي يتخذه القانون كان قد كشف عنه القاموس المحيط الفيروزبازي، فهو يقوم القانون لغة قياس كل شيء، الذي يترتب على هذا هو أن القاعدة القانونية قبل أن تكون التزاماً هي أداة قياس، فالنظام القانوني هو قبل كل شيء نظام قياس قبل أن يشكل التزاماً، وهكذا يمكن القول إن القانون وهو يتكون من مجموعة قواعد سوف يمثل أداة قياس يُقاس بموجبها الفعل ليكون مستقيماً وبالتالي شرعياً وممكن أن نأخذ به، وإذا ما اتخذ مثل هذه الصفة أي إنه أصبح شرعياً عند ذلك فقط سوف يتحول إلى أداة قياس ملزمة تتمتع بالالتزام. وفي حياتنا الاجتماعية هناك ما يمكن أن يكون مقبولاً وما يمكن أن يكون غير مقبول بقدر ما يتطابق مع الاستقامة، وإذا ما توفر هذا العنصر أي الاستقامة فإن التصرف يصبح ملزماً، ولكن القانون يتميز من الناحية الأخرى بطبيعته الملزمة، وهذه الخاصية هي النتيجة الطبيعية لكونه يتكون من مجموعة قواعد هي في جوهرها أدوات قياس، وهذا يعني أن القاعدة القانونية تمثل أداة قياس وهي بسبب من ذلك ملزمة بالنسبة للأفراد، ففي حياتنا الاجتماعية يتم التمسك بأدوات القياس لأنها تُعبر عن معنى الالتزام<sup>(١١)</sup>.

إن الكثير من المختصين يتجاوزون تحديد القانون بموجب القواعد الملزمة التي يتضمنها، ليتم تعريفه بدلالة معانٍ أخرى، وذلك من خلال العناصر التي يتم التأكيد عليها لا سيما عنصر الجزاء. فالفقهاء التقليديون يرون أن القانون يتعين بدلالة الجزاء، فعنصر الالتزام الذي يتضمنه سوف لا يكون له معنى إذا لم يقترن بالجزاء، وهذا ما

اعتمده الفقيه (مازو)، إذ يعرف القانون باعتباره قواعد سلوك اجتماعي تقترب بالجزاء، ويذهب بهذا الاتجاه (هنري ليفي بيرول) عندما يؤكد أن القانون هو مجموعة من القواعد المطبقة على أفراد وجماعات، والتي تجب مراعاتها تحت طائلة الجزاء، ويعود مرة أخرى ليؤكد على عنصر الجزاء هنا قائلاً أقترح للقانون التعريف الآتي: إنه مجموعة القواعد الملزمة التي تحكم العلاقات الاجتماعية، ثم يضيف قائلاً " إن الالتزام هو عنصر أساسي لوجود القانون، ولكن الالتزام لا يوجد بدون جزاء"<sup>(١٢)</sup>.

ويبدو أن الدكتور (صوفي حسن أبو طالب) كان قد أخذ بهذا التعريف عندما ذهب إلى أن القانون هو مجموعة القواعد العامة المجردة التي تنظم سلوك الناس وتضمن جزاءً مادياً. والملاحظ أن هنالك قاسماً مشتركاً يجمع بين كل هذه التعاريف ألا وهو ضرورة اقتران القواعد القانونية بالجزاء<sup>(١٣)</sup>، إلا أن هنالك من يختلف مع هذا الرأي بحجة<sup>(١٤)</sup>:

١. أن الفقه الحديث وعلى رأسه الأستاذ (ميامي) يشك في مثل هذه الخلاصة، فهي في نظره تعبر عن نوع من الخلط في العناصر التي يتكون منها القانون، وهو يرى أن خطأ مثل هذه الخلاصة يبدو على المستوى المنهجي، فمن الناحية العلمية ليس بالإمكان تعريف الظاهرة عن طريق نتائجها، إلا إذا كانت هذه النتائج تدخل في تكوين الظاهرة نفسها، فمن المعروف أن النتيجة تعقب السبب، وبالتالي لا يمكن أن نجعل من النتيجة سبباً. مثل هذا التوضيح المنهجي يبدو ضرورياً من أجل تحديد مركز الجزاء، فالجزاء هو نتيجة لوجود القاعدة القانونية، والجزاء يوقع عندما يتم خرق القاعدة القانونية، ولكن عدم خرق القاعدة القانونية لا يعني عدم وجودها. وهكذا نرى أن الجزاء ليس عنصراً ملازماً للقاعدة القانونية، ويترتب على هذا أن الالتزام الذي تفرضه القواعد القانونية لا يأتي عن وجود الجزاء، وإنما يأتي عن حاجة المجتمع للالتزام بالقواعد القانونية القائمة فيه، فطالما يجد الإنسان نفسه ملزماً في أن يعيش في مجتمع فهو يجد نفسه ملزماً في الخضوع

للقواعد القانونية التي يقررها المجتمع، فالالتزام في القواعد القانونية هو تعبير عن الحاجة إليها وليس تعبيراً عن الجزاء الذي يترتب على خرق القواعد القانونية.

٢. إن بعض فروع القانون لا سيّما القانون الجنائي تقتزن من الناحية المبدئية بالجزاء، فالقانون الجنائي هو أشد القوانين ارتباطاً بالجزاء، ولكن الملاحظ أن تعريق القانون الجنائي بدلالة الجزاء لم يعد مقبولاً، فبعد الدراسات الاجتماعية والنفسية أصبح يُنظر إلى العقوبة التي توقع بموجب القانون الجنائي بمثابة إعادة تأهيل بالنسبة لمن يرتكب جريمة جنائية، فالسجن مثلاً لم يعد يمثل علاجاً فعالاً وإن الاتجاه في الوقت الحاضر يميل إلى استبدال هذه العقوبة بنوع من العلاج النفسي. وهذا ما كان قد أكدّه (هنري لفي بيرو) عندما أشار إلى أن القانون الجنائي الفرنسي الصادر عام (١٨١٠) والذي يميل إلى معاقبة المجرم بنوع من الجزاء، مثل هذا القانون لم يعد مقبولاً، إذ حل محله جهد من أجل معالجة الأسباب التي تدفع بالمجرم إلى ارتكاب جريمته، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الجزاء بات أمراً استثنائياً جداً.

٣. أن الجزاء إذ يوقع إنما يوقع لتحقيق غرض، هو ضمان الخضوع. وربما يتحقق هذا الخضوع بطرق أخرى غير طريقة الجزاء، وهناك طرق من الممكن أن تؤدي الوظيفة التي يؤديها الجزاء دون الحاجة إلى ممارسة أي شكل من أشكال القوة المادية المعبرة عن الجزاء على الأشخاص، فمن الممكن ضمان الخضوع والطاعة عن طريق الالتزام بما يقرره المجتمع، فكل مجتمع له قواعده التي تحكّمه، ومن يعيش بهذا المجتمع يجد نفسه ملزماً بقبول هذه القواعد، وبالتالي الخضوع لها دون الحاجة إلى الجزاء. وقد تحققت الطاعة والخضوع نتيجة للمراكز المتميزة التي يتمتع بها بعض الأفراد، مثل كبار السن أو من يتميز بالحكمة، فتحت تأثير مثل هؤلاء الأشخاص فإن الطاعة والخضوع يتحققان بدون جزاء. كذلك الحال بالنسبة لرب الأسرة، فالطاعة والخضوع تجاهه يأتي عن المركز المتميز الذي يتمتع

به، وبالتالي فهو لا يحتاج إلى الجزاء حتى يضمن خضوع الأبناء وطاعتهم له.

٤. إن هنالك بعض القوانين التي لا تقترن بالجزاء ولكن بالمقابل ليس هنالك من يشك في كونها قوانين، فالقانون الدولي على سبيل المثال لا يقترن بجزاء لأنه لا توجد هنالك هيئة عليا تتولى إيقاع مثل هذا الجزاء، مع ذلك ليس هنالك من يشك في أن القانون الدولي يتمتع بالالتزام بالنسبة للدول، فالمعاهدات الدولية تشكل أساساً للالتزام، ويمكن أن يُقال الشيء نفسه بالنسبة للقانون الدستوري، فهو الآخر لا يقترن بالجزاء، وقد يكون في بعض الأحوال هنالك جزاء سياسي، ففي حالة خرق الحكومة للدستور من الممكن أن يتم التصويت عليها بعدم الثقة لتسقط هذه الحكومة، ولكن هذا الجزاء يبقى جزءاً سياسياً وليس جزءاً قانونياً. وقد ذهب البعض إلى أن الثورة قد يقوم بها الشعب، وفي هذا خرق الدستور قد يكون بمثابة جزاء، ولكن هذا الجزاء لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال جزءاً قانونياً، لأن الثورة من أجل أن تشكل جزءاً قانونياً ينبغي أن تكون موضوع نص قانوني، أي موضع نص بالدستور، وليس هنالك دستور ينص على الحق بالقيام بالثورة، وربما على هذا الأساس قد تكيف الثورة في مثل هذه الحالة بأنها عمل موضوعي لا يستند إلى ركيزة قانونية، هذا بالإضافة إلى أن الثورة يندر أن تقوم على أساس خرق دستوري، وإنما يغلب أن تقوم بسبب اعتبارات اجتماعية واقتصادية. فالقانون الدستوري لا يقترن بالجزاء ولكنه يبقى قانوناً، ويمكن القول نفسه بالنسبة لقوانين أخرى مثل قانون الخطة الاقتصادية.

٥. هنالك قواعد ملزمة بالنسبة لسلوك الأفراد وقد يترتب عليها جزاء، ولكن على الرغم من هذا الجزاء فإنها لا ترقى إلى مستوى القواعد القانونية، فبالنسبة للمسيحية مثلاً توجد هنالك قواعد دينية ملزمة للأفراد يقترن خرقها بالجزاء، ولعل القانون الكنسي كان قد اعتمد طيلة العصور الوسطى واقترن بوجود محاكم التفتيش التي كانت توقع أشد العقوبات، فهذا القانون إذن كان مقترنا

بالجزاء مع ذلك لم يكن إلا قانوناً دينياً، وضمن هذا السياق يمكن الكلام عن القواعد الدينية في الإسلام، فهي الأخرى كانت تقترن بالجزاء، فالخروج على الإسلام مثلاً كان يمثل ردة، والمرتد يوقع عليه الحد ليصل إلى درجة القتل.

٦. أما الأخلاق فهي الأخرى تقترن بالجزاء، فمن يخرق قاعدة أخلاقية يعرض نفسه لنوع من الجزاء مثل الاحتقار والاشمئزاز وكل ذلك هو من قبيل الجزاء، وهكذا نرى أن الجزاء لا يقتصر على القواعد القانونية ليمثل العلاقة التي يتميز بها.

ويبدو أن الفقهاء التقليديين الذين جعلوا من الجزاء شرطاً لوجود القاعدة القانونية كانوا قد أدركوا صعوبة موقفهم هذا، ويكفي أن نشير إلى الفقيه (هنري ليفي بيرول)، فهذا الفقيه يتحدث عن القوانين الدينية ليؤكد أن هذه القوانين هي الأخرى تقترن بالجزاء، ولكنه في نفس الوقت يذهب إلى أن هذا العنصر أي الجزاء بذاته غير كافٍ من أجل أن يتم التمييز بين القواعد القانونية والقواعد الدينية، ولكن إذا كان الفقيه التقليدي يميل في بعض الأحيان إلى عدم جعل الجزاء بحد ذاته عنصراً ملازماً لوجود القاعدة القانونية فإنه لا يرضى إلى استبعاد هذا العنصر، وإنما يميل على العكس من ذلك، إلى التأكيد عليه ولكن بإضافة عنصر آخر عليه، هو أن يكون الجزاء واقعا من سلطة عامة، وعندما يتكلم عن سلطة عامة، يتكلم عن الدولة، فالقاعدة القانونية بموجب هذا التحديد الجديد، هي تلك القاعدة الملزمة للأفراد وتقترن بجزاء توقعه الدولة، فالقاعدة القانونية تتميز عن القاعدة الأخلاقية في أن الجزاء فيها يوقع من قبل الدولة. وهكذا نرى أن الجزاء بحد ذاته لا يقيم فرقاً بين القواعد الأخلاقية والدينية والقواعد القانونية، ذلك لأن النوعين يتمتعان بالجزاء، إنما الفرق بينهما يتلخص في أن الجزاء في حالة القواعد القانونية يوقع من قبل السلطة السياسية أي الدولة، ومثل هذا الرأي كان قد اعتمد من قبل بعض المختصين، فالفقيه (ليجيه Lege) في كتابه "مفاتيح القانون" يؤكد بكل صراحة على أن قواعد القانون تتعين بدلالة الجزاء الذي تفرضه الدولة، ومثل هذا الرأي نجده عند الفقيه (كاربويه) في

كتابه "القانون المدني"، فهو يرى أن المقولة القائلة بأن القانون يعبر عن الإرادة العامة هي مقولة غير صحيحة، ذلك لأن القانون في الواقع يعبر عن إرادة الدولة فقط وتستطيع الدولة فقط أن تفرضه على الأفراد عن طريق الجزاء الذي توقعه. وذهب الفقيه (مازو) إلى أن المجتمعات المنظمة تفرض كعنصر ملازم لهذا التنظيم وجود نوع من الإكراه، وهذا الإكراه يمارس بطرق مختلفة، والقانون يمثل أحد هذه الوسائل، فالدولة عن طريق القانون تستطيع أن تلزم الأفراد عندما يكون القانون مقترنا بجزاء توقعه الدولة، والدولة لوحدها هي التي تملك إمكانية إيقاع الجزاء<sup>(١٥)</sup>.

أما على مستوى الفقه العربي، فنجد الدكتور (ثروت الأسيوطي) يرى أن القواعد القانونية جاءت من أجل أن تتجاوز القواعد الأخلاقية والدينية، ولم يتم ذلك إلا مع ظهور الدولة، والتي أصبحت لوحدها تملك إمكانية إيقاع الجزاء في حالة خرق القواعد القانونية، وفي الأخير فإن مثل هذا الرأي يعتمد من قبل الدكتور (صوفي حسن أبو طالب). غير أن هذا الرأي كان قد تعرض للنقد، ذلك لأن استقراء التاريخ يدل على أنه لا يوجد تلازم بين وجود القانون ووجود الدولة، إذ إن القانون كان قد ظهر قبل ظهور الدولة بالمعنى الحديث للكلمة، فالإنسان يتميز بميله إلى التنظيم، وهذا التنظيم يقوم على جملة قواعد فينبغي إذن احترام القواعد التي يقوم عليها هذا التنظيم، وبالتالي فإن كل المجموعات السابقة في وجودها على وجود الدولة كانت قد عرفت بعض القواعد القانونية بقدر ما عرفت مثل هذا التنظيم. وكان الأستاذ (لافروف) قد أوضح ذلك من خلال تجربة القواعد القانونية الدستورية، فقد أكد أن القواعد الدستورية إذا كانت تعني أو تهتم بالسلطة السياسية سواء من حيث شكلها أو ممارستها، فإنها سوف تكون قائمة في كل مجتمع سياسي، ففي كل مجتمع توجد فيه السلطة السياسية لا بُدَّ من أن توجد قواعد دستورية بخض النظر عن وجود الدولة من عدمه. وبكلمة موجزة يمكن القول بأن المقولة القائلة (بأن القاعدة القانونية تتميز باقترانها بجزاء توقعه الدولة) لا تبدو مقبولة، وطبقاً لهذا الرأي الأخير يمكن أن نميز ما بين نمطين من القواعد القانونية، فهناك قواعد قانونية فوق الدولة، كما توجد

قواعد قانونية أدنى من الدولة<sup>(١٦)</sup>.

وطبقاً لهذا الرأي الأخير يمكن القول بأن هنالك قواعد قانونية لا تدخل في دائرة اختصاص الدولة، حيث توجد صنفان من القواعد القانونية<sup>(١٧)</sup>:

**الأول: القواعد القانونية القائمة فوق الدولة.**

**الثاني: القواعد القانونية القائمة تحت الدولة.**

وفي كلتا الحالتين نرى أن القواعد القانونية توجد بمعزل عن الدولة.

### **القواعد القانونية القائمة فوق الدولة**

تتمثل القواعد القانونية فوق الدولة بالقواعد القانونية ذات الطبيعة الدينية، كما تتمثل بالقواعد القانونية الدولية. فالقواعد الدينية تتميز بأنها توجد بعيداً عن الدولة وربما تفرض وجودها على الدولة، فقواعد الشريعة الإسلامية هي قواعد قانونية تفرض وجودها على كل الدول الإسلامية، ولا تنظم فقط العلاقة بين الإنسان وخالقه وإنما تنظم العلاقة بين الإنسان والإنسان الآخر، فهي تهتم بالأسرة والزواج والملكية والإرث... إلخ.

وفي كل هذه الأحوال يجد الإنسان المسلم نفسه ملزماً بما تقرره الشريعة الإسلامية. إن ما يقال يمكن أن يقال كذلك بالنسبة للديانات الأخرى، فكل هذه القواعد الدينية هي قواعد ملزمة بالنسبة للأفراد، وبالتالي فهي قواعد قانونية تفرض نفسها على الأفراد في تعاملهم.

إلى جانب ذلك توجد القواعد القانونية ذات الطبيعة الدولية، فهناك المجتمع الدولي، وهذا المجتمع هو مجتمع منظم وهذا التنظيم يتخذ شكل هيئات دولية، فقبل الحرب العالمية الثانية كانت هنالك عصبة الأمم، وبعد هذه الحرب وجدت هيئة الأمم المتحدة بالإضافة إلى بعض الهيئات الإقليمية مثل الاتحاد الأوروبي والجامعة العربية، وكل هذه الهيئات تمتلك قواعد التي تفرض نفسها على الأعضاء، ولكن هذه القواعد توجد

خارج الدول وتخضع لها. وهناك كذلك قواعد خاصة بالقانون الدولي، هذه القواعد بلا شك تُفرض نفسها على جميع الدول، فهي بالأحرى تبدو قائمة خارج الدول وتخضع لها هذه الدول<sup>(١٨)</sup>.

### القواعد القانونية الخاصة بتجمعات أدنى من الدولة

ويمكن التمييز بهذا الصدد بين نوعين من التجمعات<sup>(١٩)</sup>:

١. التجمعات التي وجدت قبل وجود الدولة: نرى أن التجمعات التي وجدت قبل وجود الدولة تمثل المجتمعات التي وجدت عبر التطور التاريخي، فمنذ المراحل الأولى للتطور التاريخي كانت قد وجدت التجمعات القبلية، وهي التجمعات التي تحكمها علاقات القرابة، والعلاقة التي تقوم بين هذه القبائل في إطار هذه التجمعات يحكمها التوازن بين هذه القبائل، ولم يكن بالإمكان ضمان مثل هذا التوازن دون أن يكون هنالك قواعد قانونية ملزمة بشكل عفوي ولا تفرضها أي جهة، فهي بالأحرى تعبر عن ضروره كان قد أدركها المجتمع، ومثل هذه القواعد يلتزم بها أطراف العلاقة داخل هذه التجمعات. إن هذه الحقيقة ترد بالنسبة لأكثر التجمعات القبلية بدائية، والمختصون كانوا قد تابعوا مثل هذه التجمعات البدائية ووجدوا أنها تعرف نوعاً من التوازن الذي تحكّمه مجموعة من القواعد التي كانت قد نشأت بشكل طبيعي.

وفي العصور الوسطى وجدت المجتمعات الإقطاعية وكل إقطاعية كانت تمثل وحدة اقتصادية وسياسية واجتماعية، وكل إقطاعية كانت تقوم بوضع القواعد القانونية الخاصة بها، كما كانت تملك محاكمها التي تتولى تطبيق هذه القواعد القانونية. وسواء على المستوى الأول أو المستوى الثاني نرى هذه الإقطاعيات على الرغم من أنها لم تبلغ مستوى الدولة.

٢. التجمعات التي وجدت داخل الدولة: إن الفقهاء كانوا قد تساءلوا عما إذا كانت هذه التجمعات تستطيع أن تضع قواعد قانونية، وخلافاً لما يذهب إليه المختصون

الذين يرون أن الدولة هي التي تستطيع وضع القواعد القانونية، يرى فقهاء آخرون أن كل تجمع إنساني له قواعد قانونية، وبالتالي فإن كل التجمعات التي تحتويها الدولة تملك قواعد القانونية الخاصة بها، فالنادي الرياضي له قواعد القانونية الخاصة به كذلك الحال بالنسبة للنقابة والأسرة... إلخ.

كل هذه التجمعات تملك الإمكانية في وضع قواعد قانونية خاصة لها، أما كل الذي يشترط هو أن تكون هذه القواعد القانونية الخاصة بهذه التجمعات غير متعارضة مع القواعد المقررة من قبل الدولة، وقد يحصل في بعض الأحوال أن القواعد القانونية المعتمدة داخل هذه التجمعات تفرض نفسها على القواعد المعتمدة من قبل الدولة لتساهم في تفسيرها وتكميلها، وفي بعض الأحيان تذهب إلى أبعد من ذلك لتقوم بتعديلها، هكذا هو الحال على سبيل المثال بالنسبة للقواعد القانونية الخاصة بالنقابة العمالية، ففي ظل المشروعات الصناعية الصغيرة لم تكن النقابة العمالية لتقوم بأكثر من الدفاع عن حقوق العمال، أما عقد العمل فكان يتم بين رب العمل والعامل، والعقد ملزم للطرفين. وفي الوقت الحاضر ومع تطور المشروعات الصناعية الكبيرة فإن التعاقد يتم عن طريق النقابة، وتصبح النقابة طرفاً في هذا العقد، مما يترتب عليه أن تأثير العقد يتجاوز الطرفين ليمتد إلى النقابة، هذا الشيء جديد بالقياس إلى ما كان قائماً من قبل، وهذه القواعد القانونية التي اقترن بها ألزمت الدول بإجراء التعديل في مجمل القواعد القانونية الخاصة بذلك، وهكذا نرى أن القواعد القانونية من الممكن أن توجد بعيداً عن الدولة لتخص الدولة والتجمعات التي تضمها الدولة.

إن القانون بهذا المعنى الذي يتخذه، يسمح لنا في أن نحدد معنى النظم القانونية، وطبقاً لذلك يمكن القول بأن النظام القانوني هو (عبارة عن مجموع متناسق من القواعد القانونية المتعلقة بنفس الموضوع، وهذا المجموع يعطي عادةً سلسلة من العلاقات الاجتماعية الموحدة بدلالة نفس الوظيفة التي تؤديها هذه العلاقات الاجتماعية). إن مجموع القواعد القانونية هذا وهو يعطي سلسلة العلاقات الاجتماعية

الموحدة، هو الذي يشكل النظام القانوني، وبهذا الشكل سوف يكون بالإمكان الكلام عن نظام قانوني خاص بالإدارة، ونظام قانوني خاص بالقضاء، ونظام قانوني خاص بالجامعة. هذا التعريف الذي يرد بخصوص النظام القانوني يستجيب للكثير من المحاولات التي أخذ بها الفقهاء القانونيون، ولكن لا بُدَّ من الإشارة إلى أن النظام القانوني بهذا المعنى ترد بخصوصه بعض الملاحظات، فقبل كل شيء ينبغي أن يخضع النظام القانوني (كل نظام قانوني) لمنطق عام يحكمة ويبرر في نفس الوقت وجوده وسير عمله، وبالتالي فإن كل قاعدة من القواعد القانونية التي يتكون منها النظام القانوني ينبغي أن تستجيب لهذا المنطق، فالنظام القانوني الخاص بالإدارة مثلاً يستجيب للخدمة العامة وبالتالي فإن كل القواعد القانونية الخاصة به ينبغي أن تنتهي إلى توفير الخدمة العامة بقدر ما تشكل المنطق العام للإدارة، كذلك الحال بالنسبة للقضاء فهو الآخر يتكون من مجموعة قواعد، كل واحدة منها ترتبط بالمنطق العام الذي يحكم القضاء الذي يتخلص بتوفير العدالة، وهكذا الحال بالنسبة للجامعة (٢٠).

### ثانياً: النظم الاجتماعية

إن النظام القانوني شأنه شأن الكثير من النظم كالنظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيره، يشكل نطاقاً فرعياً، ومثل هذه الخلاصة تبدو منطقية، إذ لا يمكن تصور وجود أي نظام قانوني قائماً بمعزل عن النظام الاجتماعي، وبالتالي فإن جوهر القواعد القانونية هو في الأصل جوهر اجتماعي وربما هنا ما يتفق عليه الفقهاء، ولكن السؤال الذي يُطرح، ما الذي نعنيه بالنظام الاجتماعي ؟ هناك خلاف بين علماء الاجتماع بصدد تحديد النظام الاجتماعي، ولسنا بصدد متابعة الآراء المتعلقة بهذا الخلاف، وإنما نكتفي بالإشارة إلى أن أسلوب إنتاج الحياة الاجتماعية هو المؤشر الأساسي في جوهر النظام الاجتماعي. فالنظام الاجتماعي هو خلاصة إنتاج اجتماعي. ولكن ما هو أسلوب الإنتاج الاجتماعي ؟ إن أسلوب الإنتاج الاجتماعي يشير في الواقع إلى الطريقة التي ينظم بموجبها الناس علاقاتهم بالطبيعة من أجل الاستفادة منها، ولكن الناس من أجل أن يُنظموا علاقاتهم بالطبيعة يجدون أنفسهم مضطرين إلى أن

يُنظّموا علاقاتهم فيما بينهم، ويبدو أن تنظيم هذه العلاقات لا يذهب إلى ضمان تقسيم العمل فقط في المعنى الفني والاقتصادي، وإنما يذهب إلى تنظيم الحياة الاجتماعية بمجملها، فالعلاقات تنظم بين الناس على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي والقانوني، وبهذا المعنى يمكن القول إن مفهوم أسلوب الإنتاج الاجتماعي يغطي على وجه الدقة مجموع هذا التنظيم الاجتماعي، وبهذا الشكل فإن النظام الاجتماعي يتعين بدلالة أسلوب الإنتاج الاجتماعي. إن تحديدنا لمفهوم أسلوب الإنتاج الاجتماعي بهذا الشكل يتوخى أن ينفي عنه كل مضمون اقتصادي من شأنه أن يجعل منه مجموعة من المعطيات الاقتصادية، كما يذهب إلى ذلك بعض المختصين، إننا نرى بالأحرى أن أسلوب الإنتاج الاجتماعي يشير بالأساس إلى الطريقة التي ينظم بموجبها المجتمع نفسه من أجل إنتاج الحياة الاجتماعية، وعلى هذا الأساس يمكن القول، إن نقطة الانطلاق في فهم النظام الاجتماعي تتلخص في أن الناس في مجرى إنتاجهم الاجتماعي يدخلون في علاقات محددة وضرورية مستقلة عن إرادتهم، إن هذه الحياة الاجتماعية هي حصيلة إنتاج اجتماعي<sup>(٢١)</sup>.

إن الحياة الاجتماعية إذا كانت تمثل حصيلة الإنتاج الاجتماعي، فإن الملاحظ هو أن الناس لا يقومون فقط بالإنتاج المادي لحياتهم، وإنما يقومون كذلك بإنتاج ما لا يمكن اعتباره من قبيل الإنتاج المادي، ذلك هو الحال بالنسبة لإنتاج الأفكار والمعتقدات الدينية، إن مجموع هذه الإنتاجات المادية وغير المادية هو الذي يغطي مفهوم الإنتاج الاجتماعي للوجود، ويترتب على ذلك، أن الحياة الاجتماعية ليست هبة من هبات الطبيعة، أو هبة من هبات المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، وإنما هي بالأحرى من نتاج الإنسان، فهي بالأحرى بناء قام به الإنسان، وبالتالي فإن الإنسان هو الذي يقيم حياته الاجتماعية بعناصرها المادية وغير المادية، وكل إنتاج اجتماعي يقوم على نوع من التنظيم، فأى شكل من أشكال الإنتاج لا بُدَّ من أن يخضع لنوع من التنظيم، وهذا التنظيم يرد بالنسبة للعناصر التي يتكون منها هذا الإنتاج، فإنتاج الحبوب مثلاً يقتضي تنظيماً لعناصره، المكونة من الماء والتربة وضوء الشمس... إلخ، فالناس من أجل أن

ينتجوا يجدون أنفسهم مضطرين على أن يخضعوا لنوع من التنظيم، وبخضوعهم للتنظيم يخضعون في الوقت نفسه لنوع من العلاقات فيما بينهم، تحدد لكل واحد مكانه في عملية الإنتاج هذه، وبهذا الشكل أو المعنى فإنهم لا يؤثرن فقط في الطبيعة، وإنما يؤثر الواحد منهم على الآخر، وبهذا الشكل فإن الإنتاج الاجتماعي ينتهي إلى وجود علاقات متينة بين الناس، وعن هذه العلاقات تنشأ المجتمعات<sup>(٢٢)</sup>.

غير أن الأكثر أهمية هو أن هذا التنظيم وهذه العلاقات الضرورية سرعان ما تصبح مستقلة عن إرادة أولئك الذين يجدون أنفسهم خاضعين لها، فعلى الرغم من أن هذه العلاقات تخلق من قبل الناس، فإنها سرعان ما تصبح قائمة خارجهم، وهذا يعني أننا لا نستطيع أن نصنف العلاقات الاجتماعية بالشكل الذي توجد فيه في الوقت الحاضر في مجتمعنا، إلا باعتبارها علاقات محددة بشكل مستقل عن إرادتنا، فالإنسان لا يملك دوراً في تشكل هذه العلاقات، كما أنه لا يستهدف هذه العلاقات بشكل صريح، وإنما هي تفرض نفسها عليه بشكل من الأشكال بمناسبة الإنتاج، فالإنسان المزارع على سبيل المثال سوف يجد نفسه خاضعاً لنوع من تنظيم الحياة الذي يتجاوزته إلى حد بعيد، وهذا التنظيم سوف يرتبط بوجود علاقات لا دخل له في وجودها، هذه العلاقات المستقلة عن إرادات الناس تشكل ما يعرف بعلاقات الإنتاج الاجتماعي، وعلاقات الإنتاج الاجتماعية هذه تشكل بنية جمالية بالنسبة للحياة الاجتماعية، وداخل هذه البيئة الاجتماعية سوف تقوم قاعدة مادية وتعبيرات سياسية وفكرية وقانونية، وربما يمكن القول إن هذا المجموع الذي تنشأ منه البنية الاجتماعية هو الذي يشكل النظام الاجتماعي، والذي يترتب على ذلك هو أن النظام الاجتماعي لا يمكن أن يتعين إلا بدلالة واحد من جوانبه، ألا وهو الجانب الاقتصادي كما يذهب إلى ذلك بعض المختصين، وهذه النقطة تبدو مهمة وينبغي الإصرار عليها، وعليه يمكن القول إن النظام الاجتماعي يمثل بناء يتكون من طوابق متعددة، ولكن هذا البناء الاجتماعي بطوابقه المتعددة يشكل كلاً واحداً، وهذا يعني أنه لا يمكن أن يتحدد بدلالة طابق واحد من طوابقه، فإذا كان البناء الاجتماعي يتكون من طوابق اقتصادية وسياسية

وثقافية، فإنه سوف لا يكون بالإمكان تحديده بدلالة واحد من هذه الطوابق، كالطابق الاقتصادي مثلاً.

هذا الكل الواحد الذي يشكّله البناء الاجتماعي هو الذي يُعبر عن معنى النظام الاجتماعي، وإن هذا الكل الواحد الذي يمثله النظام الاجتماعي سوف يتخذ شكلاً بنيوياً، وعلى الرغم من أنه يمثل كلا واحداً فهو يتكون من المستوى الاقتصادي والمستوى السياسي والقانوني... إلخ. وهكذا نرى داخل النظام الاجتماعي مستويات متعددة ويشكل النظام القانوني أحد هذه المستويات، ولكن ينبغي أن نوضح كذلك أن هذه المستويات المتعددة على الرغم من أنها تندمج فيما بينها في كل لتشكّل النظام الاجتماعي، فإن كل مستوى من هذه المستويات يتمتع بنوع من الاستقلالية، فالنظام السياسي له استقلاليته الخاصة اتجاه النظام الاجتماعي، كذلك الحال بالنسبة للنظام القانوني، وهذه الاستقلالية تعني أن كل مستوى يتصرف ويتحرك بشكل مستقل عن المستوى الآخر، وبنفس الوقت مستقل عن مجمل النظام الاجتماعي، والذي يترتب على هذا أن معرفة الآلية التي يخضع لها النظام الاجتماعي تقتضي معرفة التواصل الذي يتم بين هذه المستويات، بالإضافة إلى الانقطاع بينها بسبب ما تتمتع به من استقلالية. إن الذي نخلص إليه مما تقدم هو أن النظام القانوني إذا كان يمثل مستوى من مستويات النظام الاجتماعي ويرتبط به، فإنه في الوقت نفسه يتمتع بالاستقلالية وبالتالي بوجوده الخاص به.

لابد من الإشارة إلى أن أهمية النظام القانوني تتفاوت من مرحلة إلى مرحلة أخرى، وهكذا فإن النظام القانوني قد يلعب دوراً بمرحلة تاريخية معينة لا يلعبها في مرحلة أخرى، بسبب أن النظم الأخرى تتقدم عليه. ففي المجتمعات الصناعية مثلاً تمارس النظم القانونية دوراً متقدماً ما يجعل النظام القانوني ملزماً على أن يلعب دوراً ثانوياً، يضاف إلى ذلك أن القانون قد يلعب دوراً متفاوتاً من مرحلة تاريخية إلى أخرى، فالقانون في ظل المجتمعات البدائية هو غير القانون في ظل المجتمعات الإقطاعية أو

المجتمعات الحديثة، ولا شك أن كل ذلك يؤكد على أن النظام القانوني يبقى محكوماً بعلاقات الإنتاج الاجتماعي التي تسود في مرحلة تاريخية معينة<sup>(٢٣)</sup>.

### ثالثاً: النظم القانونية

إن النظام القانوني باعتباره جزءاً من النظام الاجتماعي، فإنه سيكون محكوماً من الناحية التاريخية بتاريخ هذا النظام الاجتماعي، وإذا ما علمنا أن التاريخ كان قد عرف العديد من الأنظمة الاجتماعية، فإن النظام القانوني سوف يتعين من الناحية التاريخية بتاريخ هذا النظام الاجتماعي، وطبقاً لذلك نستطيع أن نقسم النظم القانونية من الناحية التاريخية إلى قسمين أساسيين وهما (النظم القانونية السابقة على وجود الدولة، والنظم القانونية اللاحقة على وجود الدولة الحديثة). والذي يلاحظ هو أن النظم الاجتماعية التي سبقت النظام الاجتماعي الحديث الذي وجدت معه الدولة الحديثة، هو أنها لم تكن قد عرفت الدولة، ولكن هذا لا يعني أنها لم تعرف السلطة، فالسلطة وجدت منذ أن وجدت المجتمعات، ولكن الذي يلاحظ عليها هو أنها كانت سلطة مرتبطة باعتبارها ذات شخصية ذات طبيعة دينية واقتصادية، ولكن وجود السلطة كان لا بد من أن ينتهي إلى وجود قواعد قانونية تعبر عن هذه السلطة، وسوف يتغير الحال مع ظهور الدولة الحديثة. فالقواعد القانونية لم تعد تُعبر عن السلطة الشخصية، وإنما أصبحت تُعبر عن الإرادة العامة التي تجسدها الدولة الحديثة<sup>(٢٤)</sup>.

### الخاتمة

إن القواعد القانونية ترتبط بالمجتمع برابطة سببية تسمح بالقول، بأن هنالك ترابطاً بين النظم القانونية والنظم الاجتماعية، إذ إن كل مرحلة تاريخية تؤكد على نمط معين من العلاقة بين النظم القانونية والنظم الاجتماعية الخارجة عن دائرة الدولة، وسيتم متابعة هذه العلاقة لاحقاً في المجتمعات البدائية والشرقية والإقطاعية وصولاً إلى النظم القانونية التي وجدت مع وجود الدولة الحديثة.

## الهوامش

١. عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١، ص ١٥١.
٢. المصدر نفسه، ص ٢١٥.
٣. قيس النوري، رحلة الفكر الاجتماعي، ط١، دار البصائر، بيروت، ٢٠١٠، ص ٥٣.
٤. جان نوشار وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة (علي مقلد)، العالمية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص ٨٤.
٥. قيس النوري، مصدر سبق ذكره، ص ٢١١.
٦. إميل برهيه، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة (جورج طرابيشي)، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٩٤.
٧. عبد الرضا الطعان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٣.
٨. جان نوشار وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص ١٥١ و ٣٤٣.
٩. فؤاد العطار، النظم السياسية والقانون الدستوري، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٧٦.
١٠. عبد الحميد متولي، القانون الدستوري والأنظمة السياسية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١، ص ٢٨.
١١. المصدر نفسه، ص ٣٣.
١٢. توفيق حسن فرج، المدخل للعلوم القانونية، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١١٢.
١٣. فؤاد العطار، مصدر سبق ذكره، ص ٩٣.
١٤. عارف الحمصاني، محاضرات في النظم السياسية والقانون الدستوري، دار الكتب

- والمطبوعات الجامعة، دمشق، ١٩٦٣، الصفحات من ٨٧ لغاية ١٣٨.
١٥. إحسان عبد الهادي النائب، توماس هوبز وفلسفته السياسية، منشورات مكتب الفكر والتوعية، كردستان-العراق، ٢٠١٢، ص٦٨.
١٦. ثروة أنيس الاسيوطي، مبادئ القانون، دار النهضة العربية، القاهرة، السنة بلا، ص١٢٣.
١٧. عبد الرضا الطعان، مصدر سبق ذكره، ص٢٦١.
١٨. عكاشة محمد عبد العال، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، دار النهضة العربية، القاهرة، السنة بلا، ص١٤٧.
١٩. محمد سلام زناتي، تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧١، ص١١٩.
٢٠. عصام علي الدبس، القانون الدستوري والنظام السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة، السنة بلا، ص٨٤.
٢١. جورج بوليتزر، أصول الفلسفة الماركسية، ترجمة (شعبان بركات)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، السنة بلا، ص٢١٧.
٢٢. جوليان فروند، علم الاجتماع عند ماكس فيبر، ترجمة (تيسير شيخ الأرض)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦، ص٢٠٥.
٢٣. المصدر نفسه، ص٢١٠.
٢٤. عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في وادي الرافدين ووادي النيل، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٥، ص٥٢.



## التنوع المجتمعي وتأثيره في عملية بناء الدولة (العراق أنموذجاً)

م.م. زهراء عبد الأمير الحربي<sup>(\*)</sup>

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٩/١٠ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/٩/٢٧ تاريخ النشر: ٢٠٢٤/٢/٢٨

### المستخلص

تعد الدولة مؤسسة وجدت لتحقيق أهداف وغايات مجتمعية، وهي من أجل ذلك بحاجة إلى بناء مؤسسي صحيح وعنصر الشرعية الذي يعد ضرورياً لعملية البناء لتتمكن من فرض النظام وتوفير حياة أفضل لأفرادها، وظاهرة التنوع الاجتماعي إحدى الظواهر الملازمة للمجتمعات البشرية مما جعل الإنسان يشعر بتمييزات فيما بينه وبين الجماعات الأخرى، وقد تفصح المكونات المجتمعية عن نفسها عبر انتماءاتها إلى الهوية الثقافية الخاصة بها، كالعادات والشعائر أو التجمعات الإثنية، إن المشكلة الأساسية في عملية بناء دولة ذات التنوع المجتمعي تكمن في تأثير هذا المتغير في قوة الدولة وشرعيتها. وعليه يكون التساؤل المهم هو: كيف يمكن البت بعملية بناء الدولة الضعيفة ذات التنوع المجتمعي؟، بناءً على ذلك فقد بحثنا في العناصر الضرورية لعملية بناء الدولة، والتي نعتقد بأهمية تفعيلها لتساهم في زيادة قوة الدولة، ونعتقد أن هذه العناصر تتلخص في (المؤسساتية، الاستقرار السياسي، المواطنة، الثقة)، لذا ينبغي أن تكون قادرة على توفير وتفعيل هذه العناصر ضمن إطار الدولة

(\*) م.م. زهراء عبد الأمير الحربي/ كلية العلوم السياسية/ جامعة النهدين.

لتزيد بذلك من قوة الدولة وقدرتها على تحقيق أهدافها وغايات مكوناتها المجتمعية.

**الكلمات المفتاحية:** التنوع المجتمعي، التعددية المجتمعية، الدولة، بناء الدولة،

المؤسساتية، الشرعية، الفدرالية، المواطنة، الاستقرار السياسي.

## **Societal Diversity and Its Impact on the State-Building Process** **(Iraq as a model)**

Assist. Lect. Zahraa Abdul Amir Alharbi<sup>(\*)</sup>

Receipt date:10/9/2023 Accepted date: 27/10/2023 Publication date:28/2/2024

### **Abstract:**

The state is an institution established to achieve societal goals and objectives, and for that it needs a sound institutional building and the element of legitimacy that is necessary for the construction process to be able to impose order and provide a better life for its members, and since the phenomenon of social diversity is one of the phenomena inherent to human societies, which made people feel difference among themselves And among other groups, and societal components may express themselves through their affiliations to their own cultural identity, such as customs, rituals, or ethnic groupings. The main problem in the process of building a state with societal diversity lies in the impact of this variable on the strength and legitimacy of the state. Therefore, the important question is: How can the process of building a weak state with societal diversity be decided upon? Based on this, we have discussed the necessary elements for the process of building the state, which we believe are important to activate in order to contribute to increasing the strength of the state. We believe that these elements are summarized in

---

(\*) Assist. Lect. Zahraa Abdul Amir Alharbi Al-Nahrain University.

institutionalization, political stability, and citizenship, trust. And the mechanisms by which the state-building process can be decided upon should therefore be able to provide and activate these elements within the framework of the state to increase the strength of the state and its ability to achieve its goals and the objectives of its societal components.

Keywords: societal diversity, societal pluralism, the state, state building, institutionalism, legitimacy, federalism, citizenship, political stability.

### المقدمة:

الدولة مؤسسة، وجدت لتحقيق أهداف وغايات المجتمع. وهي من أجل ذلك بحاجة إلى عنصر القوة والشرعية لتتمكن من فرض النظام وتوفير حياة أفضل لأفرادها، و يتحقق بناء الدولة من خلال دور مؤسساتها في تحقيق التقدم، وتكمن أهمية البت ببناء الدول الصغيرة بقدرتها على البقاء والاستمرار، إن المشكلة الأساسية في عملية بناء الدولة ذات التعددية المجتمعية تكمن في تأثير هذا المتغير في قوة الدولة وشرعيتها، وعليه يكون التساؤل المهم هو: كيف يمكن البت بعملية بناء دولة ضعيفة ذات تعددية مجتمعية؟، فمن جهة الاعتراف بحقوق المكونات في ظل دولة تتميز بالضعف والهشاشة قد يقود إلى انهيارها من خلال بروز قوى منافسة لها، ومن جهة أخرى فإن إهمال مطالب المكونات المجتمعية قد يقود إلى أعمال عنف تؤثر في الدولة وعملية بنائها إن لم تهدد استمرارها. بناءً على ذلك قد بحثنا في العناصر الضرورية لعملية بناء الدولة والتي نعتقد بأهمية تفعيلها لتساهم في زيادة قوة الدولة، وتتلخص في (المؤسسية، الاستقرار السياسي، المواطنة، الثقة). تأسيساً على ذلك فقد اخترنا الدولة العراقية كأنموذج لبناء الدولة التعددية حين برز عامل التعددية المجتمعية كمتغير مؤثر في عملية بناء الدولة العراقية لا سيما بهد عام (٢٠٠٣).

### أهمية البحث

تعالج هذه الدراسة مسألة مهمة تدور حول تأثير متغير التنوع و التعددية المجتمعية في عملية بناء الدولة، كمحاولة للتوصل إلى الآليات التي يمكن من خلالها معالجة هذه المشكلة التي عانت منها الدول ذات التركيبة المجتمعية المتنوعة، وتكمن أهمية هذه الدراسة في الحاجة الفعلية للوقوف على المعوقات التي تؤثر في بناء الدولة العراقية لا سيما بوجود التنوع المجتمعي والحاجة الفعلية لإيجاد الحلول لتلك المعوقات.

### أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة توضيح العلاقة بين التنوع المجتمعي وبناء الدولة مما يؤدي إلى تقوية الدولة، وبناء مؤسسات مستقرة من جهة وإرساء لمعايير الديمقراطية من جهة أخرى، وكذلك بيان مدى تأثير متغير التنوع في عملية بناء الدولة في الدول التي تشهد تنوعاً إثنياً وقومياً يمكن أن يؤدي تجاهلها إلى انهيار الدولة، بالإضافة لتسليط الضوء على بيان مفهوم بناء الدولة ومفاهيم التنوع وأسباب نشوء التنوع وأنواعه فضلاً عن معرفة آليات بناء الدولة ومحدداتها ومعوقات إدارة التنوع في العراق.

### الإشكالية

تكمن إشكالية الدراسة في الجدلية القائمة على الحاجة الملحة لعملية بناء الدولة في ظل الضعف الذي تعاني منه مؤسساتها من جهة والبنية المجتمعية المتنوعة والمنقسمة ثقافياً وانصهار الهوية الوطنية في الهويات القومية من جهة أخرى لا سيما بعد عام (٢٠٠٣) مما قد يقود إلى انهيار الدولة نتيجة لفشلها في تلبية مطالب المكونات المجتمعية وبناء الهوية الوطنية.

### الفرضية

تطلق فرضية الدراسة من أن تحسين آليات إدارة التنوع واعتماد آليات بناء الدولة المتمثلة بمؤسسات ذات قوة وشرعية في الدول المتنوعة مجتمعياً ومنها العراق، تعتمد على قدرة وقابلية هذه الآليات على تعبئة الموارد كافة، وتوفير أدوار إيجابية لكافة

المكونات المجتمعية والتي تتطلب تحديد طبيعة التنوع والوقوف أمام المعوقات التي أثرت على بناء الدولة والتي ستفضي إلى بناء الدولة وتعزيز الهوية الوطنية.

### منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في تحليل ووصف الظاهرة موضع البحث وتحديد واقعها ومحدداتها، وكذلك تم استخدام المنهج النظامي من خلال التطرق إلى المدخلات المتمثلة بآليات بناء الدولة و المخرجات والتي تتمثل بتأثر و تأثير التنوع المجتمعي في عملية البناء.

## المبحث الأول: مفهوم بناء الدولة والتنوع المجتمعي

### أولاً: مفهوم بناء الدولة

١- تعريف الدولة: الدولة مؤسسة إنسانية قديمة، وبداياتها ظهرت في إطار دولة المدينة اليونانية حيث برزت أثينا كمهد للديمقراطية، ثم تطورت إلى نظام الحكم في روما، وهذا النوع من الدولة ظهر أيضاً في بلاد ما بين النهرين (آشور وبابل) وفي الهند والصين، في معظم هذه الدول (المدن) كان نظام الحكم فردياً وتتركز السلطة في يد القائد أو الزعيم الذي يستمد سلطته من الآلهة أو من القوة<sup>(١)</sup>. تختلف الدولة المعاصرة عن الدولة القديمة من حيث إنها مؤسسة قانونية مرتبطة بفكرة الدستور، فقد ميز أرسطو بين دولة المدينة السياسية والمجتمعات البدائية كالعائلة والقبيلة والعشيرة بميزتين أساسيتين هما<sup>(٢)</sup>: إن المدن السياسية لا تنشأ لحفظ النوع فقط، بل لها أهداف اجتماعية أخرى تتمثل في توفير حياة أفضل لأفرادها. إن المدينة السياسية تختلف عن العائلة والقبيلة

(١) د. طعيمة الجرف ، نظرية الدولة والمبادئ العامة للأنظمة السياسية ونظم الحكم دراسة مقارنة ، ط٤ ، مصر ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٣ ، ص١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٦-١٨ .

والعشيرة من حيث إنها مكتفية ذاتياً.

حينما أكد (جاك باغنار) بأن دولة القانون هي النموذج الأكثر احتراماً لحرية الفرد مقارنة بأشكال الدول الأخرى التي تعتمد أما على القوة، أي باستخدام تهديد العنف الجسدي والأخلاقي، أو القدرة التي تنطوي تحت النفوذ والسلطان، أما التعريف القانوني للدولة فهي مؤسسة تمارس سيطرتها السياسية على إقليم وشعب محددين<sup>(١)</sup>. أما الفرنسي (فيليب برو) فعرف الدولة بأنها (القوة العامة المزعومة أنها مزودة بإرادة و متماسكة، ليست إلا منظومة علاقات قانونية معقدة تستعلي على التعارض بين الدولة والمجتمع المدني، ثم يحدد ثلاثة نظم في تعريف الدولة، هي<sup>(٢)</sup>:

أ- الدولة مقابل المواطنين أو الجماعات المحلية، وتعني شكلاً سلطوياً يمارس من داخل المجتمع المدني وأحد أشخاص القانون الدولي، وهذا المعنى يركز على الدولة كأحد فواعل المنظومة العالمية والمجتمع الدولي المنظم قانونياً في حيز محدود.

ب- البعد الوجودي للدولة، المتمثل في وجود وحدة سياسية منفصلة عن الأفراد يُمارس باسمها امتيازات القوة العامة.

بينما يذهب (هارولد ج. لاسكي) إلى أن ما يميز الدولة هو تمتعها بسلطة الزامية عليا تسمى السيادة، وهي تختلف عن الحكومة التي تعد وكيلا عن الدولة، تقوم بتنفيذ قراراتها وتحقيق أغراضها). وضمن نفس الإطار المؤسسي يذهب ( Andrew Heywood) إلى اعتبار الدولة مجموعة من المؤسسات التي تعزز النظام وتحفظ

(١) جاك باغنار ، الدولة مغامرة غير أكيدة ، ترجمة نور الدين اللباد ، ط١ ، القاهرة ، عربية للطباعة ، ٢٠٠٢ ، ص١٠-١١ .

(٢) فيليب برو ، علم الاجتماع السياسي ، ترجمة صاصيلا محمد ، بيروت ، المؤسسة الجامعية ، ١٩٩٨ ، ص٧٦ .

الاستقرار الاجتماعي<sup>(١)</sup>. وهذا يعني أن الدولة وسيلة مؤسسية وُجِدَتْ وأوكلت إليها وظائف الحماية والدفاع وتحقيق النظام للوصول إلى مجتمع منظم مستمر. والدولة في معناها الواسع، هي تجمع بشري مرتبط بأقاليم محددة يسوده نظام اجتماعي وسياسي وقانون موجه لمصلحته، تسهر على هذا التجمع سلطة مزودة بقدرات تمكنها من فرض النظام<sup>(٢)</sup>.

٢- تعريف عملية بناء الدولة: إن عملية بناء الدولة تتأثر بظروف تاريخية وحضارية وثقافية، وهي تختلف وفقاً لنمط وظروف الدولة المراد بناؤها. عملية بناء الدولة تتنازع فيها فلسفتان: الأولى تؤكد على أنها عملية اجتماعية وسياسية وتنموية، وتستغرق وقتاً طويلاً وتسعى إلى إيجاد دولة متجانسة ثقافياً و موحدة سياسياً واقتصادياً، والثانية تؤكد على أن عملية بناء الدولة هي عملية سياسية تنطلق من إقامة نظام سياسي يعمل على تحقيق عملية بناء الدولة معتمداً على سلطته وقوته<sup>(٣)</sup>.

يُعرف (فرنسيس فوكوياما) عملية بناء الدولة بأنها (إيجاد مؤسسات حكومية جديدة وتقوية المؤسسات القائمة)<sup>(٤)</sup>. في حين عرف (تشارلز تيلي) عملية بناء الدولة هي (عملية إقامة منظمات مركزية مستقلة ومتميزة لها سلطة السيطرة على أقاليمها،

(١) هارولد ج. لاسكي، الدولة نظرياً وعلمياً، ط٢، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٢، ص٢١.

(٢) د. حافظ علوان الدليمي، المدخل إلى علم السياسة، بغداد، جامعة بغداد، المكتبة الوطنية، ١٩٩٩، ص٢٣.

(٣) محمد نسيب أوجون، وأصلان مراد، نظرية و ممارسة بناء الدولة في الشرق الأوسط منظور دستوري حول العراق وأفغانستان، ط١، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠١٤، ص٤٧.

(٤) فرنسيس فوكوياما، بناء الدولة النظام العالمي و مشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين، ط١، ترجمة مجاب الإمام، المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٧، ص٣٥.

وتملك سلطة الهيمنة على التنظيمات شبه المستقلة<sup>(١)</sup>. أما التقرير الأوروبي حول التنمية لعام (٢٠٠٩) فيربط عملية بناء الدولة ببناء شرعية المؤسسات، فيعرفها على أنها "بناء شرعية المؤسسات وقدرتها على توفير الخدمات الأساسية لمواطنيها من الأمن والعدالة وسيادة القانون فضلاً عن التعليم والصحة تحقيقاً لرفاهية المواطن"<sup>(٢)</sup>. أما بالنسبة (لويل كميلكا) فيمكن أن تتحقق عملية بناء الدولة من خلال سياسة الاندماج التي يمكن لها أن تتحقق في المجتمعات التعددية في ظل توفر شرطين:

الشرط الأول: هو قبول الأقلية بالتكيف مع خصائص معينة تتسم بها الثقافة المهيمنة في المجتمع، مثل تعلم اللغة الرسمية، والمشاركة في مؤسسات عامة معينة.

الشرط الثاني: هو قبول الأكثرية بفكرة توسيع كامل نطاق الحقوق والفرص الممنوحة للأقلية من خلال العمل على نحو تعاوني مع أعضاء الأقلية واستيعاب الحاجات والهوية المميزة للأقلية ومما يعني التركيز على الاندماج المؤسساتي مع احتفاظ كل قومية بثقافتها الخاصة من لغة وتقاليد ودين وأنماط حياة<sup>(٣)</sup>. كما أكد (فوكوياما) على ضرورة التدخل الخارجي (الدولي) للمساهمة في بناء الدول الفاشلة، لا سيما الدول ذات التعددية المجتمعية التي تشهد منازعات حتى على حدود سيادتها، على أن لا تتمتع هذه القوى الخارجية بحق وإنما بواجب التدخل باسم حقوق الإنسان، الشرعية، الديمقراطية ومنع التهديد الذي يمكن أن ينتج عن فشل هذه الدول<sup>(٤)</sup>. يمكن القول إن عملية بناء الدولة هي عملية تعزيز قوة الدولة وقدرة مؤسساتها. والدولة ذات

(١) عبد السلام صغور ، بناء الدولة الحديثة في الجزائر دراسة تقييمية ، أطروحة دكتوراه ، الجزائر ، كلية الإعلام والعلوم السياسية ، ٢٠٠٨، ص ١٦ .

(٢) التقرير الأوروبي حول التنمية لعام (٢٠٠٩) ، التغلب على الهشاشة في إفريقيا ، سان دومينكو دي فيسولي ، مركز روبرت شومان للدراسات المتقدمة ، المعهد الجامعي الأوروبي .

(٣) عبد المجيد وسيم رفعت ، العراق الانقلابي ، الانقلابات الناجحة والفاشلة في العراق (١٩١٢-٢٠٠٣) ، بغداد دار الجواهري ، ٢٠١٥ ، ص ٢٥ .

(٤) فرنسيس فوكوياما ، بناء الدولة النظام العالمي و مشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

التنوع المجتمعي ينبغي لها أن تبحث في إطار عملية بنائها عن الهوية الجامعة للمكونات الثقافية، وذلك من خلال التركيز على العوامل المشتركة ونقاط التداخل بين المكونات، والتي تجمع المواطنين حول الانتماء للوطن وليس للقومية أو الدين، وفي ذات الوقت يقود الاعتراف المفرد من قبل الدولة بكل أشكال التعدد والتنوع في المجتمع في ظل الضعف الذي تعاني منه باسم الديمقراطية وحقوق المكونات إلى انحلالها وانهارها.

٣- أنماط بناء الدولة: إن عملية بناء الدولة تتطلب معرفة نمط الدولة المراد بناؤها، هل هي دولة الأمة أم دولة الرفاه ؟ أم إعادة بناء الدولة الفاشلة ؟، وبشكل عام تقسم أنماط عملية بناء الدولة كالاتي:

أ- عملية بناء الدولة - الأمة: وفقاً للنظرية الفرنسية، فإن الأمة لدى الفرنسيين هي الشعب وتُعرف بكونها "جماعة موحدة تسيّرُها إرادة جماعية وإن وحدة الأمة لا تؤثر فيها الاختلافات في الشعور أو المصالح"، ووفقاً لذلك نشأ مفهوم "الشعب - الأمة" عند الفرنسيين، بينما تذهب النظرية الألمانية إلى إقامة فكرة الشعب على أساس تكوين الأمة التي هي "الجماعة القومية" أساسها وحدة الأصل والدم واللغة، كما تم إدخال الأساس العنصري إلى فكرة الشعب من أجل تكوين الأمة، وإن أهمية الأمة وفقاً للنظرية الألمانية تأتي من كونها جماعة قومية مرتبطة مع بعضها وليست موجودة مع بعضها<sup>(١)</sup>. أما حسب (غابرييل الموند) فإن عملية بناء الأمة هي عملية نقل ولاء الأفراد من المجال المحلي إلى السلطة المركزية، من خلال بناء الهوية الوطنية القائمة وفق قواسم مشتركة من تاريخ أو دين أو عرق أو طبقة. وإنزال عملية اتخاذ القرار السياسي إلى مستوى المجتمعات المحلية، أي إعادتها إلى الشعب الذي سوف ينخرط في العمل السياسي لتحقيق مصالحه، وهذه

(١) د. منذر الشاوي، فلسفة الدولة، ط٢، بغداد - العراق، الناكرة، ٢٠١٣، ص ٨٥-٨٦.

الآلية تسمى بديمقراطية المشاركة<sup>(١)</sup>. في حين يعتقد (روبرت دال) أن مبدأ ديمقراطية المشاركة مثالية، ويرى أن هذا المبدأ قد يصح في مجتمع متجانس حيث خيارات وقيم ومصالح جميع الأفراد. وإن قاعدة الأغلبية هي بديل مقبول أخلاقياً باعتبارها تساهم بشكل كبير في المشاركة في العملية السياسية، ولكن المشكلة تكمن في المجتمعات ذات التنوع الثقافي حيث يكون حكم الأغلبية فيها مستحيلاً، وقد يقود إلى صراع وعدم الاستقرار السياسي؛ لأن مصالح بعض المكونات المجتمعية قد تكون مهمة ولا يسمح أعضاؤها بحكم الأكثرية، لا سيما إذا تعلق الأمر بالدين واللغة وحقوق الملكية<sup>(٢)</sup>. كما أن بناء الدولة يستند على أسس (هيكل) بناء الأمة، وهذا يعني خلق هوية وطنية موحدة كي تحل محل الولاء للعائلة، القبيلة، الدين، والمجموعة الإثنية، وقد يكون بناء الأمة أمراً صعباً ومملوءاً بالصراع، لا سيما إذا تم تجاهل خصوصية المكونات المتنوعة، إلا أن تعزيز الشعور العام على الأقل بالفضاء العام (الوطني) يبدو أمراً ضرورياً في بناء دولة فعالة، وعلاقة فعالة بين الدولة والمجتمع<sup>(٣)</sup>.

بناءً على ذلك، إن عملية بناء الدولة-الأمة هي عملية ذاتية تنموية تحدث ضمن إطار مؤسساتي، وتستهدف بناء أمة متجانسة ثقافياً وموحدة سياسياً واقتصادياً سواء تم ذلك على نحو قسري أو سلمي أو كليهما. لتغدو الأمة صورة عن الدولة من حيث التنظيم والتماسك.

ب- عملية بناء دولة الرفاه: إن وظائف الدولة التقليدية تتلخص في الدفاع والحماية من الاعتداءات الخارجية وتحقيق الأمن الداخلي، وهذا ما أكد عليه (أرسطو طاليس

(١) الموند غابرييل و باويل الابن بنكهام، السياسيات المقارنة في وقتنا الحاضر نظرة عالمية، ط ١، ترجمة هشام عبد الله، عمان -الأردن، دار الأهلية، ١٩٩٨، ص ٩٣

(٢) الموند غابرييل و باويل الابن بنكهام، السياسيات المقارنة في وقتنا الحاضر نظرة عالمية، ط ١، ترجمة هشام عبد الله، المصدر السابق، ص ٩٣ .

(٣) د. منذر الشاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨ .

٣٢٢ ق.م) في كتابه (السياسة)، إلا أن القرن التاسع عشر كان أساس تغيير هذه الوظائف، حيث اتخذت بعض الدول الأوروبية سياسات لتحقيق الرفاه الاجتماعي والاقتصادي لمواطنيها<sup>(١)</sup>. وهذه السياسات تشمل (التعليم العام، الرعاية الصحية، السكن، فرص العمل) وبذلك تكون الدولة قد تجاوزت وظائفها التقليدية. أما المنظرون الماركسيون فيعتقدون أن أنساق دولة الرفاه جاءت لإنقاذ النظام الرأسمالي، بينما يرى أنصار النظرية الوظيفية أن الهدف الرئيس لدولة الرفاه هو الإسهام في التكامل والاندماج الاجتماعي والتي باتت جزءاً لا يتجزأ من منظومة المبادئ لدولة الرفاه<sup>(٢)</sup>. لذا يمكن القول إن عملية بناء دولة الرفاه هي عملية بناء نمط من الدولة من خلال التركيز على توسيع الوظائف التي تقوم بها، حيث إنها تتم في الدول التي قطعت مراحل عديدة في عملية البناء، وتعد سياسات الرفاه إحدى مراحل بناء الدولة - الأمة التي تولدت نتيجة المرور بمراحل عدّة، هي: (تشكيل الدولة، وبناء الأمة، والمشاركة واسعة النطاق).

ج- عملية إعادة بناء الدولة الفاشلة: إن عملية إعادة بناء الدولة الفاشلة شاع استخدامها بعد الحرب الباردة، حيث تم التركيز على بناء الدول التي أوشكت على الانهيار في مناطق عدة من العالم، كما في أفغانستان والعراق، وبالتالي أصبحت مصدراً لتهديد الأمن والسلم والاستقرار في العالم، وهذا ما يبرر تدخل الأمم المتحدة والدول الديمقراطية للاهتمام بشأن هذه الدول ومساعدتها في بناء ذاتها<sup>(٣)</sup> وتشير عملية إعادة بناء الدولة الفاشلة إلى إعادة بناء المؤسسات العامة، أي إعادة البناء الوظيفي لمؤسسات الدولة لكي تقوم بالغايات الموكلة إليها.

(١) أنتوني غيدنز، علم الاجتماع مع مدخلات عربية، ط ٤، ترجمة، د.فايز الصايغ، بيروت - عمان ، المنظمة العربية للترجمة ومؤسسة ترجمان، ٢٠٠٥، ص ٣٩٩ .  
(٢) أنتوني غيدنز، علم الاجتماع مع مدخلات عربية، المصدر السابق، ص ٤٠١ .  
(٣) محمد نسيب أوجون، و مراد أصلان، نظرية وممارسة بناء الدولة في الشرق الأوسط منظور دستوري حول العراق وأفغانستان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

إن فشل بعض الدول في عملية بناء ذاتها يعود إلى الفجوات التي تعاني منها هذه الدول، وهي كالتالي<sup>(١)</sup>:

- الفجوة الأمنية: تمثل أهم وظيفة أساسية للدولة في ضمان الأمن والسيطرة على أراضيها، وقد ازدادت أهمية هذه الوظيفة بعد بروز الجماعات الإرهابية وتهديداتها الجدية لمنظومة الدولة وخصوصاً (داعش).
  - فجوة القدرة: تلعب الدولة دوراً مركزياً في تلبية الاحتياجات الأساسية لشعبها من خلال توفير التعليم والرعاية الصحية وبيئة مواتية للنمو الاقتصادي، وعندما تفشل الدولة في تلبية هذه الاحتياجات يكون الناس عرضة للفقير والمرض والأزمات الإنسانية.
  - فجوة الشرعية: تعمل الدول على تعزيز شرعيتها من خلال حماية الحقوق والحريات الإنسانية وتمكين مشاركة المواطنين في العملية السياسية، وإن غياب الشرعية يسمح بالمعارضة السياسية العنيفة ويزيد من فرص الفساد.
- إن الدولة الفاشلة تعبر عن فشل المؤسسات العامة في توفير الخدمات للمواطنين، وهذا يؤثر سلباً في شرعية ووجود الدولة نفسها، ويحدث فشل الدولة عندما لا يعود في دولة معينة مؤسسة توفر سلطة عامة مقبولة من قبل المواطنين، وكذلك عندما لا يوجد إجماع على التقاليد الثقافية والعادات والرموز والخبرات التاريخية، ومن ثم قد تقود إلى العنف، حيث تبدو الحرب هي الحل الوحيد للحفاظ على الذات، وهذا ما يفسر انهيار يوغسلافيا، والحرب في البوسنة والهرسك، وأزمة كوسفو عام (١٩٩٩) على وجه الخصوص<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: مفهوم التنوع المجتمعي

- (١) محمد أمين بن جيلاني، مشكلة بناء الدولة دراسة ايستمولوجية وفق أدبيات السياسة المقارنة، رسالة ماجستير، الجزائر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، ٢٠١٤، ص ٢٠.
- (٢) محمد أمين بن جيلاني، مشكلة بناء الدولة دراسة ايستمولوجية وفق أدبيات السياسة المقارنة، المصدر السابق، ص ٢٥.

١- تعريف التنوع: إن التنوع هو حقيقة اجتماعية قائمة في الفكر الإنساني سواء كان هذا التنوع ثقافياً أو دينياً أو عرقياً أو قومياً، ضمن ثقافة واحدة أو مجموعة ثقافات، فثقافة الاختلاف، والتعايش معها يمثل القاعدة الإنسانية الصلبة التي تستند إليها المجتمعات المتنوعة في بناء وإدارة نفسها، فقبول الآخر بلا تمايز ديني أو عرقي أو طائفي هي مفاهيم عميقة مؤمنة بالتنوع ومدركة له<sup>(١)</sup>.

التنوع لغةً: مفردة التنوع في معجم المعاني الوجيز تعني الاختلاف (تَنَوَّعَ - يَتَنَوَّعُ - تَنَوُّعاً . فهو متنوع) تنوع الشيء اختلف، وتصنف، وتنوع الأحياء حدوث الفروق بين الأشخاص والجماعات والعروق بتأثير عوامل مختلفة، والتنوع أخص من الجنس، وقد تنوع الشيء أنواعاً<sup>(٢)</sup>. بيد أن التنوع هنا لا يعني الاختلاف الجذري والشامل في أصل الأنواع، وإنما الاختلاف في بعض الصفات والتشابه في أخرى.

أما اصطلاحاً: فقد وردت عدة تعاريف لمفردة التنوع، حيث تم تعريفه كصفة من صفات الخصائص البشرية، وهذا التنوع يشتمل على التباين في العوامل الديموغرافية، كالعمر والنوع والحالة الاجتماعية، والعوامل الثقافية، كالعرق والجنس واللغة والديانة. وبهذا يمكن النظر إلى التنوع بأنه ينطبق على جميع أفراد المجتمع، ولا ينحصر في بعض الاختلافات التعسفية ولا يختص بطائفة معينة، وإنما يشمل جميع الاختلافات الفردية التي تميز كل شخص عن الآخر، لذلك لا يمكن التعامل مع التنوع على أنه يخص الفروق العنصرية الدينية أو العرقية، بل يتعدى ليشمل كل الاختلافات المجتمعية ثقافياً واجتماعياً و سياسياً<sup>(٣)</sup>. أما الفقه القانوني والسياسي فذهب لعدة تعاريف للتنوع تتسجم مع متطلبات الدولة الحديثة، ومنها بأنه المجتمع الذي تتعايش فيه

(١) سعد عيسى دهم، إدارة التنوع وإشكالية بناء الهوية الوطنية دراسة مقارنة (العراق، لبنان، جنوب إفريقيا)، رسالة ماجستير، كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة، قسم العلوم السياسية، النظم السياسية، ص ٢

(٢) وهيب بن أحمد دياب، معجم تاج العروس مطبعة الصباح، دمشق، ط ١، ١٩٩٦، ص ٣٣١.

(٣) زهراء عبد الأمير الحربي، النظم السياسي وإدارة التنوع في العراق بعد عام ٢٠٠٥، رسالة ماجستير، العراق، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٢١، ص ١٦.

جماعتان أو أكثر في كيان سياسي واحد متباينة (قومياً أو طائفيًا) ولها وزن عددي، وإن التعايش بين هذه الطوائف يفرض مؤسسات وقوانين تطل الحياة الاجتماعية والسياسية بأسرها<sup>(١)</sup>.

٢- أشكال التنوع: تتعدد صور وأشكال التنوع، فالتنوع ظاهرة كونية في كل جنبات الأرض وفي الحضارات المتعاقبة على مر الزمان، وتختلف صورته من بلد إلى آخر، فبعض البلدان تضم شكلاً واحداً من أشكال التنوع، بينما تشهد بلدان أخرى أكثر من شكل وصورة له، الأمر الذي يزيد من إشكالية إدارته تعقيداً، ويمكن الإشارة إلى أهم أشكال التنوع، وهي:

أ- التنوع القومي: وهو التنوع الطبيعي التكويني، حيث وجد الناس أنفسهم ضمنه من دون اختيار في انتمائه العرقي أو القومي، ولم يقرر أحد من البشر لنفسه أن ينحدر من السلالة التي انحدر منها أو أن ينتمي إلى القومية التي وجد نفسه منتمياً إليها، وفي حين يعد الإنسان نفسه في أغلب الأحيان فرداً ينتمي لأمة معينة، فإنه يمكن أن يعد نفسه جزءاً من الإنسانية عموماً، وبنزوع البشر إلى التأكيد على الاختلافات فلا بُدَّ أن ينظر بعين الاعتبار إلى الأنشطة التي توحد البشرية، فيكون الانتماء على أساس هذه الأنشطة، فالقومية تمثل أحد هذه الانتماءات<sup>(٢)</sup>.

ب- التنوع الديني: يعد الدين أحد المتغيرات الأساسية عند الاجتماع البشري، حتى يمثل متغيراً فارقاً بين الإنسان وما عداه من الكائنات؛ لأن الإنسان وحده الذي يكون له دين، كما برز الدين كأحد معايير التباين بين الجماعات وخاصة في

(١) علي نجم عبد الميالي، آليات إدارة التنوع الاجتماعي ودورها في تعزيز السلم الأهلي (العراق ما بعد داعش نموذجاً)، رسالة ماجستير، العراق، معهد العلمين للدراسات العليا، قسم العلوم السياسية، ٢٠٢٠، ص ٩.

(٢) ستيفن جروزبي، مقدمة قصيرة جداً عن القومية، ترجمة محمد إبراهيم الجندي و محمد عبد الرحمن إسماعيل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط ١، ٢٠١٥، ص ٣.

المجتمعات المتعددة - المتنوعة - الأديان، لقد نصت النظرية الدينية على أن الأساس الأول لتكوين الأمم هو الدين أو العقيدة كونه أكثر العوامل تأثيراً على حياة البشر وتكوين وجدانهم وتحديد ولائهم، وكثيراً ما نجح العامل الديني في التغلب على عوامل عرفية أو لغوية أو تاريخية في تشكيل الأمم<sup>(١)</sup>.

ج- التنوع الطائفي: اشتقت لفظة الطائفية من أصل كلمة الطائفة والتي وردت في اللغة العربية بدلالة ترتيب جماعة من الناس وتدرجها من القلة إلى الكثرة حسب القياس والترتيب، تبدأ من نفر، رهط، لمة ثم قبيلة، عصابة وطائفة، ثم فوج وفرقة وحزب، وكذلك ذكرت بأن الطائفة جزء من الشيء، أي قطعة منه، والطائفية مفهوم مشتق من جذر متحرك هو طاف يطوف طوافاً، أي بمعنى تحرك الجزء من الكل دون أن ينفصل عنه<sup>(٢)</sup>. فالطائفة هي مجموعة من البشر، تتحرك من الكل في إطار جزئية معينة تكون قد اختارتها وتعصبت لها أو تبنتها مقولة أو مذهباً أو رأياً، وبدأت تكرر جهودها لإبرازها على حساب مشتركات مع الكل الذي تنتمي إليه، فهناك مثلاً أمة مسلمة، وهناك طوائف داخل هذه الأمة، فالطائفة أحياناً تتجاوز أهمية الانتماء إلى الأمة لتركز على قضايا محدودة تكون قد تبنتها، ويقال طائفي لذلك الإنسان الذي يُعلي ما التزمته الطائفة وينحاز ويتعصب إليها<sup>(٣)</sup>.

د- التنوع اللغوي: إن لغة أهمية كبيرة في حياة الجماعات البشرية لاعتبارات عدة، من

(١) زهراء عبد الأمير الحربي، النظام السياسي و إدارة التنوع في العراق بعد عام (٢٠٠٥)، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٢) كاظم شبيب، المسألة الطائفية تعدد الهويات في الدولة الواحدة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط ١، ٢٠١١، ص ٥١.

(٣) محمد رشيد صبار، نحو خطاب إعلامي عربي لمواجهة الطائفية، مجلة دراسات دولية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد ٦٣، لسنة ٢٠١٥، ص ٢٩٩.

بينها أن اللغة واسطة لنقل الأفكار، من جيل إلى آخر، وهي الطريق إلى معرفة التراث والتاريخ وأداة لمخاطبة المشاعر، وبهذا التواصل تُبنى العلاقات وتتوطد وتتحوّل إلى إحساس جماعي بالقرابة والتميز، وعامل اللغة في الأمم أشدّ ثباتاً أمام التقلبات من أي عامل آخر حتى من الدين<sup>(١)</sup>. وتتنوع وتتعدد اللغة باختلاف الألسن والقوميات، فهي متنوعة ومتعددة منذ بداية الخليقة، وهذا ما نجدُه في الكتب السماوية حيث نزلت بلغات ولهجات الأقوام السابقة، وهذا ما يدل على التنوع اللغوي المزامن للبشرية والمجتمع<sup>(٢)</sup>. ويطلق في كثير من الأحيان لغة الأم أو لسان الأم على اللغة التي تتحدث بها الأغلبية تمييزاً لها عن اللغات الأخرى التي يمكن اكتسابها في مراحل عمرية تالية، فاللغة الأم هي دعامة أساسية في تنشئة أعضاء الجماعة<sup>(٣)</sup>، إن من يتكلمون لغة واحدة أصلية يشتركون في الموارث الثقافية والحضارية التي تحملها تلك اللغة. وبهذا نجد إن للغة وظيفتين أساسيتين<sup>(٤)</sup>:

الأولى: وظيفة التنظيم، فاللغة تنتمي إلى مجتمع بشري معين، وهي أداة تفكيرهم، وهي المنظمة لتجربة هذا المجتمع.

أما الوظيفة الثانية: فوظيفة التواصل، على الرغم من وجود وسائل تواصلية إلا أن اللغة هي أهم وسيلة اتصال، فهي المترجم لما يدور في ذهن الإنسان ضمن تواصله مع عالمه.

(١) برهان غليون، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، ط ٣، ٢٠١٢، ص ٦٥.

٣١ مثنى أمين قادر، قضايا القوميات وأثرها على العلاقات الدولية القضية الكردية نموذجاً، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، سليمانية، ط ١، ٢٠٠٣، ص ٣٨.

(٣) بهاء الدين مكاي، استراتيجيات إدارة التنوع الإثني في السودان، بحث منشور على الرابط الإلكتروني <https://www.researchgate.net/publication>

(٤) بسام بركة وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، ط ١، ٢٠١٣، ص ٢٨.

## المحور الثاني: آليات بناء الدولة والعوامل المؤثرة فيها

### أولاً: آليات بناء الدولة

تتعدد الآليات والأدوار الضرورية لعملية بناء الدولة، ويمكن التركيز على أهم الآليات التي نعتقد بأهميتها في عملية بناء الدولة ذات التنوع والتعدد المجتمعي، وهي كالتالي:

١- المؤسساتية: تعد المؤسسات آلية فاعلة في عملية بناء الدولة، وتحظى بأهمية كبيرة كونها توفر الأسس والأبنية والقواعد الضابطة للتفاعل الاجتماعي والسياسي، وتتميز المؤسسات بالحركية والتطور المستمر بشكل يرافق تطور المجتمعات وتقدمها.

وقد وضح (دوركهايم) <sup>(١)</sup> أن المؤسسات هي بصورة عامة مجموعات مكونة داخل جماعة اجتماعية معينة، وهي مجهزة ببنية معقدة إلى حد كبير تتلاءم مع غاياتها ووظائفها <sup>(١)</sup>. كما تعني المؤسسة "هيئة عامة لها هياكل ومهام محددة بشكل منظم. والغاية منها تنظيم الأنشطة المحددة التي تنطبق على جميع السكان، وتشمل المؤسسات السياسية، والهيئات القضائية، ويتم تحديد العلاقات المتبادلة بينها بواسطة الدستور" <sup>(٢)</sup>. ويمكن تعريف المؤسساتية "بأنها عملية إيجاد وتكوين أصول وقواعد الممارسات والعمل الممنهج، فهي مجموعة علاقات اجتماعية منظمة لاحتواء وتنظيم جهود الأفراد من أجل تحقيق الأهداف المشتركة" <sup>(٣)</sup>.

(١) موريس دوركهايم، المؤسسات السياسية والقانون الدستوري والأنظمة السياسية الكبرى، ط١، ترجمة سعد جورج، بيروت، المؤسسة الجامعية، ١٩٩٢، ص١٥.

(٢) تشارلز بيللي، الديمقراطية، ط١، ترجمة محمد فاضل طباح، بيروت، المنظمة العربية، ٢٠١٠، ص٣٢٥.

(٣) صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده، الموصل، جامعة الموصل، ١٩٨٦، ص٢٠٦.

٢- الاستقرار السياسي: إن الاستقرار السياسي هو انتظام تدفق التغييرات السياسية، فكلما كان تدفق التغييرات السياسية أكثر انتظاماً، زاد الاستقرار. ولتحديد مدى الاستقرار السياسي ينبغي قياس تدفق الأحداث السياسية ودرجة التقيد بالحدود التي يفرضها النظام العام، وأي عمل ينحرف عن هذه الحدود هو مثال لعدم الاستقرار السياسي<sup>(١)</sup>. كما يمكن تعريف الاستقرار السياسي بأنه مدى قدرة النظام السياسي على استثمار الظروف وقدرته على التعامل بنجاح مع الأزمات لاستيعاب الصراعات التي تدور داخل المجتمع دون استعمال العنف<sup>(٢)</sup>. ويمكن إجمال مؤشرات قياس الاستقرار السياسي كالتالي<sup>(٣)</sup>:

- الاستقرار السياسي هو غياب العنف.
- الاستقرار السياسي هو قدرة المؤسسة الحكومية على التحمل أو طول العمر الحكومي.
- الاستقرار السياسي هو وجود نظام دستوري شرعي ووجود التغيير البنوي الهيكلي.

٣- المواطنة: تعرف المواطنة بأنها عضوية الفرد التامة والمسؤولة في الدولة، وينتج عن هذه العضوية مجموعة من العلاقات المتبادلة بين الطرفين تسمى الحقوق والواجبات<sup>(٤)</sup>. تشكل المواطنة مجموعة من القيم الأصلية التي تتمثل في المساواة والعدل والحرية و الالتزام والاستقلالية، والمواطنة تربط الفرد بالدولة، فلا يمكن

(١) صموئيل هنتغتون، النظام السياسي لمجتمعات متغيرة، ط١، ترجمة سمية فلو عبود، بيروت، دار الساقى، ١٩٩٣، ص ١٠٢ .

(٢) أحمد شاكر محمود الصبيحي، ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق بعد (٢٠٠٣) دراسة المفهوم والأسباب، مجلة تكريت للعلوم السياسية، ع ١٣ ، العراق كلية العلوم السياسية ، جامعة تكريت، ٢٠١٨، ص٢٨.

(٣) صموئيل هنتغتون، المصدر السابق ، ص ١١٢ .

(٤) د. محمود غالب البكاري، دليل المواطن إلى الدولة المدنية ، ط١، صنعاء، مؤسسة تمكين للتنمية، ٢٠١١، ص١٧ .

إدراكها دون وجود الدولة، و لا يمكن إدراك أي حديث عن المواطنة بعيداً عن شروطها الموضوعية التي تتلخص في (الدولة، والمجتمع المدني، والمؤسسات، وفكرة الفردية) <sup>(١)</sup>. تعاني المجتمعات ذات التعددية الثقافية (الدينية والإثنية) إشكاليات حول مفهوم المواطنة وكيفية المشاركة في الحياة السياسية.

إن اعتبار الدولة مجموعة كيانات طائفية تعيش حياة مشتركة تحت إطار حقوق الإنسان من دون وجود سلطة تستطيع فرض قوتها لتحقيق النظام، يمنع تحويل الكيان إلى وطن وفي ذلك الوقت يعيق بناء الدولة الحديثة، بل يجعل من الدولة مجرد مجموعة من الطوائف والمناهب وزعاماتها <sup>(٢)</sup>.

٤- بناء الثقة السياسية: يعتقد (فوكو ياما) أن بناء الثقة في المجتمعات له دور أساسي في استقرارها وازدهارها، ولا سيما أن بناء الثقة بين الفئات المجتمعية وبين النظام السياسي ضمن إطار الدولة بحاجة إلى تعزيز شرعية سلطة الدولة. إن الشرعية هي معتقد، أي إيمان غالبية أعضاء المجتمع بأن السلطة ينبغي أن تمارس بطريقة معينة دون غيرها وإلا فقدت مبرر طاعتها، فمشكلة الشرعية تعد إحدى المشكلات التي تعاني منها الدولة الحديثة، لا سيما مع ظهور معايير جديدة للشرعية <sup>(٣)</sup> ويعرف (تشارلز تيللي) الثقة بأنها موقف أو علاقة تربط مجموعة من الأفراد استناداً إلى قواسم أو قيم مشتركة فيما بينهم، كالعلاقة التي تربط أبناء الدين الواحد أو العرق أو الطائفة الواحدة أو المهاجرين، مما يؤدي إلى تشكيل شبكات ثقة يمكن لها أن تلعب دوراً كبيراً في السياسة العامة للدولة <sup>(٤)</sup>.

(١) د. عامر حسن فياض و د. إياد العنبر، دولة المواطنة أفكار في إشكالية العلاقة بين الدولة والفرد في العراق المعاصر، مجلة قضايا سياسية، العدد ٤٢، بغداد، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٥، ص ٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٣) شيرزاد أحمد أمين النجار، منظومة المفاهيم عند ديفيد إيستن: دراسة نقدية، مجلة قضايا سياسية، ع ٤١، العراق، جامعة النهرين، ٢٠٠٤، ص ٩٠.

(٤) تشارلز بيللي، الديمقراطية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٠.

## ثانياً: العوامل المؤثرة في بناء الدولة العراقية

تواجه الدولة العراقية تحديات عديدة تقف عائقاً أمام عملية بنائها ويمكن تلخيصها بالتالي:

١- تأسيس الدولة العراقية: إن تأسيس الدولة العراقية وتشكيل الحكومة العراقية جاء تنفيذاً لقرار الحكومة البريطانية المتخذ بتاريخ (١٧ حزيران ١٩٢٠)، وذلك لغرض إدارة شؤون البلاد الداخلية تحت إشراف وسيطرة المندوب السامي إلى أن يتم سن دستور للبلاد، إن عدم تجانس مكونات الدولة العراقية التي أسسها الإنكليز عام (١٩٢١)، كان عاملاً مؤثراً في عدم الاستقرار السياسي في الدولة العراقية التي شهدت العديد من الانتفاضات الشعبية، فالدولة العراقية تكونت من قوميتين بارزتين متعارضتين، هما العرب والكرد الذين تم تقسيمهم بين أربع دول، هي العراق وإيران وتركيا وسوريا بالرغم من رغبتهم كهوية قومية بالاستقلال وتأسيس دولة كردية<sup>(١)</sup>. ساد في العهد الملكي اتجاهان رئيسان فيما يتعلق بعملية بناء الدولة العراقية:

الاتجاه الأول: مثله نخبة من الضباط الشريفيين الذين كانوا في خدمة الجيش العثماني، وكانوا قد وصلوا إلى مناصب مهمة في الحكومة والجيش بعد تأسيس الملكية عام (١٩٢١) حيث آمنوا بضرورة البت بعملية بناء الدولة العراقية وفق نموذج الدولة-الأمة تأثراً بالتجربة الأوروبية ولا سيما الألمانية في بناء الدولة القومية.

الاتجاه الثاني: مثله الملك فيصل بن الحسين، وكان يدرك طبيعة التكوين الثقافي للمجتمع العراقي، لذا رفض اللجوء إلى استخدام القوة لتحقيق الاندماج وبناء الدولة العراقية القومية<sup>(٢)</sup>. أما محاولة بناء الدولة العراقية الفدرالية فجاءت بعد الاحتلال

(١) عبد المجيد وسيم رفعت ، العراق الانقلابي ، الانقلابات الناجحة والفاشلة في العراق ١٩١٢-٢٠٠٣ ، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢١ .

(٢) د. وليد سالم محمد، مأسسة السلطة وبناء الدولة الأمة دراسة حالة العراق، ط١، عمان-الأردن، مؤسسة أكاديميون، ٢٠١٤، ص ٢٦٢ .

الأمريكي للعراق عام (٢٠٠٣)، حيث قامت القوات الأمريكية والبريطانية بإسقاط النظام السابق في العراق وأصبحت سلطة الائتلاف المؤقت هي السلطة الحاكمة طيلة ثلاثة عشر شهراً، لحين تشكيل حكومة عراقية انتقالية في (٢٨ حزيران) برئاسة السيد (إياد علاوي) على الرغم من بقاء الصلاحيات الفعلية بيد سلطة الائتلاف<sup>(١)</sup>.

٢- ضعف السلطة السياسية العراقية: إن السلطة هي ظاهرة تلازم المجتمع الإنساني، وتتمحور وظيفتها في الالتزام بالقواعد والأسس التي تسيّر أمور المجتمع، بهدف تقليل حدة الصراع بين الفئات المختلفة في المجتمع، يرتكز مفهوم السلطة السياسية على عنصرين، هما القوة والرضا، ويعدان ضروريين في عملية بناء الدولة في العراق، بالرغم من وجود آراء مختلفة بين الباحثين حول مفهوم السلطة<sup>(٢)</sup>. إن السلطة السياسية في العراق لعبت دوراً سلبياً في تفريق أهداف المجتمع، فلم تكن هناك أهداف مشتركة تسعى إلى تحقيقها كل مكونات المجتمع العراقي وبشكل خاص المكونين القومييين الرئيسيين، وهما المكون العربي والمكون الكردي، بل إن لكل منهما أهدافاً مختلفة إن لم تكن متناقضة تسعى إلى تحقيقها، لذا نجد أن الإطار المؤسسي في العراق لم يجسد مطالب المكونات المجتمعية من خلال اتباعه الآلية المركزية في الحكم للحفاظ على وحدة الدولة التي تميزت بالتعدد المجتمعي، وهذا ساهم بدوره في إضعاف السلطة السياسية<sup>(٣)</sup>.

٣- أزمة الشرعية: تعد أزمة الشرعية المتمثلة بضعف مصادرها وعجز السلطة السياسية في الدولة العراقية عبر مختلف مراحلها التاريخية على جعل نفسها بؤرة

(١) فرنسيس فوكو ياما ، بناء الدولة النظام العالمي و مشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين، مصدر سبق ذكره، ص٣٢

(٢) صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥ .

(٣) رعد عبد الجليل، مفهوم السلطة السياسية: مساهمة في دراسة النظرية السياسية، مجلة دراسات دولية، ع ٣٧، بغداد، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص١٣٢ .

الولاء للفرد والمجتمع، وتراكم مختلف الولاءات الفرعية التي تؤثر وجود خلل في شرعية الدولة العراقية، تحدٍ كبير واجه عملية بناء الدولة العراقية بالإضافة إلى ضعف البناء المؤسسي للدولة وتحولها إلى وسيلة لضمان استمرار النظام السياسي وسلطته التي تمثل جزءاً من المجتمع العراقي وليس كله<sup>(١)</sup>.

٤- متغير التنوع المجتمعي: تغير شكل الدولة العراقية و بروز تأثير عامل التعددية المجتمعية بعد عام (٢٠٠٣)، وذلك من خلال إعطاء الفرصة للقوى السياسية التي تشكلت على أسس قومية ودينية للمشاركة في عملية بناء الدولة، وفقاً لخطوط التقسيم القومية والمذهبية، وخاصة القوى الشيعية والقوى الكردية والقوى السنية وقوى المكون التركماني والتي انبثق عنها مجلس الحكم بعد فترة الحاكم المدني (بول بريمر)، استمر تأثير التنوع والتعددية المجتمعية ل حين اكتمال مسودة الدستور الدائم لتعلن أن العراق بلد متعدد القوميات والأديان والمذاهب وهو جزء من العالم الإسلامي<sup>(٢)</sup>. وبهذا نجد أن التنوع في المجتمع العراقي انعكس في التعددية السياسية، فتأسست العديد من الأحزاب السياسية ومثلت مكونات بعينها، لذا فإن نشاطاتها ووظائفها ومشاركتها في العملية الانتخابية، وعملية بناء الدولة العراقية الجديدة تنطلق من هذا الأساس وإن كان الدستور العراقي قد نص على تمثيلها لكل الشعب إلا أنها أحزاب فئوية وليست أحزاباً وطنية<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: آليات بناء الدولة العراقية

- 
- (١) رعد عبد الجليل، مفهوم السلطة السياسية: مساهمة في دراسة النظرية السياسية، المصدر السابق، ص ١٣٥.
- (٢) شيرزاد أحمد أمين النجار، منظومة المفاهيم عند ديفيد إيستن: دراسة نقدية، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥.
- (٣) د. وسام حسين علي، التحديث والاستقرار في النظام السياسي العراقي بعد عام (٢٠٠٣)، ط ١، برلين- المانيا، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ٢٠١٨، ص ١٠٨.

إن البحث في آليات عملية بناء الدولة العراقية ذات التنوع المجتمعي وكيفية بنائها كدولة قوية ذات تعددية، بأمكانها تخفيف حدة النزاعات والتوترات السائدة بين المكونات المجتمعية من خلال تحقيق العدالة، لا سيّما في ظل فشل الدولة العراقية منذ تأسيسها في بناء هوية وطنية جامعة للشعب العراقي. ويمكن توضيح هذه الآليات بالتالي:

١- تقليص وظائف الدولة العراقية: إن تقليص وظائف الدولة كآلية لعملية بناء الدولة التي طرحها (فرنسيس فوكوياما) تقوم على أساس بناء دولة أصغر ولكن أقوى وفق النموذج الليبرالي الذي يحد أبعاد الدولة ببعدين أساسيين لهما تأثيرهما في عملية بناء الدولة، وهما مدى وظائف الدولة وقوة الدولة. لنا تعد الحكومة أداة الدولة في ممارسة وظائفها، وهي بذلك تتمثل في كل المؤسسات التنفيذية التابعة للدولة في أداء الوظائف والاستجابة للمطالب المجتمعية، وهي في جوهرها تمثل الركن التنظيمي للدولة الذي يقوم على إدارة وتنسيق شؤون المجتمع، وعند تحليل وظائف الدولة العراقية على مستوى نظامها السياسي نجد أن مؤسسات الدولة العراقية لم تكن تعبيراً عن مطالب وحاجات مجتمعها التعددي إلا بعد عام (٢٠٠٣)<sup>(١)</sup>. وبالرغم من المساعي التي بُذلت من أجل بناء مؤسسات سياسية تعبر عن مصالح المجتمع العراقي التعددي، إلا أنها لا زالت متأثرة بثقافة الطرف الأقوى، وضرورة سيادته وسيطرته على بقية المكونات مما جعل اللغة السائدة هي لغة الصراع بين من يسيطر ومن يحكم، إن عملية بناء الدولة العراقية بعد عام (٢٠٠٣) وبالرغم من نقل السيادة والسلطة إلى الحكومة العراقية الانتقالية في (٢٨/٦/٢٠٠٤)، اشتملت على مظاهر سياسية واجتماعية واقتصادية عكست الواقع السياسي للدولة العراقية، وزادت من ضعفها كالخلاف حول النموذج الفيدرالي لشكل الدولة وسياسات توزيع الثروات والتنوع المجتمعي وتأثير كل

(١) د. وسام حسين علي، التحديث والاستقرار في النظام السياسي العراقي بعد عام (٢٠٠٣)، المصدر السابق، ص ١٢٠ .

ذلك في استقرار الدولة العراقية وفاعلية حكومتها<sup>(١)</sup>. ونجد أن الدولة العراقية ضعيفة في توفير بعدين مهمين في عملية بناء الدولة، وهما القدرة على أداء وظائفها الأصلية والقدرة على فرض سلطتها، وإن ذلك يدل على ضعف الدولة العراقية مؤسسياً ووظيفياً.

٢- زيادة قوة الدولة (تفعيل دور القانون): يعد تفعيل دور القانون في العراق آلية مهمة من أجل زيادة قوة الدولة العراقية التي تعد بدورها ضرورة من ضرورات عملية البناء، وأن أهمية هذه الآلية تتأتى من مزمنة ضعف الدولة العراقية مع ضعف حكم القانون وضعف درجة مأسسة السلطة السياسية العراقية بعد (٢٠٠٣). يوضح (ماكس فيبر) عالم الاجتماع الألماني الشهير بأن الدولة القانونية تعني درجة عالية من العقلانية التي تقود الإنسان نحو الوضوح في الوصول إلى هدفه ودرجة عالية من الضمان القانوني الذي بدوره يحتاج إلى درجة عالية من تقسيم العمل. ويصيح اللورد بنغهام مبادئ عديدة تساهم في تفعيل حكم القانون ضمن إطار الدولة وهي كالتالي<sup>(٢)</sup>:

- أن يكون القانون في متناول اليد، أي أن يكون واضحاً وبيناً بحيث يتسنى لجميع المواطنين الاطلاع عليه وفهم فحواه وأن يكفل حماية حقوق الإنسان الأساسية.
- حكم القانون يقضي بأن يكون لكل فرد حق اللجوء إلى المحاكم للفصل في النزاعات وتقرير الحقوق والالتزامات من خلال التقاضي بصورة عادلة.
- تفعيل آليات الرقابة على الوزراء والموظفين التابعين للجهاز التنفيذي ضمن إطار سلطاتهم وصلاحياتهم وعدم الخروج منها وذلك من خلال الاستعانة بالمحاكم القضائية.

(١) د. منذر الشاوي ، فلسفة الدولة ، مصدر سبق ذكره، ص ١١٩ .

(٢) الكسس دي توكفيل، د.ت ، الديمقراطية في أمريكا، ج ١، ترجمة، أمين مرسي قنديل، القاهرة: عالم الكتب ، ص ٢١٨ .

يمكن القول إن عملية بناء الدولة العراقية تتطلب تفعيل حكم القانون من خلال تفعيل هذه المبادئ لأجل زيادة قوة الدولة، وهذا بدوره يتوقف على القوة المادية التي تمتلكها الدولة مقارنة بالقوة التي تمتلكها المكونات المجتمعية العراقية، فينبغي أن تمتلك الدولة جهاز ردع يصل إلى درجة كبيرة من التنظيم، وأيضاً تتطلب هذه الآلية اهتماماً شخصياً من الأفراد بأهمية الالتزام بالقانون<sup>(١)</sup> قد ينظر إلى الوضع الحالي في العراق على أنه وضع تحرري من حكم دكتاتوري، ولكنه في ذات الوقت يعبر عن ضعف مؤسسات الدولة، فالمؤسسة السياسية المركزية التي كانت تمثل السلطة في العراق قد انهارت بعد عام (٢٠٠٣) وبرزت نتيجة ذلك مشكلات عديدة لا بُدَّ من معالجتها وإصلاح البنية التحتية المنهارة من أجل إعادة احتكار الدولة العراقية للقوة والقدرة على ممارسة الإكراه الشرعي، بيد أن إضفاء الطابع الديمقراطي - الانتخابي على العملية السياسية في العراق بعد عام (٢٠٠٣) له أهمية خاصة في ظل التعددية المجتمعية والقومية والدينية والطائفية في العراق، إلا أن الظروف التي حكمت الواقع في العراق وضعف مؤسسات الدولة جعل القوى المجتمعية (الشيعية، السنية، لكردية) تتصارع من أجل زيادة قوتها على حساب الدولة العراقية، الأمر الذي يقودنا إلى إعادة النظر في البديل الديمقراطي بالرغم من أهميته كخطوة أولى في عملية بناء الدولة.

(٢).

٣- سياسة اللامركزية آلية لعملية بناء الدولة العراقية: تأسست الدولة العراقية منذ عام (١٩٢١) كدولة موحدة بسيطة ذات نظام ملكي، واستمر كذلك حتى عام (١٩٥٨)، ليتحول نظامها السياسي إلى جمهوري، ويبقى شكل الدولة موحداً، حتى عام (٢٠٠٣) ليكون شكل الدولة إلى اتحادي وفق قانون إدارة الدولة العراقية

(١) اللورد بنفهام أوف كونهل، حكم القانون، ط١، ترجمة، محمد إبراهيم خليل، السودان: مركز عبد الكريم مير غني الثقافي، ٢٠٠٧، ص ٣٢ .

(٢) سرمد رياض عبد الهادي، النظام الاتحادي في العراق وتقدير تشريع قانون المحافظات التي لم تنظم بأقليم، مجلة جامعة الأنبار، للعلوم القانونية والسياسية، ع٨، العراق، جامعة الأنبار، ٢٠١٣، ص ١٤٣ .

للمرحلة الانتقالية للعام (٢٠٠٤)، ومن ثم في دستور عام (٢٠٠٥) النافذ حالياً. لذا فقد اتخذت الدولة العراقية بآلية اللامركزية الإدارية واللامركزية السياسية في إدارة الدولة، ويمكن توضيح الفرق بينهما كالتالي<sup>(١)</sup>:

- اللامركزية السياسية: تتضمن هذه الآلية لإدارة الدولة صياغة دستور يقوم بتوزيع وظائف وسلطات الدولة بين المركز والأطراف المتمثلة بالأقاليم أو الولايات أو الكانتونات، حيث تمارس هذه الوحدات السياسية سلطتها الداخلية وتنشئ مؤسساتها السياسية لغرض إدارة وحكم ذاتها بشكل مباشر.

- اللامركزية الإدارية: نظام إداري يقوم على أساس توزيع الوظائف بين الحكومة المركزية والوحدات الإدارية المحلية التي تخضع في ممارسة وظائفها الإدارية لإشراف ورقابة الحكومة المركزية.

إن سياسة اللامركزية من السياسات التي تقلل من طغيان الأغلبية على الأقلية، حيث إن الحكومة المركزية تشغل بعدد من الوظائف الأساسية تاركة الوظائف الفرعية للإدارات المحلية أو الأقاليم، ولها أيضاً درجات تتوقف على العلاقة بين الحكام المركزيين وحكام المناطق المحلية، وهذه الدرجات هي الحكم الذاتي والفدرالية. والتي يمكن توضيحها بالتالي:

- الحكم الذاتي: ويقصد به نظام لا مركزي مبني على أساس الاعتراف لإقليم مميز قومياً أو عرقياً ضمن إطار الدولة في إدارة شؤونه تحت إشراف ورقابة السلطة المركزية، وبهذا تعد سياسة الحكم الذاتي آلية استخدمتها الدولة لمعالجة مشكلات داخلية، وفي مقدمتها مشكلة التعدد القومي.

- الفدرالية: تدل الكلمة اللاتينية (Foedus) في أصلها التاريخي على العمل التوافقي الذي تشكل بموجبه مجموعتان أو أكثر كياناً سياسياً مشتركاً. أما

(١) د. عبد الجبار أحمد عبد الله، الفدرالية واللامركزية في العراق، مكتب الأردن والعراق، بغداد، مؤسسة فرديرش ايبيرت، ٢٠١٣، ص ٧-٨.

الدولة الفدرالية فهي دولة واحدة تتضمن كيانات دستورية متعددة لكل منها نظام قانوني خاص بها وتتمتع باستقلال ذاتي وتخضع في مجموعها للدستور الاتحادي باعتباره المنشئ لها والمنظم لبنائها القانوني والسياسي<sup>(١)</sup>. تأسيساً على ذلك نلاحظ في المجتمعات التعددية يتم اللجوء إلى التجربة الفدرالية عندما يدرك النظام القديم عدم قدرته على الاستمرارية، وفي ذات الوقت لا يمكن تحمل انهيار الدولة بشكل تام، في هكذا حال يكون البديل الفدرالي مناسباً لمجتمعات تعاني من توترات وصراعات قومية ودينية وعرقية، وإن التجربة الفدرالية في العراق تعد تمثيلاً للتجربة الفدرالية في القرن الحادي والعشرون، عانت الدولة العراقية بعد العام (٢٠٠٣) وهو بداية تجربتها الديمقراطية من التناقض الكامن في النموذج الديمقراطي، فالقوى السياسية العراقية أغفلت عن ذلك حيث إن الديمقراطية إن لم توجه وتهذب قد تؤدي إلى السير باتجاه نظام استبدادي أسوأ من الوضع الذي كانت عليه قبل الديمقراطية، فتكون الدولة أمام خيارين: أما استبداد فرد على الآخرين أو استبداد الأغلبية على الأقليات<sup>(٢)</sup>.

إن تطبيق الآلية الفدرالية بتحويل الدولة العراقية إلى أقاليم فدرالية مع مراعاة التعددية المجتمعية المميز للمجتمع العراقي تعد ضرورة في عملية بناء الدولة وتطبيق سياسة اللامركزية في أي دولة له مزايا عديدة، لعل أهمها أنها تحقق المشاركة الفعلية في ممارسة الحكم، والمساهمة في عملية صنع القرار من قبل جميع المكونات المجتمعية القومية والدينية، وهي البديل الأنسب للحالة العراقية التي تتميز بالتعددية المجتمعية القومية والدينية<sup>(٣)</sup>.

## الخاتمة

(١) علي جاسم عبد علي، خصائص الدولة الفيدرالية وتطبيقاتها نماذج مختارة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٥٤

(٢) د. عبد الجبار عبد الله أحمد، الفدرالية واللامركزية في العراق، المصدر السابق، ص ١٢.

(٣) علي جاسم عبد علي، خصائص الدولة الفيدرالية وتطبيقاتها نماذج مختارة، المصدر السابق، ص

إن عملية بناء الدولة تتأثر بظروف سياسية وتاريخية وثقافية، وكذلك بنوع الدولة المراد بناؤها، وتأسيساً على ذلك فإننا نرى ضرورة البدء بتقوية سلطة الدول الضعيفة، حيث إن البدء بتقليص مداها قد يقود إلى انهيارها وبروز قوى خارج إطار الدولة، وفي ذات الوقت فإن زيادة قوتها دون أن يصاحب ذلك تقليص لمداها قد يقود إلى استبدالها، والعراق يُعد إحدى الدول التي تضم مجتمعاً متنوعاً وعلى مستويات دينية وقومية وإثنية، في حين ضلت مسألة إدارة هذا التنوع مشكلة يتطلع أصحابها إلى حلول في ظل تعاقب الحكم من الملكية إلى الجمهورية مروراً بعام (٢٠٠٣) الذي شكل تحولاً مهماً نحو الديمقراطية، حيث أُلقت هذه المسألة بتأثيرها على بناء الدولة العراقية، ويعد هذا المتغير متغيراً مستقلاً مؤثراً في هذا البناء الذي أدى إلى انعكاس هذا التنوع والاختلاف على المجال السياسي والمؤسسات السياسية. لذا نجد أن عملية بناء الدولة العراقية تتطلب أن تكون السلطة السياسية على درجة عالية من القوة بحيث تستطيع أن تفرض سيطرتها الشرعية على كل أقاليم الدولة، وهو ما عجزت عنه الدولة العراقية، لذا نجد أن الدولة العراقية عمدت وفي سبيل تقوية سلطتها إلى زيادة مدى وظائفها في الوقت الذي كانت فيه تتميز بضعف قدرتها على القيام بوظائفها الأساسية من حماية حدودها والحفاظ على أمن مواطنيها.

### المقترحات

وفي ختام دراستنا توصلنا إلى المقترحات الآتية:

- ١- العمل على بناء إطار مؤسسي فعال وقادر على استيعاب المكونات المجتمعية ومطالبها شريطة أن لا يكون ذلك على حساب قوة الدولة وسلطتها.
- ٢- تفعيل حكم القانون والمؤسسات الرقابية آلية مهمة تساهم في زيادة قوة الدولة، لذا نرى من الضروري العمل على تعزيز حكم القانون في الدولة ذات التنوع المجتمعي.
- ٣- ينبغي الأخذ بعين الاعتبار التسلسل الزمني في عملية بناء الدولة بالإضافة إلى نوع

- الدولة المراد بناؤها فيما إذا كانت دولة استبدادية أم دولة ضعيفة.
- ٤- إعادة صياغة النظام الانتخابي ليكون أكثر قدرة على الاستجابة لمتطلبات مكونات المجتمع العراقي.
- ٥- تشريع قوانين ذات صلة بمسألة بناء الدولة المتنوعة مجتمعياً، ومنها قوانين لتحسين التجربة الفدرالية (كاستكمال تأسيس المجلس الاتحادي، تشريع قانون المحكمة الاتحادية، تشريع أو تعديل قانون المحكمة الاتحادية).
- ٦- تنظيم عمل المؤسسات غير الرسمية، ومنها الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني عبر إجراء تعديلات على قانون الأحزاب السياسية وتعديل هيكلية دائرة الأحزاب لجعلها أكثر حيادية واستقلالاً.

### المصادر

- ١- د. طعيمة الجرف، نظرية الدولة والمبادئ العامة للأنظمة السياسية ونظم الحكم دراسة مقارنة، ط٤، مصر، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧٣.
- ٢- جاك باغانار، الدولة مغامرة غير أكيدة، ترجمة نور الدين اللباد، ط١، القاهرة، عربية للطباعة، ٢٠٠٢.
- ٣- فيليب برو، علم الاجتماع السياسي، ترجمة صاصيلا محمد، بيروت، المؤسسة الجامعية، ١٩٩٨.
- ٤- هارولد ج. لاسكي، الدولة نظرياً وعلمياً، ط٢، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٢.
- ٥- د. حافظ علوان الدليمي، المدخل إلى علم السياسة، بغداد، جامعة بغداد، المكتبة الوطنية، ١٩٩٩.
- ٦- محمد نسيب أوجون، وأصلان مراد، نظرية و ممارسة بناء الدولة في الشرق

- الأوسط منظور دستوري حول العراق وأفغانستان، ط١، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠١٤.
- ٧- فرنسيس فوكو ياما، بناء الدولة النظام العالمي و مشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين، ط١، ترجمة مجاب الإمام، المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٧.
- ٨- عبد السلام صفور، بناء الدولة الحديثة في الجزائر دراسة تقييمية، أطروحة دكتوراه، الجزائر، كلية الإعلام والعلوم السياسية، ٢٠٠٨.
- ٩- التقرير الأوروبي حول التنمية لعام (٢٠٠٩)، التغلب على الهشاشة في إفريقيا، سان دومينكو دي فيسولي، مركز روبرت شومان للدراسات المتقدمة، المعهد الجامعي الأوروبي.
- ١٠- عبد المجيد وسيم رفعت، العراق الانقلابي، الانقلابات الناجحة والفاشلة في العراق (١٩١٢-٢٠٠٣)، بغداد دار الجواهري، ٢٠١٥.
- ١١- د. منذر الشاوي، فلسفة الدولة، ط٢، بغداد - العراق، الناكرة، ٢٠١٣.
- ١٢- الموند غابرييل وباويل الابن بنكهام، السياسيات المقارنة في وقتنا الحاضر نظرة عالمية، ط١، ترجمة هشام عبد الله، عمان - الأردن، دار الأهلية، ١٩٩٨.
- ١٣- أنتوني غيدنز، علم الاجتماع مع مدخلات عربية، ط٤، ترجمة، دفايز الصايغ، بيروت - عمان، المنظمة العربية للترجمة و مؤسسة ترجمان، ٢٠٠٥.
- ١٤- محمد أمين بن جيلاني، مشكلة بناء الدولة دراسة ايستمولوجية وفق أدبيات السياسة المقارنة، رسالة ماجستير، الجزائر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة ألي بكر بلقايد - تلمسان، ٢٠١٤.
- ١٥- سعد عيسى دهيم، إدارة التنوع وإشكالية بناء الهوية الوطنية دراسة مقارنة (العراق، لبنان، جنوب إفريقيا)، رسالة ماجستير، كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)

- للعلوم الإسلامية الجامعة، قسم العلوم السياسية، النظم السياسية.
- ١٦- وهيب بن أحمد دياب، معجم تاج العروس مطبعة الصباح، دمشق، ط١، ١٩٩٦.
- ١٧- زهراء عبد الأمير الحربي، النظام السياسي وإدارة التنوع في العراق بعد عام (٢٠٠٥)، رسالة ماجستير، العراق، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٢١.
- ١٨- علي نجم عبد الميالي، آليات إدارة التنوع الاجتماعي ودورها في تعزيز السلم الأهلي (العراق ما بعد داعش نموذجاً)، رسالة ماجستير، العراق، معهد العلمين للدراسات العليا، قسم العلوم السياسية، ٢٠٢٠.
- ١٩- ستيفن جروزبي، مقدمة قصيرة جداً عن القومية، ترجمة محمد إبراهيم الجندي و محمد عبد الرحمن إسماعيل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط١، ٢٠١٥.
- ٢٠- كاظم شبيب، المسألة الطائفية تعدد الهويات في الدولة الواحدة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط١ ٢٠١١.
- ٢١- محمد رشيد صبار، نحو خطاب إعلامي عربي لمواجهة الطائفية، مجلة دراسات دولية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد ٦٣، لسنة ٢٠١٥.
- ٢٢- برهان غليون، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، ط٣، ٢٠١٢.
- ٢٣- مثنى أمين قادر، قضايا القوميات وأثرها على العلاقات الدولية القضية الكردية نموذجاً، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، سلیمانیه، ط١، ٢٠٠٣.
- ٢٤- بهاء الدين مكاي، استراتيجيات إدارة التنوع الإثني في السودان، بحث منشور على الرابط الإلكتروني <https://www.researchgate.net/publication>

- ٢٥- بسام بركة وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، ط١، ٢٠١٣.
- ٢٦- موريس دوفرجه، المؤسسات السياسية والقانون الدستوري والأنظمة السياسية الكبرى، ط١، ترجمة سعد جورج، بيروت، المؤسسة الجامعية، ١٩٩٢.
- ٢٧- تشارلز بيللي، الديمقراطية، ط١، ترجمة محمد فاضل طبياخ، بيروت، المنظمة العربية، ٢٠١٠.
- ٢٨- صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده، الموصل، جامعة الموصل، ١٩٨٦.
- ٢٩- صموئيل هنتغتون، النظام السياسي لمجتمعات متغيرة، ط١، ترجمة سمية فلو عبود، بيروت، دار الساقى، ١٩٩٣.
- ٣٠- أحمد شاكر محمود الصبيحي، ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق بعد (٢٠٠٣) دراسة المفهوم والأسباب، مجلة تكريت للعلوم السياسية، ع ١٣، العراق كلية العلوم السياسية، جامعة تكريت، ٢٠١٨.
- ٣١- د. محمود غالب البكاري، دليل المواطن إلى الدولة المدنية، ط١، صنعاء، مؤسسة تمكين للتنمية، ٢٠١١.
- ٣٢- د. عامر حسن فياض و د. إياد العنبر، دولة المواطنة أفكار في إشكالية العلاقة بين الدولة والفرد في العراق المعاصر، مجلة قضايا سياسية، العدد ٤٢، بغداد، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٥.
- ٣٣- شيرزاد أحمد أمين النجار، منظومة المفاهيم عند ديفيد إيستن: دراسة نقدية، مجلة قضايا سياسية، ع ٤١، العراق، جامعة النهرين، ٢٠٠٤.
- ٣٤- د. وليد سالم محمد، مؤسسة السلطة وبناء الدولة الأمة دراسة حالة العراق، ط١، عمان -الأردن، مؤسسة أكاديميون، ٢٠١٤.

- ٣٥- رعد عبد الجليل، مفهوم السلطة السياسية: مساهمة في دراسة النظرية السياسية، مجلة دراسات دولية، ع ٣٧، بغداد، جامعة بغداد، ٢٠٠٨.
- ٣٦- د. وسام حسين علي، التحديث والاستقرار في النظام السياسي العراقي بعد عام (٢٠٠٣)، ط ١، برلين- ألمانيا، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ٢٠١٨.
- ٣٧- الكسس دي توكفيل، دت، الديمقراطية في أمريكا، ج ١، ترجمة، أمين مرسي قنديل، القاهرة: عالم الكتب.
- ٣٨- اللورد بنغهام أوف كونهل، حكم القانون، ط ١، ترجمة، محمد إبراهيم خليل، السودان: مركز عبد الكريم مير غني الثقافي، ٢٠٠٧.
- ٣٩- سرمد رياض عبد الهادي، انظام الاتحادي في العراق وتقدير تشريع قانون المحافظات التي لم تنظم بأقليم، مجلة جامعة الأنبار، للعلوم القانونية والسياسية، ع ٨، العراق، جامعة الأنبار، ٢٠١٣.
- ٤٠- د. عبد الجبار أحمد عبد الله، الفدرالية واللامركزية في العراق، مكتب الأردن والعراق، بغداد، مؤسسة فردرش إيبيرت، ٢٠١٣.
- ٤١- علي جاسم عبد علي، خصائص الدولة الفيدرالية وتطبيقاتها نماذج مختارة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد، ٢٠٠٩.





السلام العادل والتنمية المستدامة: كلمة السيد عمار الحكيم  
في مؤتمر البابطين(\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه  
المنتجبين..

السادة والسيدات الحضور..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

يسعدني مشاركتكم في المنتدى العالمي الثالث لثقافة السلام من أرض  
الكنانة.. أرض العروبة والسلام.. جمهورية مصر العربية.. الدولة الشقيقة والعزيرة  
على قلوب العراقيين جميعاً..

آملين أن تثمر مخرجات هذا المنتدى الرصين لمؤسسة الراحل الكبير الشيخ  
عبد العزيز سعود البابطين الثقافية.. ما فيه خير شعوبنا في المنطقة والعالم.

هي فرصة ثمينة نستذكر فيها الشخصية العربية الفذة التي تركت بصمة مهمة  
في ميدان الثقافة والأدب العربي وشيدت منظومة واسعة من العلاقات العربية  
والإسلامية والدولية.

وكم نفتقد الأخ العزيز الشيخ المكرم عبد العزيز البابطين في هذا الجمع

---

(\*) نص كلمة السيد الحكيم في المنتدى العالمي الثالث لثقافة السلام العادل القاهرة - جمهورية  
مصر العربية ٢٠٢٤/٢/٢٠م

الكريم ولنا بوجود نجله النبيل الأستاذ سعود عبد العزيز البابطين سلوان بفقده راجين له التوفيق في مواصلة الطريق والحفاظ على الإرث الكبير الذي خلفه فقيدنا العزيز .

السلام ليس غياباً للحرب والنزاع فحسب، بل هو حالة الأمان والاستقرار التي تبدأ من العلاقات الشخصية، والاجتماعية وتمتد إلى الآفاق الدولية الأوسع.

والسلام في أهم مصاديقه يعني الحفاظ على كرامة الإنسان، والعيش بسلام مع الآخرين، وتعزيز التفاهم والتعايش بين مختلف الثقافات والديانات.

إن الحديث عن ثقافة السلام يتطلب أولاً استحضار الأركان الأساسية وتفعيلها للتحقيق هذا السلام..

فلا يمكن الحديث عن السلام من دون إرادة حقيقية تؤكد الحاجة للسلام..

ولا يمكن تطبيق هذه الإرادة من دون قدرة فعلية لصناعة هذا السلام..

وصناعة السلام هي الأخرى.. لايمكنها انتاج سلام دائم من دون آليات جدية

لحفظ هذا السلام..

هذه الأركان الثلاثة للتحقيق السلام من (الحاجة الفعلية والقدرة على صناعة السلام.. وآليات الحفاظ عليه وديمومته).. لايمكن اكتمالها من دون عملية تنموية لبناء السلام واستدامته بشكلٍ عمليٍ وفاعلٍ ومناسب، ... فالسلام الدائم هو ما ترتضيه الأجيال القادمة لتكون الضامنة في إدامته وحفظه.

والسلام العادل يتضمن حماية حقوق الإنسان، وضمان الحريات الأساسية للجميع.

وهو يشمل الحق في الحياة، والحرية، والسعي نحو السعادة والعيش الكريم.

وباختصار، فالسلام العادل كما نراه، هو أبعد وأوسع من غياب الصراعات؛ إنه

يعكس حالة من العيش المتوازن المستقر الذي يقوم على أسس العدل، والإحسان، والتسامح، واحترام حقوق الإنسان.

نحن اليوم بأمس الحاجة لتعزيز مبادئ السلام وتطبيق أركانه الفعلية في منطقتنا وفي العالم من خلال تعزيز فرص التنمية الشاملة وتحقيق أركانها.. فالسلام هو مفتاح التنمية الحقيقي لشعوبنا و دولنا والعكس صحيح..

ولا يمكن فصل التنمية عن السلام.. فهناك علاقة متشابكة بين المفهومين.. فإذا أردنا تنمية شاملةً في بناء الإنسان والمجتمع والأسرة والحكومات.. مروراً بجميع القطاعات الاقتصادية والسياسية والبيئية..

فلا بد من إرساء السلام وتطبيقه أولاً.. والتنمية تعكس مجموعةً متكاملةً من القيم الاجتماعية والسياسية.. تتمثل مجتمعة في إقرار وترسيخ ثقافة السلام.

وإن الزيادة السكانية التي يشهدها العالم اليوم ومنطقتنا العربية والإسلامية بالأخص.. تجعل من التنمية مطلباً وجودياً أكثر منه مفهوماً وثقافةً..

كما أن التحديات الديموغرافية والبيئية هي عوامل لا يمكن تجاهلها، حيث إن النمو السكاني السريع، والهجرة، وندرة المياه، وتغيرات المناخ، باتت أموراً جوهرية وأساسية تحتاج إلى معالجة عاجلة لضمان مستقبل السلام.

فلا بديل اليوم غير الإسراع في عجلة التنمية الشاملة ومكافحة العوائق التي تحول دون تحقيق تلك التنمية المرجوة.

إن الشباب لا يمثلون مستقبل أمتنا فحسب، بل هم الحاضر الفاعل والمؤثر في بناء عالمٍ أكثر سلاماً وازدهاراً.

والشباب أكثر من يصلح لتعزيز جسور التواصل بين الثقافات والأديان والحضارات. من خلال التعليم والتبادل الثقافي، وأكثر من يمكنهم لعب دور محوري في تعزيز التفاهم والتعايش بين المجتمعات المختلفة.

إن الاستثمار في الشباب وتمكينهم يعني بناء أساس متين لعالم أكثر سلاماً وتناغماً. دعونا نعمل معاً لتوفير الفرص والموارد التي يحتاجها شبابنا ليكونوا قادة

السلام في اليوم والغد.

لاسيادة ولاحرية ولا استقلال في القرار السياسي وفي الصناعة والزراعة وسائر القطاعات في دولنا العربية والإسلامية.. ما لم تكن هناك تنمية شاملة وحقيقة في مجتمعاتنا وبلداننا.

ومن الأمثلة البارزة على التنمية المستدامة في الوطن العربي هي "مشروع العاصمة الإدارية الجديدة" في مصر، الذي يعد مثلاً على الجهود الكبرى نحو تحقيق التنمية المستدامة وتعزيز السلام وفق خطة محترفة لتخفيف الضغط عن القاهرة التي تعاني من الازدحام الشديد والتداعيات البيئية، فجاءت رؤية تصميم المدينة بطريقة تضمن الكفاءة في استخدام الموارد، مثل إعادة استخدام المياه والطاقة الشمسية بنحو أمثل.

وهناك عدد من المشاريع العربية، تعتبر مثلاً ممتازاً في التنمية المستدامة منها:

- مشاريع الكويت في مجال الطاقة المتجددة والبنى التحتية كمشروع مدينة الحرير الذي يهدف إلى تقليل الاعتماد على النفط وتحسين جودة الحياة للسكان.
- مشاريع قطر في أضافة الفعاليات الرياضية الكبرى مدخلاً لتعزيز التنمية المستدامة.
- مشروع الديسي لنقل المياه في الأردن .
- ومشاريع طاقة الرياح والشمس في المغرب .
- ومدينة مصدر في الإمارات العربية المتحدة.
- ورؤية (٢٠٣٠) في المملكة العربية السعودية.
- وميناء الفاو الكبير وطريق التنمية في العراق.

وفي هذا السياق الحيوي نرى من الضروري أن تتسم العملية التنموية في بلداننا

بالمبادئ الثلاثة الآتية:

**أولاً/** أن تكون متجهة نحو تلبية الاحتياجات غير المادية، وأن لا تقتصر على المفهوم المادي.. فالفقر اليوم لا يعني احتياج الإنسان إلى الغذاء والدواء فقط.. بل الفقر الحقيقي هو فقر المنظومة التعليمية والقيمية والأخلاقية.. وأبرز ما يهدد شعوبنا هي تلك الثقافات المنحرفة والدخيلة على قيمنا العربية والإسلامية.

**ثانياً/** أن تنطلق التنمية من داخل المجتمع نفسه.. معتمدة على موارده البشرية والطبيعية والثقافية.. فأهل مكة أدرى بشعابها.. ولانريد غطاءات ومبررات تتيح للآخرين التدخل بشؤوننا باسم التنمية، لأغراض وأهداف فرعية ودخيلة.

**ثالثاً/** أن تكون التنمية مستندة إلى تحولات بنوية في الاقتصاد والمجتمع والبيئة الإقليمية والدولية.. حتى تكون تنمية جذرية وشاملة وحقيقية.. فمن الصعب أن تنفرد دولة ما بالتنمية وهي ضمن محيط إقليمي مضطرب غير مستقر.. ومن المستحيل أن نتكلم عن التنمية تحت أزيز الرصاص وطبول الحرب وآثارها المدمرة الفادحة.

وتحقيق ذلك يتطلب أولاً تشخيص الكوابح التي تقف عائقاً دون الوصول إلى مشارف التنمية وتحقيقها.. فالضعف والقصور في القطاع التعليمي، وهشاشة النظام الإداري والمصرفي وتصادد حالات العنف المجتمعي وإهمال الاتفاقيات التطويرية والاستثمارية بين الدول والمؤسسات.. وعدم الاستقرار في المنظومة الإقليمية سياسياً وأمنياً واقتصادياً.. تعد من الكوابح الأساسية التي تمنع استمرار عجلة التنمية في بلداننا.

إننا في العراق عانينا كثيراً من آثار توقف عجلة التنمية.. وما زلنا نعاني بعض آثارها بالرغم من الخطوات الكبيرة التي تحققت طيلة العقدين الماضيين، وما تحقق في حكومة الأخ السوداني بشكل خاص.

فالحروب وسنوات الحصار.. ثم ثقافة التطرف والتكفير والعنف.. كانت عوائق أمام نهوض العراق.. واليوم بحمد لله وتوفيقه وبارادة العراقيين وقواهم

السياسية الوطنية ومرجعياتهم الرشيدة استطعنا تجاوز تلك العوائق وآثارها المدمرة على الانسان والمجتمع إلى حد كبير .

فعراق اليوم يختلف عن أمسه وماضيه.. وهو في طريقة نحو الريادة في مجالات حيوية واستراتيجية بإذنه تعالى.

لقد استطاع العراق أن يكسر شوكة الإرهاب والتطرف.. واستطاع توحيد مكوناته في إدارة عملية سياسية ديمقراطية ناجحة.. فالديمقراطية تقع في صميم التنمية.. ولايصح الحديث عن تنمية بلا نظامٍ ديمقراطي يقوم على التداول السلمي للسلطة.

كما استطاع العراق أن يعيد جزءاً كبيراً من إمكانياته الذاتية في المجال الاقتصادي والأمن الغذائي والكثير من الاحتياجات الأساسية.. وهو في طريقه لتحقيق قفزات كبيرة في مجال الاستثمار والتنمية الصناعية عبر توفير البنى التحتية المطلوبة لذلك..

وقد نجح العراق أيضاً في النأي بنفسه من الدخول في اصطفاقاتٍ إقليمية ودولية من خلال اعتماده سياسة الحياد الإيجابي دون المساس بقيم الأمة العربية والإسلامية وثوابتها الدينية والأخلاقية الأصيلة.

لكننا اليوم نواجه تحدياً كبيراً.. وهو أمر تشترك فيه جميع دولنا العربية والإسلامية.. هو تهديد أمن منطقتنا وزعزعة السلام فيها بعدما حققت من نجاحاتٍ كبيرةٍ في عودة المياه إلى مجاريها الطبيعية.

### الحضور الكريم..

نحن اليوم مجتمعون لمناقشة واحدةٍ من أكثر القضايا إلحاحاً في عالمنا العربي في مواجهة تحديات السلام.

ففي قلب هذه التحديات، تحتم النزاعات الداخلية والإقليمية. وقد شهدنا، للأسف،

كيف يمكن للحروب الأهلية والصراعات الطائفية أن تدمر مجتمعاتنا من الداخل، وكيف تعمل النزاعات الإقليمية على إضعاف علاقاتنا مع جيراننا.

وما زال التطرف والإرهاب يواصلان تقويض جهودنا نحو السلام، ولا يمكننا التغاضي عن الحاجة إلى مواجهة هذه التحديات بشكل جذري وشامل.

إن ما يتعرض له شعبنا الفلسطيني في غزة والضفة والمدن الفلسطينية الأخرى من إبادة جماعية تحت مبرراتٍ غير منطقية من قبل الكيان الصهيوني وتحت صمت دولي مريب.. تعد من أبرز التحديات التي تواجه إرساء ثقافة السلام ودفع عجلة التنمية في المنطقة.

نقدر الجهود الكبيرة التي تبذل من قبل جمهورية مصر العربية ولاسيما ما يقوم به الرئيس السيسي وما تسعى إليه العديد من دول المنطقة والعراق بشكل خاص للوصول إلى حل جذري لإيقاف هذه المأساة الإنسانية وإيجاد حل عادل يحقق كرامة الفلسطينيين وحقهم الطبيعي على أرضهم المحتلة..

إذ لا يمكن أن نتخيل وجود تنمية حقيقية.. ووجود سلام دائم بوجود أراضٍ محتلة وحقوق مسلوقة.. وسياسات تدميرية ودموية تؤثر على أمن شعوبنا و دولنا.

القضية الفلسطينية ليست شعاراً سياسياً وإنما هي قضية تمس كرامة المواطن العربي والمسلم.. ولا يمكن التغاضي عنها أو تعويمها بأساليب وجهود بعيدة عن معنى الكرامة والإنسانية.

إنني أدعو ومن خلال هذا المنتدى الدولي إلى اعتبار التنمية المستدامة والمستندة إلى سلام حقيقي ودائم في منطقتنا العربية والإسلامية.. هي القضية الأولى لدى دولنا وحكوماتها ومجالسها التشريعية.. كلاً بحسب نظامه السياسي وبيئته و أولوياته.

وأن نشهد خطوات عملية ذات أولوية في نتائج الاجتماعات الدورية لجامعة الدول

العربية والمنظمات العربية والإسلامية.. لتكون تلك التنمية ضمن مشروع القرارات الإقليمية وقوانين التنفيذ المحلية في مسار تأمين مستقبل أجيالنا وحفظ مصالحهم وفرصهم في حياة حرة كريمة.

إن الطريق نحو السلام ليس سهلاً، ولكنه ضروري. يتطلب منا جميعاً - حكومات، وبرلمانات ومؤسسات، وأفراداً - التزاماً جاداً وعملاً متواصلًا. ونحن على ثقة بجهودنا المشتركة، في السعي إلى تحقيق السلام المنشود في عالمنا العربي وفي العالم.

حمى لله شعوبنا العربية والإسلامية من كل سوء ومكروه..

وحمى لله شبابنا العربي والإسلامي من أنياب الثقافات الدخيلة وظواهرها الأخلاقية المشؤومة..

إنه سميع مجيب الدعوات.. والسلام عليكم ورحمة لله وبركاته.

## عرض كتاب

صدر حديثاً كتاب:

**"الأغبياء لا يدخلون الجنة" للدكتور (حازم دوس العتابي) استشاري تنمية بشرية وصناعة قادة ومفكر وكاتب وباحث تاريخي وإسلامي.**

يقدم الكاتب فيه رؤية مميزة لمعيار الذكاء والغباء لدى الإنسان، فالصورة النمطية السائدة لدى الناس أن الذكاء سمة للمتفوقين في المجالات العلمية والأدبية والاقتصادية، فحتى من لا يملك تحصيلاً جامعياً ولكنه استطاع تكوين ثروة مالية كبيرة، يعد في عرف الناس يمتلك ذكاءً عالياً.

لذا يبدأ الكاتب مقدمته بطرح سؤال مهم:

من هم الأغبياء حقاً؟!!

ليشير لدى القارئ فضول معرفة السر وراء هذا التساؤل، وهل هناك جواب آخر غير ما انطبع لدينا عن مفهوم الذكاء والغباء؟!!

ثم يسترسل الكاتب في بيان فكرته، بأن معيار الذكاء ليس في القدرة على حل المسائل الرياضية أو حفظ المصطلحات العلمية الصعبة فذلك حتماً ذكاء رياضي فقط، ولكن الذكاء بمعناه الأوسع هو أن يستطيع الإنسان تحقيق النجاح في هذه الحياة بما يضمن له النجاح في الآخرة. وبما أن نجاح الإنسان في سعيه وتحقيق أهدافه مبني بالدرجة الأولى على أفكاره وكيفية استنباطها وتمييز الغث من السمين فيها، لذا فإن الكاتب يفتح للقارئ نافذة مضيئة على طريق ملهم لالتقاط الأفكار واستلهاهم

العبر وتبني الرؤى الصالحة، وهذا الطريق هو طريق التفكير والتدبر، ليس التفكير في آيات القرآن فقط، لكن من تمام العقل أن نجد في كل ما حولنا من شؤون الحياة وأحداثها وعلاقاتنا وما يجري لنا فرصة للتفكير وأخذ العبرة والفائدة.

ثم يسترسل الكاتب في طرح رؤيته، فيبين أن رياضة التفكير الملهمة للإنسان لا تستلزم الخلوة في كهف أو الانزواء في زاوية مظلمة مع البخور، بل إن الحركة والعمل والاختلاط مع الناس والاطلاع على الأحداث هي الحافز لتفجير الطاقات الفكرية والإبداعية لدى الإنسان، فهذا (أرسطو) الفيلسوف الشهير كان يلقي أعظم الحكم والمواعظ على تلاميذه أثناء مشيه، فأصبح مؤسس مدرسة الفلسفة المشائية.

ويحتوي الكتاب على ثلاثة فصول، كل فصل يتضمن خواطر وأفكاراً قصيرة ولكنها ثرية المعنى مما يشد القارئ للأفكار المتنوعة التي يطرحها الكاتب والتناول الجديد للمواضيع والأحداث والنظر لها بمنظار جديد يغير نظرتنا المعتادة ويشير فينا زوبعة التفكير ومهارة اقتناص العبر.

❖ الفصل الأول (سياحة تنموية): ويتضمن طرح الأفكار والرؤى أثناء سياحته في البلدان أو إقامته في العراق، فهو يرى أن سياحة الأبدان لا بُدَّ أن ترافقها سياحة تنموية وفكرية، ويقدم في بداية الفصل نصائح مميزة للجمع بين السياحتين، كذلك يقدم الكاتب نبذة مختصرة عن كل بلد زاره وأهم ما يميز ذلك البلد تاريخياً واقتصادياً واجتماعياً.

❖ الفصل الثاني (علمني كورونا): بالرغم من أن الجائحة انتهت لكن العبر والأفكار التي استلهمها الكاتب تعد دليل إرشاد نافعا في كل الأوقات في كيفية الاستفادة من الأزمات الفردية والعالمية البسيطة والعظيمة، وفي كيفية تعديل نمط حياتنا بما يقربنا إلى الله.

❖ الفصل الثالث (ومضات تنموية): وهذا الفصل عبارة عن إضاءات قصيرة ومختصرة

ولكنها ثرية المعنى وعميقة المغزى تتناول مواضيع شتى، يركز فيها الكاتب عدسة أفكاره على ما يهم المجتمع ليقدم لهم لؤلؤة العبرة والنصيحة والحل الناجع.

سيجد القارئ في هذا الكتاب سياحة فكرية ممتعة ومفيدة وملهمة، ومنهجاً لاستنباط الأفكار، واستثماراً لقوة العقل الجبارة التي وهبنا الله إياها، هو بمثابة دليل إرشادي لكيفية الدخول إلى الجنة، جنة الدنيا وجنة الآخرة. مستلهماً الكاتب فكرة الكتاب من الآية القرآنية الشريفة:

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾  
(الأنعام/١٠٤).

فالعقل موجود والبصائر التي هي الدلائل التي تقود العقل لدخول الجنة موجودة أيضاً، والغبي من لا يأخذ بها. لذا فإن الأغبياء حتماً لا يدخلون الجنة.

## ملاحظة الابداع: الأخلاق والابتكار بوصلة التربية لقادة عام ٢٠٤٠

### الدكتور سمير الغراوي

صدر حديثاً كتاب ملاحظة الابداع: الأخلاق والابتكار بوصلة التربية لقادة عام ٢٠٤٠ للدكتور سمير الغراوي. ينطلق المؤلف من تأثيرات العصر الذهبي للتكنولوجيا، إذ تتقدم خطى الذكاء الاصطناعي بثبات نحو أفق غير معروف، نجد أنفسنا في مواجهة تحديات غير مسبوقة. في عالم يعصف فيه الذكاء الاصطناعي بالمعايير المألوفة.

بحلول العام ٢٠٤٠، قد يصبح صوت نقرات المفاتيح وهمس الأقلام أمراً نادراً، المترجمون والمدققون اللغويون قد يجدون أنفسهم في سباق مع الأنظمة الذكية التي

تعد بدقة وفورية لم يتم تخيلها من قبل السكرتارية، التي كانت يوماً رمزاً للمكاتب، قد تختفي تحت وطأة المساعدين الافتراضيين الذكيين.

مع توقع استبدال حوالي ٨٠٪ من وظائف القيادة بالسيارات الذاتية، نجد أن التحديات تمتد أبعد من ذلك، مئات الوظائف سيتم تسريح الموظفين العاملين فيها واستبدالهم بتكنولوجيا جديدة ومع كل هذه التحولات، يأتي دورنا بالاجابة عن السؤال التالي ؟ كيف نستعد لهذا المستقبل الغامض والمتقلب؟ هذا الكتاب لا يقدم فقط رؤية لما قد يأتي، ولكنه يمد يده لسحبنا من التيار السريع للتغيرات، وتوجيهنا نحو الاستعداد الفعال.

للآباء والمعلمين وصانعي القرار: هذه هي فرصتكم لتحديد مستقبل أجيال جديدة، وضمان تأهيل أبنائكم للتنافس في سوق عمل مليء بالتغيرات والتحديات. فالاستعداد اليوم يعني النجاح غداً في عالم يتسم بكل ما هو متغير. الأمر ليس فقط عن كيفية البقاء على قيد الحياة في هذه الثورة التكنولوجية ولكن كيفية الازدهار والتفوق فيها.

هذا الكتاب ليس مجرد تأملات في المستقبل، بل هو إشارة تحذيرية للتهيؤ. يعرض لنا واقعاً قد يكون صادمًا للبعض، لكنه، في الوقت نفسه، يوفر خارطة طريق للتكيف والاستعداد. في هذا الكتاب سنأخذ جولة في أنظمة التعليم في دول العالم المتقدم ودول الجوار والدول ذات النماذج التربوية والتعليمية المحترفة، والتي تمثل قصص نجاح يمكن للعاملين في مجال التربية والتعليم في العراق الاطلاع عليها والتعلم منها وشق الطريق العراقي لنموذج جديد يستحق أن يرفع باسم العراق، يفخر بتاريخه ويتطلع لمستقبل يليق به.

تكمن الأهمية إلى كون الكتاب يبحث في «مناهج التعليم الحديثة» ويطرح منهاجاً مبنياً على التماسك والتكامل ما بين الدين والعادات والتقاليد الاجتماعية المؤثرة في المجتمع وحرية بتفاعله مع أنظمة التعليم الحديثة القادرة على

تربية جيل أقوى قادر على القيادة والمنافسة والإبداع والتقدم.

تم دراسة أنجح التجارب التي تستحق الدراسة لتقارب تحليل المجتمع والمشاكل ونوع الفرص ونقاط القوة تجربة في هذا المجال التربوي والتعليمي، خاصة تلك التي استطاعت خلال فترة وجيزة أن تحقق قفزات هائلة في تطوير التعليم والتقدم التقني، إضافة إلى أن كتابنا يحاول توضيح كيفية الاستفادة من التجارب العالمية للمدارس في مجال تطبيقات مناهج التعليم الحديثة» لتطوير التعليم في العراق.

ومن سيخوض في صفحات الكتاب من القادة في مجال التربية والتعليم، وقادة المجتمع وأولياء الأمور سيجدون الكثير مما جادت علينا به إمكانيات الاطلاع المباشرة على التجارب الدولية في مجال التربية والتعليم، والعديد من الأفكار والتوجهات والرؤى في كتابنا هذا يمكن ان تكون أساسيات البناء لنظام تربوي وتعليمي حديث يليق بالمتصدين، ويضمن للأجيال القادمة حياة كريمة ملؤها الإبداع والاحتراف والأخلاق الحميدة.



## مؤتمر الآفاق المستقبلية لأتباع أهل البيت (عليه السلام)

### الشيعة ومشكلة الهوية والولاء

#### د.صلاح الفضلي(\*)

مشكلة الولاء من المشاكل العويصة التي تواجه الأقليات في المجتمعات كلها، ويتعدّد الأمر أكثر إذا ارتبطت مسألة الولاء بأسس عقائدية، كما هو الحال مع الشيعة في المجتمعات التي يكونون فيها أقلية. هذه الحالة لا تختص بدولة بذاتها، بل تشمل تقريباً جميع المجتمعات التي يكون فيها الشيعة أقلية، والأمثلة الصارخة على ذلك هي البحرين والمنطقة الشرقية في السعودية واليمن ولبنان ونيجيريا، وهي الدول التي تتواجد فيها نسبة كبيرة من الشيعة، حيث يُنظر إلى الشيعة على الدوام على أن ولاءهم للخارج، وليس لأوطانهم، وخاصة في أوقات الحروب أو الأزمات.

من الأمثلة الصارخة على اتهام الشيعة بالولاء للخارج ما حصل في البحرين عام ٢٠١١. فرغم أن المطالبات بالإصلاح السياسي شملت العديد من الدول العربية مثل مصر وسوريا وليبيا والمغرب وتونس والسودان والمغرب في إطار موجة ما سُمي حينها بالربيع العربي، إلا أنه لم يتم اتهام أيّاً منها بالطائفية أو الولاء للخارج، ولكن عندما حصلت مطالبات مشابهة في البحرين تم اتهامها بالطائفية على الفور، لكون غالبية

---

(\*) د.صلاح الفضلي/ باحث وأكاديمي كويتي.

المتظاهرين كانوا من الشيعة، وهو أمر يُفترض أن يكون بديهياً، لكون الشيعة يشكلون أغلبية في البحرين؛ ولأنهم كانوا يعانون من التمييز على أساس طائفي.

كما أن تهمة الولاء والتبعية لإيران تواجه كل الأقليات الشيعية في الدول العربية والإسلامية، وبالأخص شيعة لبنان، وكذلك الأقلية الزيدية في اليمن، وبالتأكيد يشمل ذلك الشيعة الموجودين في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية. كل هؤلاء يصنفون على أنهم من أتباع إيران، ويُنظر إليهم على أنهم يقدمون مصلحة إيران على مصالح بلادهم.

إذا كان من المعقول اتهام الأقلية بأن ولاءها للخارج بزعم حاجتها للاستقواء، لكن يبدو غريباً اتهام الأغلبية بأن ولاءها للخارج، والأغرب منه اتهام الأغلبية التي هي في الحكم بالتهمة نفسها، كما هو الحال في وضع الشيعة في العراق بالقول بأن ولاءهم لإيران. توجيه أصابع الاتهام التلقائي للشيعة بأن ولاءهم للخارج يدل على قناعة راسخة تمت عن طريق برمجة ذهنية مكثفة لفترة طويلة، لتجعلها من المسلمات التي لا تقبل النقاش لدى عامة الناس.

كان للخطاب الإعلامي المكثف من قبل الدول العربية عموماً، والدول الخليجية بالخصوص دور في ترسيخ تلك القناعة في أذهان العامة. ولعل صراع المحاور المحتدم بين دول الخليج من جهة وإيران من جهة أخرى ساهم كثيراً في توظيف الخطاب الإعلامي لخدمة هذا الصراع. كما أن بعض التصريحات التي تصدر من بعض قادة الدول العربية التي تحذر من "خطر الشيعة" وتكرار الحديث عن "هلال شيعي" يمتد من إيران إلى لبنان، والادعاء بأن إيران تحتل خمس عواصم عربية حفز التوجس الموجود في النفوس. كل ذلك يضاف إلى أرث تاريخي ثقيل محمل بسوء الفهم وعدم الثقة. وبدلاً من أن ينحصر هذا الصراع في إطار سياسي تم توظيفه ليصبح صراعاً طائفيّاً مدمراً.

أما في الدول التي يمثل فيها الشيعة نسبة قليلة جداً مثل مصر، أو سوريا، أو

المغرب، أو الجزائر، فإن هذه الفئة لا تعلن من الأساس عن توجهها العقائدي خوفاً من الاضطهاد، بل تكتفي بممارسة شعائرها الدينية بصورة سرية، وخصوصاً أن لدى مجتمعات الأكثرية السنية حساسية كبيرة من مسألة تشييع السنة، ولنا في حادثة قتل الشيخ حسن شحاتة في مصر، وسحله في الشوارع لاتهامه بمحاولة نشر التشيع وسب الصحابة وأمّهات المؤمنين مثال على ذلك.

### إشكالية الهوية

الهوية عبارة عن مجموعة من الخصائص المشتركة التي تميز بين مجموعة بشرية عن بقية المجموعات، أو مجتمع عن بقية المجتمعات، أو أمة عن بقية الأمم. وتلك الخصائص تشمل اللغة والدين والعادات والتقاليد الاجتماعية والقيم الأخلاقية التي تتبناها تلك المجموعة أو ذلك المجتمع أو تلك الأمة. الشعب الألماني، على سبيل المثال، له ثقافة مختلفة عن الشعب البريطاني رغم أنهما يشتركان في الدين، كما أن الشعب المصري له هوية تختلف عن هوية الشعب السوري، رغم أنهما يشتركان بالدين والطائفة واللغة، وكذلك الحال مع الشعب الكويتي الذي يختلف عن الشعب السعودي في بعض الخصوصيات، رغم أنهما يشتركان في الكثير من الجوانب. بل حتى داخل المجتمع الواحد نجد هناك هويات مختلفة في اللهجة أو في طريقة اللبس أو في العادات والتقاليد الاجتماعية، وكما يقول معلوف فإن هويتي هي ما يجعلني غير متماثل مع أي شخص آخر<sup>١٤</sup> (إيميل معلوف، الهويات القاتلة، ص ١٤). وإذا كانت هناك عدة عوامل تحدد هوية الفرد أو المجتمع فإن هذه العوامل ليست متساوية من حيث التأثير في تشكيل هوية الفرد، فالدين يمثل عند أغلب الناس العامل الأهم في الهوية، فالمسلم على سبيل المثال يتعاطف في الغالب مع المسلم الأمريكي أكثر من تعاطفه مع العربي المسيحي.

من خلال هذه الخصائص المشتركة بين أفراد مجموعة ما، يصبح الفرد مجرد عضو في هذه المجموعة، ومن ثم يتحمل تبعات انتمائه هذا شاء أم أبى. وعلى هذا الأساس يبدأ الفرد بالتعامل مع الآخرين من هنا المنطلق، كما أن الآخرين يتعاملون

معه كذلك على أنه يحمل صفات وخصائص المجموعة نفسها التي ينتمي إليها. ومع مرور الوقت وبصورة تلقائية، يصبح هذا الفرد المنتمي إلى المجموعة يرى أن بقية أعضاء مجموعته أقرب إليه من أعضاء المجموعات الأخرى، وتبدأ تصرفاته ومواقفه وسلوكياته تتأثر بهذا الانتماء، فهو يتعاطف مع ما يحدث لعضو أو جماعة من مجموعته، حتى لو كانوا في بلد بعيد عنه؛ لأنه يعتبر أنهم جزءاً منه.

الإنسان بطبعه يحب تمييز الأشياء أو البشر وتصنيفهما، لأن عملية التصنيف أسهل في التعامل مع الناس، فبدلاً من أن يتعامل الإنسان مع عشرات الالاف من البشر، فإنه يقوم بتصنيف هذا الجمع الكبير إلى مجموعات عدة، تحمل كل منها صفات معينة، وبمجرد أن يجد شخصاً ينتمي إلى إحدى المجموعات، فإنه يقوم بشكل تلقائي بإسقاط جميع صفات تلك المجموعة عليه. على سبيل المثال، فلو أن شخص صنف الشعب الهندي على أنه شعب كثير الكلام، كسول، وذو مستوى ذكاء متدني، فإنه بمجرد أن يرى هندي يتوقع فيه أن تكون لديه جميع هذه الصفات التي وضعها في ذهنه عن الشعب الهندي.

تصنيف الناس إلى مجموعات هو أحد الانحيازات الذهنية الموجودة لدى الإنسان، ويسمى "تحيز التمييز"، بحيث يكون لكل أفراد المجموعة صفات مشتركة، مثل الذكاء، أو الغباء، أو البخل، أو الجبن، أو الاحتيال وغيرها من الصفات. وحسب ما تقول نظرية "الهوية الاجتماعية" فإن الانتماء لمجموعة ما يدفع الأفراد المنتمين لتلك المجموعة إلى تفضيل أفراد تلك المجموعة على أفراد بقية المجموعات. ومن خلال هذا التمايز بين المجموعات تتشكل هوية مجتمعية لكل مجموعة. وإذا تعرضت مجموعة ما لخطر من إحدى المجموعات الأخرى فإن ذلك الانتماء يتحول إلى تعصب أعمى للمجموعة من قبل أفرادها، ويتحول إلى كره أعمى لأفراد المجموعة المنافسة.

لم يعارض الدين الإسلامي ذلك النوع من الانتماء من حيث المبدأ، بل شجع عليه في العديد من النصوص الدينية، مثل قوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾

(سورة التوبة، الآية ٧١)، وكما ورد في الحديث الشريف: "المسلم أخو المسلم، لا يسلمه ولا يظلمه"، أي أن النصوص الإسلامية شجعت أن يكون للمؤمنين أو المسلمين مجموعة متميزة متكاتفه فيما بينها.

الدين لا ينظر إلى الميل القلبي بحد ذاته على أنه من العصبية، وإنما يعتبره أمراً فطرياً جُبلت عليه النفس البشرية، وفي هذا يقول الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): "ليس من العصبية أن يحب المرء قومه، ولكن العصبية أن يرى شرار قومه خير من خيار قوم آخرين". قد يقول قائل، إن الحس الأخلاقي السليم يقتضي أن يتفاعل الإنسان مع كل ظلم يقع على أي إنسان في العالم دون تمييز، لا أن يقتصر تفاعله على من يشتركون معه في الهوية. هذا الكلام صحيح بالعموم، ولكنه لا يعني أن يتأثر الإنسان فيما يقع من ظلم على القريب والبعيد بنفس المقدار، فالتفاوت في التأثير أمر فطري لا مناص منه، وهو جزء من طبيعة الإنسان. ومن ثم فالانتماء إلى مجموعة ما يعني تلقائياً أن يتأثر الإنسان بما يجري لها بشكل أكبر.

كون هوية الفرد، أو المجموعة، أو المجتمع، أو الأمة ككل تتشكل على أساس مرتكزات الدين واللغة والثقافة لا يعني أن هذه الهوية أو الشخصية ثابتة لا تتغير، بل العكس من ذلك، فالهوية - وإن كانت تظل تعتمد على الركائز الأساسية (الدين، اللغة، القيم الأخلاقية) - إلا إنها تتأثر بالظروف التي تمر على الفرد أو المجتمع، وبمقدار قوة التأثير الذي تتعرض له تتغير هذه الهوية بدرجة أو أخرى، فقد يكون التغير طفيفاً، وقد يكون قوياً وعميقاً. ولذلك فقد يكون لمجموعة أو مجتمع معين هوية في مرحلة ما أو مكان ما، وتكون له هوية مختلفة نوعاً ما في مرحلة زمنية أخرى أو في مكان آخر.

### الأقلية والتوفيق بين الولاءات

هناك تعريفات عدة للأقلية من الناحية السياسية، ومنها ما أوردته الموسوعة السياسية حيث عرفت الأقلية على أنها "مجموعة من سكان دولة أو إقليم ما، تخالف

الأغلبية في الانتماء العرقي أو اللغوي أو الديني". أما من الناحية الاجتماعية، فيتم تعريف الأقلية على أنها "جماعة من الأفراد الذي يتميزون عن بقية أفراد المجتمع، عرقياً، أو قومياً، أو دينياً، أو لغوياً، وهم يعانون نقصاً نسبياً في القوة، ومن ثم يخضعون لبعض أنواع الاستبعاد والاضطهاد والمعاملة التمييزية".

وكما يقول لوبون فإنه "أيّاً تكن نوعية الأفراد الذي يشكلونه وأياً يكن نمط حياتهم متشابهاً أو مختلفاً وكذلك اهتماماتهم ومزاجهم أو ذكاؤهم فإن مجرد تحولهم إلى جمهور يزودهم بنوع من الروح الجماعية. وهذه الروح تجعلهم يحسون ويفكرون ويتحركون بطريقة مختلفة تماماً عن الطريقة التي كان سيحس ويفكر ويتحرك بها كل فرد منهم لو كان معزولاً" (غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، ص ٥٨).

تأثر شخصية الفرد بثقافة المجموعة وهويتها التي ينتمي إليها لا يعني كما يقول الدكتور علي الوردي "أن الفرد يأخذ كل مميزاته الشخصية من المجتمع الذي يعيش فيه، فهناك في أعماق كل شخصية جزء دفين لا يمكن أن يخضع لقواعد المجتمع أو يستجيب لإيحائه. إن هذا الجزء هو السبب الذي جعل كل فرد من الأفراد يختلف عن غيره بخصيئته (علي الوردي، شخصية الفرد العراقي، ص ٤٤). وهذا ما يمثل خصوصية كل فرد عن بقية الناس. ولذا قد تجد شخصاً يتصف بالتححرر خرج من أسرة شديدة التدين، أو العكس. ولكن بشكل عام فإن نسبة كبيرة من هوية كل فرد تتحدد من خلال ظروف اجتماعية يكتسبها الفرد من البيئة التي يعيش فيها أكثر من العوامل التي يكتسبها الإنسان من خلال الوراثة، وهو أمر ينعكس بطريقة تلقائية على طريقة تفكير الإنسان وزاوية رؤيته لما يحدث من حوله، والمواقف التي يتخذها، والسلوكيات التي يتصرف بها مع الآخرين، فالإنسان يرى الأمور بعدسة مكونة من ثقافته وموروثاته.

## الشيعة بين الهوية الوطنية والهوية المذهبية

يُطرح السؤال عن أزمة في الهوية عندما تتصارع هويتان عند شخص أو جماعة، بحيث تجذبه الهوية الأولى باتجاه وتجذبه الأخرى باتجاه معاكس. وكمثال على ذلك الرياضي الذي يهاجر من موطنه الأصلي إلى بلد آخر حيث يجد فيه مصدر رزقه، ويحصل فيه على جنسيته، فعندما يتقابل ذلك الرياضي ضمن فريق الدولة التي حصل على جنسيته مع فريق يمثل مسقط رأسه يجد هنا الرياضي نفسه في حيرة فيمن يتمنى أن يفوز: فريق البلد الذي منحه فرصة البروز والتفوق وأمن له مصدر رزق لم يكن يحلم به، أم يتمنى فوز فريق بلده الأصلي الذي ولد فيه وتربى بين أحضانه، وعاش فيه مراحل طفولته؟ كما أن المسيحي العربي الذي ينشأ فيجد أن لغته العربية هي لغة الإسلام المقدسة قد يجد نفسه في حالة تناقض بين الانتماء الديني والانتماء القومي. كما أن الشاب التركي الذي هاجر إلى ألمانيا يجد نفسه يعيش صراعاً بين هوية إسلامية محافظة وبين هوية ليبرالية متحررة.

السؤال المستحق هو هل ينطبق مثل هذا التنازع في الهوية لدى الشيعة في البلدان التي يعيشون كأقلية فيها؟ وهل هناك تعارض بأن يكون الفرد ملتزماً بمذهبه كشيوعي وبين أن يكون الفرد محباً لوطنه ومستعداً لأن يقدم لها الغالي والنفيس؟ إذا أراد الشخص الموضوعي الإجابة على هذا السؤال فلن يجد أي تعارض بين الهويتين، فالمواطن الشيعي في ذلك يتساوى مع غيره من أتباع المذاهب الأخرى، إما في أداء ما هو مطلوب منه أو التقصير في ذلك. وهو في المقابل يؤدي ما هو مطلوب منه تجاه عقيدته. ما هو واضح هو أنه ليس هناك تعارض بين الهويتين، لأن من الطبيعي أن يحمل الإنسان أكثر من هوية، ولكن هناك من يريد أن يخلق هذا التعارض لإحراج الشيعة.

## الهوية الاجتماعية

الانتماء إلى المجموعة ما يمثل نوعاً من الحماية للفرد، فالفرد وحده يشعر بأنه في حالة ضعف، وهو يريد من خلال الانتماء لمجموعة ما أن يحافظ على نفسه ومصالحه.

الميل إلى البقاء ضمن مجموعة هو من أقوى التحيزات الذهنية<sup>١</sup> الموجودة في الإنسان، هذا التحيز يعني ميل أغلبية الناس مع الرأي السائد في المحيط الذي يعيشون فيه، سواء أكان هذا المحيط هو العائلة، أو القبيلة، أو المجتمع، أو الأمة ككل. البقاء مع الجماعة بشكل عام يشعر الفرد بالأمان ويوفر له الحماية.

المجتمعات البشرية تحفل بالصراعات التي تنشأ بسبب التنافس على الموارد الموجودة، وعندها تبرز أهمية قوة الجماعة ككل، ولذلك فإنه لا قيمة للفرد دون جماعته، ولعل أفضل مثال على ذلك ما يحدث من صراع بين القبائل لشح الموارد المتوفرة في البيئة الصحراوية. حينها يجد الفرد أنه من الضروري أن ينتمي إلى جماعة، ففي نهاية الأمر ما سيجري على الجماعة سيجري عليه باعتباره عضواً فيها، ولو وقع عليه أذى فإن الجماعة سوف تتصدى للمعتدي باعتبار الاعتداء موجهاً للجميع، على عكس فيما لو انفرد هو برأيه، فحينها سوف يتحمل هو الأذى لوحده، وهو أمر يتجنبه غالبية الناس. ولذا فإن الفرد يتمتع بالحماية والأمان الذي توفره الجماعة لأفرادها، وفي مقابل هذا الميزة، فإن من واجبه أن يحافظ ويدافع عن مصالح المجموعة.

وفقاً لنظرية الهوية الاجتماعية Social Identity Theory التي تفسر الحالة النفسية للأقلية في مقابل الأكثرية، فإنه يتم التعامل مع الأفراد على أنهم جزء من جماعة، ويتم تقييمهم والتعامل معهم على هذا الأساس، وهو ما يدفع الأفراد مع مرور الزمن إلى التعامل على هذا الأساس، حتى لو لم يكونوا مقتنعين بذلك، فعملية تقسيم المجتمعات على أساس عرقي أو ديني أو طبقي أمر لا مفر منه، وعلى هذا الأساس يميز كل فرد نفسه عن الآخرين. وبصورة تلقائية يتم التقليل من الاختلافات داخل المجموعة، وتضخيم الاختلافات مع المكونات المجتمعية الأخرى. ولأن الأقلية عادة ما

(١) التحيزات الذهنية عبارة عن جوانب ضعف في طريقة التفكير لدى الإنسان، وهذه التحيزات هي نوع من الميول الذهنية لدى الإنسان توجهه نحو التفكير بنمط معين.

تشعر بالخوف من الأكثرية وخاصة إذا ما تعرضت للتخوين أو الضغط فإنها تتكفأ على نفسها للحصول على قدر أكبر من الأمان، من خلال التعاضد فيما بينها عندما تشعر بنوع من التمييز أو التهديد على أساس المصير المشترك، وهو ما ينطبق على حالة الشيعة في الكويت وفي غيرها.

من الناحية الاجتماعية، كلما زاد التمييز ضد أقلية ما فإن هذه الأقلية تميل بشكل أكبر للتقوقع لحماية نفسها. وكنتيجة لذلك، فإنه كلما قلت وتضاءلت مستويات الاندماج داخل المجتمع، كلما برزت في المجتمع مسألة الأقليات وتداعياتها الثقافية والاجتماعية. بمعنى أن وجود الأقليات في أي فضاء اجتماعي، يتحول إلى مشكلة، حينما يفشل هذا الفضاء في تكريس قيم التسامح واحترام المختلف وصيانة حقوق الإنسان، والسعي لمزيد من خطوات الاندماج الوطني ومبادراته، حينذاك تبدأ المشكلة، وتبرز العصبية والخصوصيات الذاتية، وتنمو الأطر التقليدية لكي تستوعب جماعتها البشرية بعيداً عن تأثيرات المحيط واستراتيجياته المختلفة (محمد محفوظ، نظرات وأفكار حول المسألة الشيعية في العالم العربي).

اختلاف معتقد جالية أو أقلية عن معتقد الأكثرية هو ظاهرة موجودة في كثير من دول العالم، وخصوصاً بالنسبة للجاليات المسلمة في الدول الغربية، ولكن تلك الظاهرة لا تشكل مشكلة كبيرة في المجتمعات الغربية ذات النزعة الفردية، والتي لا يُعتبر فيها المعتقد الديني ذا أهمية كبيرة بالنسبة لعامة الناس، وخصوصاً إذا ما كانت حكومات هذه الدول تعمل على إزالة هذه الفوارق وتمنع إساءة جماعة لأخرى، ولا تسمح بإثارة نعرات دينية. أما في المجتمعات الإسلامية بشكل عام والمجتمعات العربية بشكل خاص، وبسبب ثقافة الإقصاء والعنف تجاه المختلف، فإنه فلا يزال الاختلاف بين معتقدات الأقلية ومعتقدات الأكثرية يشكل مشكلة كبيرة في المجتمع، وربما يصل هذا الاختلاف إلى حد الأزمة. وقد يتطور الأمر إلى أن يصل إلى حرب أهلية، على أساس ديني أو مذهبي، والأمثلة على ذلك في التاريخ القريب عديدة،

ومنها الحرب اللبنانية في الفترة ١٩٧٦-١٩٩٠، وأيضاً ما حصل في العراق في الفترة ٢٠٠٤-٢٠٠٨، ومن ٢٠١٤-٢٠١٧، وما حصل في سوريا في الفترة ٢٠١٢-٢٠١٨.

### تهمة التخوين وعقدة النقص

تحولت قضية الولاء عبر الزمن إلى عقدة نقص لدى الشيعة في بلدانهم. وعلى هذا الأساس، يعتبر الكثير من الشيعة أن دولهم تعاملهم على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، وأنها لا تقوم بدورها المطلوب في لجم وكبح الأصوات التي تشكك في ولائهم.

إلى جانب الشعور بعقدة النقص، فإن المواطن الشيعي يعيش حالة من التناقض أو الازدواجية في الشخصية، فهو في حياته الخاصة عندما يمارس شعائره الدينية ويحضر لسماع الخطب في المساجد والحسينيات دائماً ما يتردد في هذه الخطب قصة ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ضد بني أمية، وكيف أنه أطلق الشعار الخالد "هيهات منا الذلة" عندما وجد الجيوش تحيط به من كل مكان، وهو يواجههم بنفر قليل من عائلته وأهل بيته وانصاره، وهو الشعار الذي أصبح راسخاً في الوجدان الشيعي على مدى العصور بما يمثله من قيم رفض الظلم والمذلة، والثبات على المبدأ، ولكن في المقابل نجد أن المواطن الشيعي في الحياة العامة يعود ليمارس دور الضحية، المغلوب على أمره، والذي يرضى بأن يكون مواطناً من الدرجة الثانية، ويظل يقبل بتعسف السلطة معه، خوفاً مما هو أسوء، بل ربما وصل بها الحال إلى اعتبار أن ذلك مبعث فخر له؛ لأنه تجسيد لمظلومية أهل البيت، وهذه عقلية التفكير هذه أقرب ما تكون إلى ما يسمى في علم النفس بالحالة المازوخية.

الفهم الذي ينطلق منه من يهاجم الشيعة في معارضتهم لسياسات الدولة الخارجية يفترض أنه لكي يُعد الشخص مواطناً صالحاً مخلصاً لبلده فإن عليه أن يوافق على كل ما تتخذه الحكومة من مواقف تجاه القضايا الدولية، وأن أي رأي معارض إنما ينم عن خلل في الولاء للوطن. هذا الفهم المغلوط لمفهوم الوطنية يعتبر أنه يجب أن يكون

هناك تطابق بين ما تتخذه الحكومة من سياسات وبين تأييد جميع المواطنين لهذه السياسات.

هذا الفهم للولاء هو بالطبع فهم عنصري، على أساس العصبية القبلية، حيث لا قيمة لرأي الفرد في مقابل رأي الجماعة، بل عليه أن يؤيدهم، حتى لو كانوا على خطأ، وهو مصداق لقول الشاعر الجاهلي دريد بن الصمة:

مَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنَّ غَوْتَ... غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشُدَ غَزِيَّةٌ أَرَّشُدُ

في حين أن هذا فهم خاطئ لمفهوم الولاء والمواطنة، فليس هناك ترابط ضروري بين ولاء المواطن لوطنه وبين المواقف السياسية التي تتخذها حكومة بلده، والتي هي مواقف سياسية عرضة للتغيير والتبدل كما أنها عرضة للخطأ أيضاً، وما أكثر هذه الأخطاء.

### الشعور بالظلمية

إذا كان هناك من خصائص لشخصية الفرد الشيعي إلى جانب الشعور بالانتماء إلى مدرسة أهل البيت، فلا شك أن الشعور بالظلمية هي أبرز خصائص هذه الشخصية. يمكن القول إن هذا الشعور راسخ في الوجدان الشيعي من خلال استحضار ما تعرض له أئمة أهل البيت من قتل وسجن وتشريد، بل إن ذلك جاء صريحاً على لسان أكثر من واحد من الأئمة، ومن ذلك قول الإمام الحسن بن علي "والله، إنه لعهد عهده إلينا رسول الله: أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة، ما منا إلا مسموم، أو مقتول".

يؤكد الشيخ الصدوق على هذا المعنى بقوله "وجميع الأئمة الأحد عشر بعد النبي قتلوا، منهم بالسيف، وهو أمير المؤمنين، والحسين. والباقون قتلوا بالسم، قتل كل واحد منهم طاغية زمانه، وجرى ذلك عليهم على الحقيقة والصحة". ونجد نفس المعنى أيضاً في الحوار الذي جرى بين الإمام علي بن الحسين زين العابدين وعبيد الله بن زياد بعد واقعة كربلاء عندما أمر ابن زياد بضرب عنق الإمام زين العابدين، فرد عليه الإمام

بقوله: "أبالقتل تهددني!! أما علمت بأن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة".

لم يقتصر أمر الظلم والتقتيل الذي وقع على أئمة أهل البيت، بل امتد ليشمل أولادهم وأصحابهم، ومن بعد ذلك علماء شيعتهم. ومن أبرز من قتل من أهل البيت الشهيد زيد بن علي بن الحسين، وهو أخو الإمام محمد الباقر وعم الإمام الصادق، حيث قتل وظل مصلوباً لأربع سنين حتى عششت الفاخنة في جوفه (محمد مهدي الحائري، شجرة طوبى، ج ١، ص ١٤٣)، ولما بلغ قتل زيد إلى الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إننا لله وإننا إليه راجعون، عند الله أحسب عمي إنه كان نعم العم. إن عمي كان رجلاً لدينانا وآخرتنا، مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعلي والحسين صلوات الله عليهم". ولكثرة من قُتل من بني هاشم على أيدي سلاطين الجور، أفرد أبو الفرج الأصفهاني كتابه "مقاتل الطالبيين" أورد فيه أخبار ٥٠٠ نفر من شهداء آل أبي طالب (عليه السلام)، ابتداء من جعفر بن أبي طالب، وانتهاء بمن خرج على الحكم الجائر في عهد بني أمية وبني العباس.

إذا تحدثنا عن أصحاب الأئمة ممن تعرضوا للقتل لدفاعهم عن أهل البيت، فلا بد أن يكون في مقدمتهم حُجر بن عدي الكندي الكوفي، وهو من فضلاء الصحابة وزهادهم، وقد وفد على النبي (ﷺ). كما لا يمكن المرور على من تعرضوا للقتل بسبب حبهم لأهل البيت دون ذكر سعيد بن جبير (٤٦-٩٥ هـ)، حيث قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بسبب خروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث في ثورته على بني أمية، والتي انتهت نهاية دموية في معركة دير الجماجم. وهو ما حدث أيضاً مع الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي، حيث قُطع رأسه، وهو أول رأس طيف به في الإسلام، وكذلك فُعل مع رشيد الهجري وقنبر خادم الإمام علي (عليه السلام) وكميل بن زياد النخعي وهم من خواص الإمام علي (عليه السلام) (محمد جواد مغنية، الشيعة والحاكمون، ص ١٣٨).

أما علماء الشيعة الذين تعرضوا للقتل فهم أكثر، ولعل أبرزهم: محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول)، وزيد الدين العاملي (الشهيد الثاني)، وشهاب الدين السهروردي،

والمحقق الكركي، والقاضي نور الدين التستري والشيخ علي الحر العاملي، والسيد نصر الدين الحائري والسيد محمد باقر الصدر، والعديد غيرهم.

بعد هذه القائمة الطويلة من الشهداء، فضلاً عن المجازر التي تعرض لها الشيعة عبر التاريخ وحتى يومنا هذا، كان من الطبيعي أن يصبح الشعور بالمظلومية ملازماً لعامة الشيعة. ويظهر هذا الشعور في التركيز على إحياء المناسبات الدينية المرتبطة بوفيات أئمة أهل البيت بطريقة حزينة عبر شعائر أصبحت ثابتة ومستقرة في البيئة الشيعية. وعلى جانب آخر تجد أن فكرة التقية مهمة في البيئة الشيعية لكثرة ما تعرضوا له من اضطهاد. ونحن عندما نسرد التي تعرض لها أئمة أهل البيت وشيعتهم لا نقول إن أهل السنة لم يتعرضوا لحوادث مشابهة من قبل حكام الجور، فأبو حنيفة مات في سجن المنصور، وابن حنبل تعرض للجلد والسجن من قبل المعتصم، ولا نريد أن نقول إن الدول الشيعية التي حكمت لم تمارس التقتيل الطائفي ضد السنة أيضاً، فالتاريخ لا يمكن تزويره، ولكن ما نريد قوله إن التكتيل والبطش بالشيعة كان أقوى وأشد لكونهم أقلية، وخوفاً من أن يشكلوا خطراً على النظام الحاكم.

إذا كان للشعور بالمظلومية جانب إيجابي وهو الشعور بالتضحية من أجل المبدأ والثبات عليه رغم الأثمان الباهظة المدفوعة، فإن هذا الشعور قد يتحول إلى سلوك سلبي، يتمثل في القبول بلعب دور الضحية، وعدم الخروج عنه، وكأنه قدر لا يمكن الفرار منه. هذا الشعور قد يؤدي إلى ما وصل إليه السود في أمريكا من القبول بالواقع المفروض، والافتناع بأن دور الفرد الأسمر البشرية ينحصر في أداء الأدوار الثانوية، لأن قدراته الذاتية لا تؤهله لأن يقارع الشخص الأبيض البشرية، وكأنه أمر لا فكاك منه.

### التشيع العلوي والتشيع الصفوي

منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران، وفي أجواء العداء السياسي بين إيران من جهة وكثير من الدول العربية من جهة أخرى، حاول البعض التفريق بين الشيعة العرب وبين الشيعة الفرس، بزعم أن الشيعة العرب يختلفون عن الشيعة الفرس، وأنهم أقرب إلى

المواقف التي تتبناها الدول العربية، في مقابل الشيعة الفرس الذين يطلقون في معتقداتهم ومواقفهم من كره العرب. هذه التفرقة تحاول أن تصور الاختلاف السني-الشيوعي باعتباره اختلافاً على أساس القومية، وليس اختلاف على أساس الانتماء المذهبي.

وجد دعاة ذلك الرأي ضالتهم في كتاب علي شريعتي التشيع العلوي والتشيع الصفوي من داخل البيئة الشيعية نفسها. لكن يبدو أن أولئك قد اكتفوا بعنوان الكتاب للتأكيد على وجود نوعين من التشيع على أساس قومي، وأكد أن الغالبية ممن يستشهدون بأفكار علي شريعتي على وجود نوعين من التشيع لم يقرأوا كتابه.

فكرة كتاب التشيع العلوي والتشيع الصفوي مختلفة تماماً عما ذهب إليه هؤلاء، فعلى شريعتي في هذا الكتاب لا ينظر إلى التشيع على أساس أنه ينقسم إلى تشيع علوي (عربي) وتشيع صفوي (فارسي)، بل المقصود في التفريق بين النموذجين العلوي والصفوي هو التفريق بين التشيع الأصيل على المستوى النظري، وهو التشيع الذي أسسه وشيد معالمه أئمة أهل البيت بدءاً من الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وبين التشيع الموجود في الواقع في العهد الصفوي، والذي لحقه الكثير من التشويه على مستوى الممارسة، وخصوصاً في إحياء المناسبات الدينية والتي أصبحت تسمى بالشعائر، والتي وصلت في حالات إلى حد الخرافة والأساطير.

كما أن علي شريعتي يؤرخ لحقتين زمنييتين، الأولى بدأت مع نهاية خلافة الإمام علي (عليه السلام) حيث أصبح الشيعة مطاردين من قبل أنظمة الحكم، ويتعرضون لأنواع العذاب والتنكيل ويمارسون شعائرهم خفية بعيداً عن أعين الحكام، والثانية بدأت مع قيام الدولة الصفوية عندما استلم زمام الحكم سلاطين يدعون حب أهل البيت، ويشجعون على إقامة هذه الشعائر، بل ويبالغون فيها، ويتظاهرون بالخضوع لعلماء الدين، وجعلوا المذهب الاثني عشري هو المذهب الرسمي للدولة.

لو كان مؤلف كتاب التشيع العلوي والتشيع الصفوي شخصاً عربياً لكان من الممكن النظر في صحة ما يدعيه هؤلاء، لكن أن يكون مؤلف هذا الكتاب من القومية الفارسية، ويكون من الداعمين الأقوياء لقيام الثورة الإسلامية في إيران، بل ربما يكون منظرها الأول، فإن هذا يدل على أن دعوى هؤلاء في غاية التهافت والضعف، ويكشف عن نيات لتوظيف أفكار شريعتي لتدعيم ما يتهمون به الشيعة الفرس. ونسى هؤلاء أن الصفويين لم يكونوا فرساً، بل كانوا أتراكاً من مدينة أردبيل، وأنهم كانوا في الأساس من أهل السنة ثم تحولوا إلى المذهب الشيعي.

واضح أن توظيف عنوان كتاب علي شريعتي يهدف في الأساس لضرب الشيعة من غير العرب، وبالأخص الشيعة الفرس، وتصويرهم على أنهم أصحاب نوايا سيئة، وأنهم دخلوا الإسلام لمآرب خاصة بهم، وأن من بين هذه المآرب ضرب الإسلام من داخله. إذا كان صحيحاً التفريق بين نوعين من التشيع على أساس القومية فعندها يصح أيضاً أن نقسم التسنن إلى قسمين: التسنن العمري (نسبة إلى عمر بن الخطاب) والتسنن السلجوقي (نسبة لدولة السلاجقة) أو التسنن العثماني (نسبة للدولة العثمانية)، فكلتا الدولتين كانت لها ممارسات تسلطية تجاه العرب.

مرة أخرى، يجب أن يُنظر إلى كتاب التشيع العلوي والتشيع الصفوي على أن فكرته الأساسية هي التركيز على المقارنة بين النظرية والتطبيق، نظير قولنا في وقتنا الحالي أن هناك فرقاً بين الإسلام المحمدي والإسلام الأمريكي، وبالتأكيد ليس هناك إسلام أمريكي، وإنما المقصود الممارسة المشوهة للإسلام بضغط أمريكي، والتي أثمرت في الآونة الأخيرة عن تطبيع العلاقات بين الكيان الصهيوني وأغلب الدول العربية. هذا النموذج من الإسلام الذي يستشهد أيضاً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهو ما فعله الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر عند توقيع معاهدة السلام بين مصر والكيان الصهيوني، عندما ختم كلمته بالآية الكريمة ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٦١). إذاً الأمر يتعلق بخلط -

إما عن جهل وإما عن تعمد- بين النظرية وبين التطبيق، وهو خلط شبيه بالخلط بين الإسلام والمسلمين، وهو ما يعمد إليه البعض بإسقاط ممارسات بعض المسلمين على الإسلام نفسه، وكمثال على ذلك ما يقوله الغربيون عن الإسلام نفسه، واعتباره ديناً يقوم على العنف والقتل، ويستدلون بذلك على ما تقوم به الجماعات المتطرفة مثل تنظيم داعش أو حركة طالبان أو غيرهما من عمليات إرهابية باسم الإسلام.

### روافض ونواصب

عندما تستخدم الأمور بين مجموعتين وتصل إلى حد العدا يكون التناز باللقاب والمسميات جزءاً من ذلك الصراع، وهذا أمر موجود على صعيد الصراع الطائفي كما هو معلوم، ولذلك نجد أن المتطرفين من السنة يبنزون الشيعة بأنهم "روافض"، وهي إشارة إلى الادعاء بأن أتباع الشهيد زيد بن علي طالبوه بأن يتبرأ من أبي بكر وعمر، ولما لم يقبل رفضوا مبايعته. في حين أن المتطرفين الشيعة يبنزون السنة بأنهم "نواصب"، ويقصدون أنهم يناصبون أهل البيت العدا. هذه الظاهرة هي ما يسميها الدكتور عبدالله البريدي "السلفية الشيعية والسنية" في كتابه الذي حمل العنوان نفسه، ويقصد بها التطرف تجاه الآخر واعتباره عدواً للدين أو المذهب.

تعود بداية السجلات الطائفية في التاريخ الإسلامي إلى الخلافات الفكرية والفقهية التي حدثت خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى، والتي نتج عنها نشوء فرق وطوائف، ومع مرور الزمن أصبح أتباع كل فرقة أو طائفة يتعصبون لطائفتهم أو فرقتهم، ويرون أن بقية الفرق على باطل. ولعل الحديث المنسوب للنبي (ﷺ) "تفرقت أمتي على ثلاث وسبعون فرقة كلها في النار إلا واحدة" جعل كل فرقة أو طائفة تجتهد لكي تثبت أنها الفرقة الناجية وأنها المقصودة بالحديث. وهو ما أدى إلى سجلات ومناظرات بين أتباع المذاهب لا أول لها ولا آخر لإثبات ذلك.

وصل التعصب الأعمى إلى حد دفع بعض المتعصبين إلى اختلاق أحاديث نبوية لتعزيز موقف طائفتهم أو لدم خصومه في الطوائف الأخرى (خالد كبير، التعصب

المذهبي في التاريخ الإسلامي، ص ٨). بل إن أمر التعصب تعدى ذلك إلى السب والشتم واللعن على منابر المساجد، وكتب التاريخ الإسلامي مليئة بذلك (هاشم معروف الحسني، الموضوعات في الآثار والأخبار).

ولأن التعصب لا يقف عند حد، فإن هذا التعصب يصل إلى حد تكفير الآخر، وهو ما قد يفضي إلى إباحة دمه وماله وسبي عياله، والمجازر التي حصلت لأسباب طائفية أكثر من أن تحصى، وهي وصمة عار كبيرة في التاريخ الإسلامي، وهو الدين الذي يُفترض أنه جاء لنشر العدل والسلام في العالم. وقد شهدنا في السنوات القليلة الماضية نماذج عديدة على تلك المجازر الطائفية، وخاصة تلك التي أرتكبت من قبل تنظيم داعش، والتي راح ضحيتها في يوم واحد ١٧٠٠ إنسان. ورغم كل ما يُدعى بأننا غادرنا هذه العقلية المتعصبة، وأننا أصبحنا نعيش في عصر الانفتاح الفكري وتقبل الآخر فإن الشواهد الماثلة أمامنا في المجتمع تؤكد أننا لانزال نعيش العقلية نفسها.

السجلات الطائفية التي تحدث بين أتباع الطرفين لإثبات أنهم على حق وأن الآخر على خطأ، تؤثر بشكل تلقائي على عامة الناس. في السابق كنت أعتقد أن الحوارات الفكرية بين مثقفي الطرفين قد تكون مفيدة، حتى يتعرف كل طرف على أفكار الطرف الآخر، بدلاً من أن تصل إليه مشوهة، وأن مثل تلك الحوارات قد تكسر حدة الخلاف. لكن في الآونة الأخيرة أصبحت على قناعة أن مثل تلك الحوارات لا تفيد شيئاً، بل ربما كانت مضرّة، لأن المتحاورين لا يدخلون تلك الحوارات بغية محاولة الفهم والإقناع، بل يعتبرونها معركة لا يجوز أن يخسروا فيها؛ لأنهم لا يمثلون أنفسهم فحسب، بل يمثلون الطائفة ككل. ولذا تجد أن تلك الحوارات تتحول إلى سجلات عقيمة ومحاولة لتقصي نقاط الضعف عند كل طرف، وتستمر هذه السجلات وكأنها معركة بين الطرفين، وينتقل السجل إلى المتابعين الذين ينقسمون إلى قسمين، كما يحدث مع الجمهور الذي يشجع ناديين متنافسين في لعبة كرة القدم.

وإذا رجعنا إلى الحوادث التاريخية نجد أن البسطاء من الطائفتين هم من يذهبون

ضحية للأقلية المتعصبة من الطرفين، ويكفي أن نعرف أن مدينة بغداد استبيحت ١٣ مرة على أساس طائفي من هذا الطرف أو ذاك في أقل من ٢٠٠ سنة، وتعرض سكانها للقتيل على أساس طائفي مروع، حيث كانت شوارعها في كل مرة تمتلئ بالجثث، بما فيهم النساء والأطفال، حتى أن نهر دجلة اصطبغ لونه بالحمرة من كثرة الجثث التي ألقيت فيه.

وليس بعيداً عنا ما حدث قبل سنوات (٢٠١٤-٢٠١٨) من فتنه طائفية طاحنة في العراق راح ضحيتها مئات الآلاف من الأبرياء من الطرفين. ولا يقتصر هذا العنف المروع على القرون المتأخرة، فتاريخ الدول الإسلامية -مع الأسف الشديد- مليء وحافل بشواهد لا تعد ولا تحصى على مجازر دموية حدثت تارة للتغلب والملك، وتارة على أساس التعصب الطائفي.

هذا الوضع يبين إلى أي درجة يمكن أن تصل خطورة التعصب الطائفي أو العرقي، كما يبين كيف أن البسطاء الذين لا ناقة لهم ولا جمل هم من يدفعون ثمن ذلك التعصب، ولك أن تعلم أن من قتل في ثورة الزنج وحدها بلغ نصف مليون إنسان، ومنها مذبحه كربلاء التي قام الوالي العثماني نجيب باشا بارتكابها في عام ١٨٢٤م في ثاني أيام عيد الأضحى، وهي المجزرة التي ذهب ضحيتها في يوم واحد ٢٠ ألف إنسان (باقر ياسين، العنف الدموي في العراق، ص ١٥٣). وفي حادثة أخرى، وقعت سنة ٤٩٤ هجرية، أمر السلطان السلجوقي بركيا روق بقتل الشيعة الباطنية الإسماعيلية، فقام أهل أصفهان للانتقام منهم، فحضرُوا لهم أخاديد أوقدت فيها النيران، وجعلوا يأتون بهم ويلقونهم في النار واحداً تلو الآخر، إلى أن قتلوا منهم خلقاً كثيراً (الذهبي، السير، ج١٩، ص ٤٠٤). وقد أخصيت الفتن التي وقعت بين السنة والشيعة في التاريخ الإسلامي فكانت ٥٢ فتنة، وكان أكثرها في القرن الرابع والخامس والسادس الهجري.

## النتائج والتوصيات

١. من الناحية الاجتماعية، كلما زاد التمييز ضد أقلية ما فإن هذه الأقلية تميل بشكل أكبر للتفوق لحماية نفسها. وكنتيجة لذلك، فإنه كلما قلت وتضاءلت مستويات الاندماج داخل المجتمع، كلما برزت في المجتمع مسألة الأقليات وتداعياتها الثقافية والاجتماعية.
٢. تحولت قضية الولاء عبر الزمن إلى عقدة نقص لدى الشيعة في بلدانهم. وعلى هذا الأساس، يعتبر الكثير من الشيعة أن دولهم تعاملهم على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، إلى جانب الشعور بعقدة النقص، فإن المواطن الشيعي يعيش حالة من التناقض أو الازدواجية في الشخصية بين الهوية المذهبية والهوية الوطنية.
٣. لا يوجد تضاد بين الهويتين المذهبية والوطنية، فالهوية المذهبية ليست عائقاً للاندماج الوطني، كما الهوية الوطنية لا يجوز أن تصادر الهوية المذهبية، ولذلك يمكن المزج بين الهوية المذهبية وبين الهوية الوطنية.
٤. تاريخ الشيعة الحافل بالمظلومية لا ينبغي أن يتحول إلى قناعة بأن المظلومية قدر محتوم، بل الواجب السعي دوماً إلى التخلص من هذا الشعور الذي يشكل حاجزاً نحو تحقيق الأهداف.
٥. من الخطأ أن يتفوق الشيعة في أي مجتمع، وبالأخص في المجتمعات الذين يعتبرون فيها أقلية، بل ينبغي الانفتاح على بقية مكونات المجتمع، وبالأخص الأكثرية، لأن التفوق يمثل خطراً وجودياً عليهم.



## التكامل بين لبنان وسوريا والعراق: أنموذج مثلثات النمو

عبد الحليم فضل الله<sup>(\*)</sup>

تستحق التنمية في بلادنا نظرة ثانية بسبب خصوصية أوضاعها وتكرّر أزماتها وفراة تكوينها. ففي القرن الماضي رُسمت الحدود الوطنية في المنطقة على نحو مغاير للحدود الاقتصادية المناسبة للتنمية<sup>(١)</sup>، وهذا جعل التكامل وتعميق أواصر الصلة بين البلدان حبل النجاة لا غنى عنه لبلوغ حدّ أدنى من الإزدهار. وأدّت النظم السياسية للدول دوراً محبطاً للتنمية، فهي إمّا قامت على مؤسسات مركزية استحوذت وربعية تحبط حوافز الانتاج، أو اتصفت بالامركزية قريبة من الفوضى. وفي العموم كان التاريخ السياسي والاقتصادي للمنطقة وتعرضها لتدخل خارجي كثيف، سبباً في إخفاق التنمية على المستوى الوطني، ليكون التعاون الإقليمي القائم على التكامل بوابة خروج من ظروف التبعية ذات الاتجاه الواحد، ومن التخلف العائم على بحرٍ من الموارد البشرية والمادية الوفيرة.

لكن طريق التكامل محفوف بتحديات وعقبات يصعب تجاوزها. ونقصد به التكامل الشامل والرسمي الذي يقوم بين اقتصادين أو أكثر. لقد خاضت الدول العربية هذه التجربة منذ الاستقلال ومهدّت لها بخطوات قانونية ومؤسسية، وعقدت

---

(\*) رئيس المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق في بيروت وأستاذ جامعي في الجامعة اللبنانية.  
(١) للمزيد أنظر: عبد الحليم فضل الله؛ مثلثات النمو ودورها في التكامل المشرق؛ النشرة الاقتصادية؛ العدد العاشر، بيروت: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، آب ٢٠٢٣.

من أجلها اتفاقات ومعاهدات، لكن المحصّلة كانت أقرب إلى الإخفاق والفشل. ومردّد ذلك فيما يمكن حصره من أسباب، إلى ضعف التوافق على خوض تجربة المشاريع الكبرى المشتركة في قطاعات حيويّة، وتغليب الخلافات السياسية على المصالح الاقتصاديّة، ووضع خطوات الشراكة على مسار سياسي يعجّ بالخلافات والصراعات، بخلاف النموذج الآسيوي الذي حرّر مشاريع التعاون الاقتصادي من التبعات السياسيّة (كما في تجربة الصين والهند في منظمة شانغهاي ومجموعة البريكس). وفيما مهّدت اتفاقية التيسير العربية لقيام منطقة اقتصاديّة عربيّة حرّة، فإنها لم تنعكس إيجاباً على حصّة التجارة البينيّة من إجمالي التجارة مع الخارج، ولا قرائن تُذكر على تحسّن نواتج الدول جراء انضمامها إلى الاتفاقية، كما لم يجر تحريك العجلة باتجاه قيام سوق مشتركة.

وتفتقر بلدان المنطقة إلى شرط أساسي لنجاح التكامل على المستوى الكليّ، وهو بلوغ مرحلة النضج في سلّم التنمية أو الاقتراب منها، وفيما ربطت دول عربيّة عدّة تكاملها في القرن الماضي باستراتيجيات النمو المتوازن الطموحة والتي تنطوي على استثمارات ضخمة لإعطاء دفعة قويّة Big push للاقتصاد، فإنّ التكامل الجزئيّ القطاعي والمناطقية أقرب إلى استراتيجيات النمو غير المتوازن المناسبة لأحوال الدول التي تعاني من مشاكل اقتصاديّة. وتتوافق هذه الاستراتيجية مع ظروف الدول التي لا تمتلك أساساً سياسياً صلباً لإقامة شراكات شاملة، أو التي تتفاوت مستويات التنمية والدخل فيما بينها.

ومن نافلة القول أنّ الدولة الوطنيّة في المنطقة، ولا سيما في المشرق العربي، لم تقدر على القيام وحدها بأعباء التنمية، كما تبين ذلك الإخفاقات التي أصابت تجاربها والمشكلات المتراكمة وجسامة التحديات التي تواجهها. ولذلك، إنّ من شروط تغلّب بلداننا على الأزمات المستعصية والتقدم في طريق التنمية وانضمامها من ثمّ إلى ركب الدول الصاعدة، يحتاج إلى رؤية للتكامل الإقليمي المشرقي، كي نواجه معاً التحديات الجيوسياسية والحصار، ولإيجاد قاعدة متينة للنهوض، ولإتاحة فرصة الاستفادة من

المشاريع الدولية الكبرى ولا سيما في آسيا (كمشروع الحزام والطريق) وإيجاد قاعدة متينة لتبادل المنافع الناتجة عن الشراكة. والتكامل هو المشروع البديل للتطبيع الاقتصادي، الخطير في دلالته السياسيّة والثقافيّة والدينيّة، والذي بينت الوقائع والمؤشرات على نحو لا لبس فشهله في أن يكون رافعة للتنمية والتقدم<sup>(١)</sup>.

وبما أن طريق التكامل الشامل والفوري بين دول المشرق العربي مليء بالمواع والعقبات، ويقتضي تجاوزها وقتاً قد يكون طويلاً، يمكن تبني استراتيجية التكامل الجزئي التي من أبرز تطبيقاتها نموذج مثلثات النمو **Growth triangles** الذي حقق نتائج طيبة في أكثر من منطقة من العالم وكان جزءاً من قصة النجاح في جنوب

(١) نورد في الآتي نماذج لمشاريع إقليمية تطبيعية من شأن تنفيذها أو إتمامها إلحاق ضرر أكيد وجسيم بالأدور الاقتصادية والتنافسية لمصر ولبنان وسورية:

- قناة البحر الميت التي وقّع اتفاق بشأنها في كانون الأول ٢٠١٣ بين الأردن وفلسطين ودولة الاحتلال برعاية البنك الدولي، ويقضي المشروع بربط البحر الأحمر بالبحر الميت عبر أربعة خطوط أنابيب لنقل بطول ١٨٠ كلم لنقل ١٠٠ مليون م<sup>٣</sup> سنوياً من المياه. ومن الممكن تطويره في المستقبل ليكون قناة يجري استكمالها لتصل إلى البحر الأبيض المتوسط وتنافس بذلك قناة السويس.

- خط سكة الحديد تل أبيب- إيلات لربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر بمسافة ٣٥٠ كلم، والذي بوسعه نقل البضائع خلال مدة لا تزيد عن ساعتين، وقد أعلن العدو عن هذا المشروع عام ٢٠١٣ بكلفة ٧٠ مليون دأ. ويزداد جدوى هذا المشروع إذا انخرط فيه الأردن.

- طرح وزير خارجية العدو في تموز ٢٠١٩ خلال زيارته لأبو ظبي مبادرة للربط بين السعودية ودول الخليج مروراً بالأردن بشبكة السكة الحديدية الإسرائيلية وميناء حيفا في البحر الأبيض المتوسط. تتمخض المبادرة بزعمه عن طرق تجارة إقليمية، أقصر وأرخص وأكثر أماناً (...). وهنا المقترح يؤثر سلباً على قناة السويس والموانئ العربيّة على الشاطئ الشرقي للمتوسط ولا سيما منها مرفأ بيروت.

- في ١٦ أيلول ٢٠٢٠، وقعت شركة موانئ دبي العالمية، سلسلة مذكرات تفاهم مع شركة "دوفرتاور" الصهيونيّة، تشمل التقدم بعرض مشترك لخصخصة ميناء حيفا المطل على البحر المتوسط، وهو واحد من ميناءين رئيسيين في الأراضي المحتلة. وتغطي مذكرات التفاهم مجالات تعاون، تشمل قيام موانئ دبي العالمية بتقييم تطوير الموانئ الإسرائيلية، وكذلك تطوير مناطق حرة، وإمكانية إنشاء خط ملاحى مباشر بين ميناءى إيلات وجبل على، وهو ما بدأ فعلاً بعد ثلاثة أشهر من تاريخه. وهذه التفاهمات تساهم أيضاً في تهميش دور مرفأ بيروت الذى شكّل تاريخياً صلة الوصل الأفضل بين المتوسط والداخل العربي.

للمزيد أنظر الملحق

شرق آسيا. وينطلق هذا النموذج من مبادئ نجدها في نُهج متعدّدة للتنمية. فالى جانب استراتيجية التنمية غير المتوازنة التي لا تشمل كل القطاعات ولا كل المناطق كما ذُكر، تبرز فكرة العالم الفرنسي فرانسو بيرو F.Perreux عن أقطاب النمو التي تساعد على نشر ثمار التنمية من المركز إلى الأطراف، فالنمو بطبيعته ليس متساوياً ولا متوازناً، بل ينبثق حسب بيرو من بؤر تتصف بالكثافة السكانية والإمكانات المادية والبشرية وبنى تحتيّة متطورة، ولديها قدرة على جذب الصناعات والأعمال الجديدة وتحفيز النشاط الاقتصادي في الأماكن المحيطة به. ومن شأن وجود مثلثات النمو أن ينقل المفاعيل الاقتصادية لأقطاب النمو إلى خارج الحدود، كما يسمح وجودها بتعظيم أثر سياسات التنمية في البلدان المجاورة.

### خصائص المثلثات

ومثلثات النمو بالتعريف هي مناطق اقتصادية فرعيّة ما دون وطنية، تشمل أنحاء مدنيّة وريفية في ثلاث بلدان متجاورة أو أكثر، وتتّصف بتنوع الموارد والخيرات. أُطلق المصطلح لأول مرّة من قبل رئيس الوزراء في سنغافورة عام ١٩٨٩ في سياق وصف التعاون الاقتصادي الذي كان قائماً بين أقاليم جغرافيّة محدّدة في بلده وأندونيسيا وهونغ كونغ والصين. لكن هذا النوع من المثلثات كان موجوداً من قبل وانتشر على نطاق واسع في آسيا<sup>(١)</sup> وساهم في تسريع عجلة النمو والتجارة وعزّز القدرة على استثمار الموارد المحليّة. وتنبثق مثلثات النمو من تفاعل قوتين: التعاون الاقتصادي الإقليمي ووجود تدفق كبير في الاستثمارات المباشرة. ومن إيجابياتها؛ زيادة حجم السوق وتعظيم القيمة المضافة من خلال التكامل في الانتاج وربط سلاسل

(١) من المثلثات الآسيوية: مثلث يشمل مقاطعات في الصين وروسيا وكوريا الشمالية، وآخر يضم مقاطعات ماليزيا الشماليّة وشمال سومطرة وجنوب تايلند ومثلث نمو آسيان الشرقية الذي يشمل مينداو في الفلبين وسيلابوزي في أندونيسيا وشان كان في ماليزيا. وهناك مثلث يضم مناطق في أندونيسيا وسنغافورة، وآخر بين أندونيسيا وماليزيا وتايلند. للمزيد انظر:

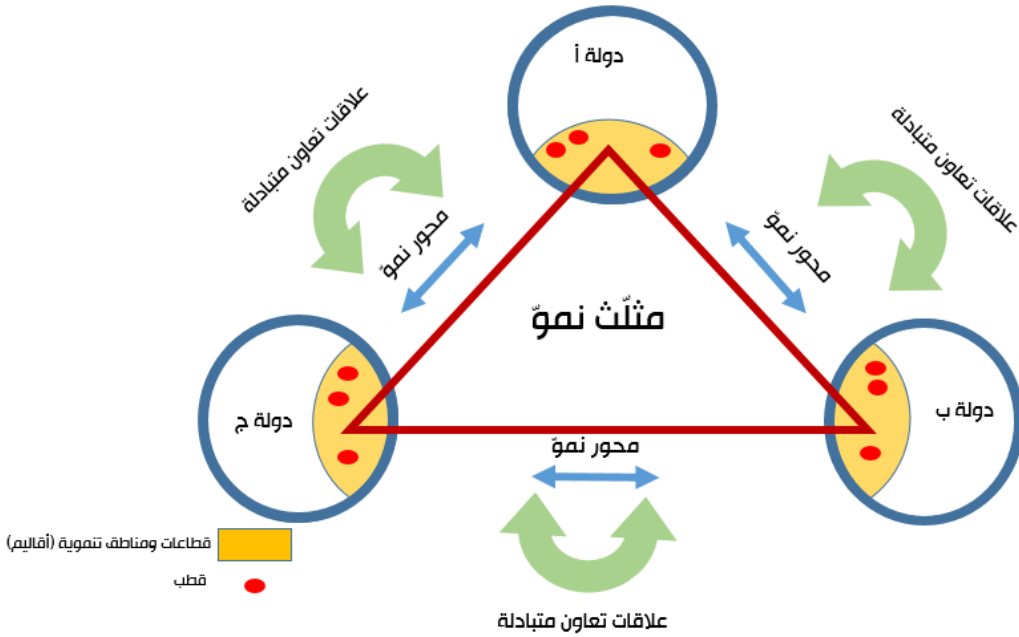
القيم بعضها ببعض والاستفادة من وفورات الحجم الكبير في المنافسة وخفض التكاليف. ولا تخلو المثلثات من سلبيّات مثل التفاوت في الأجور وزيادة فجوات التنمية في البلد نفسه وتضعيد التنافس على تدفق الاستثمار المباشر بين البلدان وداخل البلد الواحد.

وينشأ التكامل الذي تستند إليها المثلثات من الاختلاف في مراحل التنمية الاقتصادية بين الأطراف المنضوية فيها، واختلاف المتوفر من عوامل الإنتاج بين الأقاليم التي يتشكّل منها المثلث. وبذلك يكون التباين لا التشابه المفتاح الأساسي لنجاح التجربة. فمثلاً كان السبب وراء قيام مثلث نمو يشمل مناطق في سنغافورة وأندونيسيا وماليزيا وجود صناعات كثيفة العمالة في الأولى وقوة عمل فائضة وشابّة في الثانية وامتلاك ماليزيا موارد مائيّة وافرة.

ويفترض أن تكون الأقاليم في المثلثات متجاوزة لتحقيق الإنسيابية في حركة عوامل الإنتاج وإحراز وحدة السوق، مع وجود التزام سياسي قويّ للتغلب على العقبات وإنفاذ الإجراءات والسياسات والقوانين ذات الصلة والتي قد تواجه معارضة داخلية، كتلك المتعلقة بالتعرفات وتنظيم سوق العمل والتمويل والاستثمار وسوق الصرف.

ويأخذ الاستثمار في البنى التحتية حيزاً واسعاً في تجربة المثلثات، إذ ينطلق التعاون ما دون الاقليمي عادة من الرغبة في تحسين كفاءة المشاريع وتحفيز الاستخدام المشترك للموارد الطبيعية، وبالخصوص في مجال شبكات النقل والاتصالات والموارد المائية (يطلق على ذلك في بعض التجارب **Five opens and one leveling** والذي يعني: جعل إمدادات المياه والطاقة والطرق والاتصالات، مفتوحة الاستخدام لقطاع الأعمال وغيره، وإتاحة استثمار الأراضي للبناء). وإلى جانب القرب الجغرافي والمصلحة المشتركة في التنمية، يُنظر إلى الروابط الثقافية والأثنية على أنها عاملٌ رئيسي مساعد في توطيد فرص التعاون العابرة للحدود.

وبناء عليه، تتوزع العوامل المؤثرة في إنشاء المثلثات بين مجموعتين: عوامل مردها الاختلاف والتباين وتشمل المزايا التفاضليّة والموارد المتاحة والأسعار ودرجة التقدّم، وأخرى تنبثق من التشابه والقرب وتضمّ الاتصال الجغرافي والثقافة والهوية والالتزام السياسي.



### خيارات التكامل

يرتبط نجاح التكامل الاقتصادي الكليّ بين بلدين أو أكثر بالتنمية الاقتصادية في الإقليم، فكلما ارتفع مستواها زادت إمكانية أن يحقق التكامل أهدافه وعظمت مفاعيله. وتعبّر "منهجية تقويم التكامل الإقليمي RIE"<sup>(1)</sup> التي أعدها ونشرها بنك

(1) Donghyun Park and Mario Arturo Ruiz Estrada; A Multi-dimensional Framework For Analyzing Regional Integration Evaluation (RIE) Methodology; Asian Development Bank ADB; ADB Working Paper Series on Regional Economic Integration; No 49.

التنمية الآسيوي عام ٢٠١٠، عن ذلك من خلال مؤشرات كميّة رئيسيّة وفرعيّة.

وتتضمن المنهجية أربعة مراحل: الأولى: إعداد قاعدة بيانات واسعة ومتعددة الأغراض عن الإقليم محلّ البحث. الثانية: قياس مؤشرات التنمية الإقليمية الشاملة الأربعة: التنمية السياسيّة  $X_1$  والاجتماعية  $X_2$  والاقتصاديّة  $X_3$  والتكنولوجيّة  $X_4$  والتي يتكون كل منها من مجموعة من المتغيرات الفرعيّة. الثالثة: قياس المؤشر الشامل للتنمية الإقليمية RGD والذي يساوي حاصل جمع القيم الناتجة عن ضرب المتغيرات الزوجية المتتالية الموضوعة على محورين أفقي وعمودي  $(X_1, X_2)$  و  $(X_2, X_3)$  و  $(X_3, X_4)$  و  $(X_4, X_1)$ . والرابعة: قياس مؤشر التكامل الإقليمي RIS الذي يساوي المتوسط الحسابي لمؤشرات التنمية الأربعة.

لو طبقنا هذه المنهجية على النطاق المشرقي الذي يضمّ لبنان وسوريا والعراق، فسنحصل على مؤشر منخفض للتكامل الإقليمي RIS ربطاً بضعف ركائز التنمية فيها. وهذا مماثل لوضع دول رابطة جنوب شرق آسيا (آسيان) الذي يساوي مؤشر التكامل فيها نصف مثيله تقريباً في منطقة الإتحاد الأوروبي، علماً أنّه شهد ارتفاعاً من ٣٠ في الثمانينيات إلى ٤١ في العقد الأول من الألفيّة، بسبب تحسّن أوضاع التنمية في دول المنطقة، فيما تراجع مؤشر الإتحاد الأوروبي من ٨٣ إلى ٧٨ في المديتين بعد انضمام دول ذات مستوى تنمية أقل مثل قبرص ودول شرق أوروبا والبلطيق.

وبخلاف التكامل الكليّ بين الدول الذي من شروطه المسبقة التقدّم الاقتصادي وتقارب مستوى التنمية، فإن مبررات قيام مثلثات النمو يكمن في وجود فروق في التنمية والدخل والموارد ومجالات الإهتمام بين المناطق المنضوية فيها. وبذلك تكون فرص النجاح المرجو من التكامل الجزئيّ في النطاق المشرقي المذكور أقرب منالاً من التكامل الشامل.

ويُستند في التحليل المناطقي لإمكانية قيام مثلثات النمو إلى عناصر عدّة نختار منها الآتي: وجود أقطاب مركزية لديها القدرة على نقل آثار النمو إلى أقطاب ثانوية

والمناطق المجاورة لها، وشبكات بنى تحتية فعّالة، وتاريخ من العلاقات التجارية والاقتصادية بين السكان، بما يسهّل التكيف مع التحولات الناجمة عن ربط المناطق بعضها ببعض.

ومن الناحية النظرية يقع النطاق التكاملي للبنان في خمس دوائر: دائرة دول المشرق العربي (العراق وسوريا والأردن) ويضاف إليها في الثانية مصر ودول الخليج وفي الثالثة إيران وتركيا، وفي الرابعة الامتدادان المتوسطي والآسيوي وفي الخامسة باقي العالم. لكن فضاء التكامل الفعلي للبنان يركز عملياً إلى الدول التي ما زالت تلتزم سياسة المقاطعة مع العدو، والتي ترفض الإنجرار إلى مخطّط التطبيع الهادف إلى ربط مصالح دول في المنطقة بـ"إسرائيل". وبذلك تكون سورية والعراق العمق الجيو-اقتصادي للبنان الذي يمثّل بدوره أحد المنافذ المتوسّطة الهامّة للداخل العربي وللمشاريع الآسيوية الطموحة.

### مقارنة المزايا في النطاق اللبناني-السوري-العراقي

منهجياً، يُفترض أن لا ينحصر تحليل أوضاع المثلثات بالأقاليم المرشحة أن تكون جزءاً منها، بل يتعداها ليشمل المزايا التفاضلية للاقتصاد ككل التي تتفرع منها المزايا المنطقية في كل بلد. ويكتسي هذا الأمر أهمية خاصة في لبنان في ظل ما تواجهه مشاريع التعاون والشراكة مع الدول العربية من تحديات وعقبات وعقوبات.

ولعل مقارنة الاكتشاف الذاتي Self-discovery للمزايا، هي الطريقة الأفضل في تحرّي الإمكانيات التي تنطوي عليها مثلثات النمو، بحيث يُخطّط للتنمية انطلاقاً من التجارب الناجحة التي يحققها المبادرون ورواد الأعمال والتكنولوجيا الجديدة. وهذه المقاربة هي البديل عن النهج التقليدي الذي يستكشف المزايا بناءً على تقديرات الباحثين والمخطّطين الذين يضعون تصوراتهم عنها باستخدام أدوات وتقنيات معقّدة، انطلاقاً من فرضيات يضعونها بأنفسهم.

وفي هذا السياق، تلتقي الدراسات التي حلّلت نقاط قوة الاقتصاد اللبناني على

امتلاكه مزايا تنافسيّة في قطاعات التعاقد الخارجي في مجال المعرفة والتصنيع الزراعي والسياحة الداخليّة المتنوعة والصناعات الكيماوية. ويُظهر لبنان ريادةً في خدمات التعليم والصحة ومهارات التسويق، ويمكنه كذلك أن يكون مركزاً للسياحة الاستشفائيّة والإبداع إقليمياً وموطناً للصناعات الغذائيّة وإنتاج مواد البناء والمنتجات الاستهلاكيّة ذات التصاميم المبتكرة. وبطبيعة الحال لا يمكن التحقق مما إذا كانت هذه المزايا مازالت قائمة في ضوء ما أبرزته الأزمة من حقائق، لكن استخدام أسلوب الاكتشاف الذاتي أبرز قوة تنافسيّة في مجال البرمجيّات وصناعة الإعلان والأعمال الهندسيّة والصناعات الغذائيّة. وتشير المعايينات الأولى إلى زيادة قيم الاستثمار في الإنتاج الحيواني وصناعة الأدوية وبعض مواد البناء، كما أسهم الاستثمار الكثيف في أنظمة الطاقة الشمسيّة إلى خلق ميزة إضافية يمكن أن تتطور مع مرور الوقت.

في المقابل تتمتع سورية بمزايا تنافسيّة (قبل الحرب) في قطاعات الزراعة (حوالي ٢٠ بالمئة من الناتج) والنفط، والصناعة التي لامس ناتجها الناتج المحلي (٢٣.٢٪ عام ٢٠١١). يتسم الاستثمار الصناعي في سورية بحضور قوي للقطاع العام الذي كان يدير حوالي ٤٠ بالمئة من المؤسسات الصناعية والباقي تولّاه القطاع الخاص. وتستخدم في الصناعة السوريّة التقنيات التقليدية في العديد من المجالات (كالمنسوجات والصناعات الغذائيّة والإسمنت) مع حضور متممٍ للتقنيّات المتوسطة والعالية في مجالات أخرى كصناعة الأدوية والأجهزة الكهربائيّة والالكترونيّة وتجميع السيارات التي انطلقت قبيل الحرب لخدمة السوق المحليّ. ويستفيد الاقتصاد السوري من الانخفاض النسبي للأجور ومن خصائص الموقع الجغرافي وتوفر بعض الموارد الطبيعيّة، لكنه لم يكن قد استنهض بعد مزاياه التنافسية الكامنة المتصلة بالابتكار والتجديد. ولذلك كانت سورية أقلّ قدرة من جوارها على جذب الاستثمارات الأجنبيّة المباشرة برصيد قارب ١٠.٣ مليار د.أ عام ٢٠١١، في مقابل ٤٠.٦ مليار د.أ للبنان و ٣١.٤ مليار د.أ لتونس و ٢٣.٤ مليار د.أ للأردن. ومع ذلك كانت حصة الصناعة من مجموع هذه الاستثمارات أكبر في سورية منها في لبنان.

ويمكن القول بأنّ سورية تتمتع بميزة في المجالات ذات التكنولوجيا المتوسطة، وفي القطاعات كثيفة العمالة، فرغم تحسّن مستوى التعليم في صفوف القوى العاملة ما زال حملة الإجازات الجامعيّة فيها أقل من ثلث ما كان عليه الحال في لبنان قبل الأزمة (٦ بالمئة في سورية مقابل حوالي ٢٠.١ بالمئة في لبنان). ويقف القطاع العام السوري وراء تقدّم بعض الصناعات الحيويّة كالأدوية والكيمائيات فضلاً عن قطاع الاستخراج الذي تبددت عوائده بعد الحرب.

أمّا لبنان فيحظى بفرص واعدة في المبادرات الابداعيّة التي تحتضنها المؤسسات الناشئة، وبأفضليّة ملحوظة في الأنشطة القائمة على المعرفة وقوة العمل الماهرة رغم أزمته الماليّة وقصور سياساته. ويبرز ذلك في تقدم لبنان على سورية (قبل الحرب) في مؤشر الابتكار (المرتبة ٦١ عالمياً للبنان و ١٣٢ لسورية) وفي التنمية البشرية (المرتبة ٩٣ مقابل ١١٩؛ وبقية المؤشر: ٠.٧٣ مقابل ٠.٦٣). ويتقدّم لبنان بأشواط عدّة على سورية في مؤشرات الجاهزيّة التقنيّة: جودة التعليم (المرتبة ١٢ للبنان و ٩٦ لسورية) وجودة تعليم الرياضيات والعلوم (المرتبة ٦ مقابل ٦٢)، جودة المدارس وكلّيات الإدارة (المرتبة ١٨ مقابل ١٠٨)، البحث والتدريب (المرتبة ٥٤ مقابل ١١٠). وفي المقابل يتجلّى ضعف القطاع العام في لبنان في تدني مؤشرات جودة البنى التحتية؛ في مجال الطرقات (الرتبة ١١٥ للبنان و ٦٨ لسورية) والطاقة (١٤١ مقابل ٩٢) لكنه يتقدم في القطاعات شبه المخصّصة كالموانئ (المرتبة ٦٢ للبنان مقابل ١١٢ لسورية) والنقل الجوي (٤٣ مقابل ١٢٥) وتتقدم سورية على لبنان بثلاث مراتب في مجال الأداء اللوجستي.

وتتركّز مقوّمات المنافسة في العراق في قطاع النفط مع وجود إمكانات كامنة في مجالات التمويل والطاقة وإلى حدّ ما في الزراعات الواسعة والصناعات القاعدية الثقيلة. وتبدو المزايا النسبية للعراق (المرتبطة بالموقع والموارد الطبيعيّة) متطابقة إلى حدّ كبير مع ميزاته التنافسيّة (المحدّدة على أساس حركة الانتاج والمدخلات

البشرية والمعرفية) نظراً إلى الحصة الوافرة للنفط من ناتجه المحلي القائم (٤٢.٩ بالمئة عام ٢٠٢٠). فيما لا تمثل الصناعات التحويلية أكثر من ١.٣ بالمئة منه والزراعة حوالي ٤.٧ بالمئة، والنقل والاتصالات ٨.٤ بالمئة، ما يؤكد اعتماد اقتصاده على المواد الأولية والموارد المحلية غير القابلة للتبادل الدولي.

وبناء عليه، هناك قاعدة قوية للتكامل بين دول المشرق العربي الثلاث، تستند إلى عوامل التقارب المتمثلة في الإرادة السياسية والجوار الجغرافي والروابط التاريخية، وعوامل التباين التي يعبر عنها تنوع المزايا النسبية والتنافسية واختلاف درجات التنمية بدلالة متوسط الدخل الفردي (الذي كان يساوي في لبنان ضعف مثليه في سورية والعراق عشية الحرب السورية)، وما يزيد خيار التكامل أهمية وجدوى مساهمته، الأكدية في تخفيف أثر العقوبات وتعطيل بعض مفاعيل قانون قيصر الذي يمنع إعادة إعمار سورية وينعكس سلباً على الأداء الاقتصادي للدول المحيطة بها.

ومن العناصر الأخرى المؤيدة للتكامل، تنوع الموقع، فالعراق يطلّ على الخليج وله حدود طويلة مع إيران تجعله الممرّ الأسهل إليها، وتمتلك سواحل لبنان مزايا مكانية عدّة بالنسبة إلى وسط سورية وجنوبها والأردن ووسط العراق وجنوبه، ولدى موانئ الشمال السوري خصائص مماثلة تجاه الشماليين السوري والعراقي. ويمهد التنوع الجغرافي لقيام اعتماد متكافئ متبادل بين الدول الثلاث في خطّ الذهاب والإياب بين شواطئ المتوسط من ناحية والخليج وآسيا من ناحية ثانية، والذي هو محلّ عناية دول التطبيع من خلال الحديث عن ربط ميناء جبل علي بمرفأ حيفا، في مقابل طريق التنمية الذي يصل ميناء الفاو بالساحل الشرقي للمتوسط في سورية ولبنان.

وبالتقاطع مع ذلك يتنافس مشروعان آسيويان على الاستفادة من الموقع الحيوي للخليج والمشرق العربي: الأول يتمثل في مبادرة الحزام (البري) والطريق (البحري) التي أطلقتها الصين عام وتطمح من خلالها إلى ربط بلدان العالم بعضها ببعض عبر استثمارات ضخمة في البنى التحتية (تقدّر بـ٢٦ تريليون د.أ حتى عام ٢٠٣٠) التي

ينتظر اكتمال مخططاتها عام ٢٠٤٩. وتمرّ نصف خطوط هذه المبادرة في منطقة الخليج والمشرق العربي وجوارهما، الأمر الذي يحثّ بكين على تكثيف صلاتها بالمنطقة وتعزيز شراكتها بدولها وزيادة استثماراتها في خطوط النقل البحري ولا سيما في موانئ الخليج.

وتواجه الولايات المتحدة الأميركية التمدد الصيني في المنطقة بمشروع ثانٍ يهدف إلى ربط الهند بالشرق الأوسط وبلاد الشام عبر الموانئ الخليجية وشبكة من السكك الحديدية تعبر بلدان المنطقة وتصل إلى شواطئ المتوسط. وقد ناقشت واشنطن الأمر مع السعودية والهند والإمارات في اجتماع عقد في أيار ٢٠٢٣. لكن فكرة المشروع تعود لـ إسرائيل التي طرحتها في منتدى U2 A2 (تأسس عام ٢٠٢١) ويضم دولة العدو وأميركا والإمارات والهند) وتطمح من ورائها إلى تعزيز موقع الكيان على خارطة التجارة الدولية. وكانت الإمارات وقّعت في شباط من عام ٢٠٢٢ اتفاقية شراكة استراتيجية مع الهند تهدف إلى مضاعفة حركة التبادل مع الهند، وتشمل مشاريع طموحة من بينها إنشاء قطار فائق السرعة تحت البحر يربط إمارة الفجيرة بمومباي.

### استطلاع الطريق نحو مثلثات النمو في المشرق العربي:

يضمّ لبنان على ما ورد في الخطة الشاملة لترتيب الأراضي أربع مجموعات سكانية<sup>(١)</sup>: المنطقة المدنية المركزية في بيروت وجبل لبنان، وعاصمة الشمال، والتجمعات السكانية الكبرى في البقاع (محور زحلة - شتورا - بعلبك) والجنوب (صيدا وصور والنبطية). وفي إطار ذلك تقترح الخطة هيكلية مدنية على امتداد الأراضي اللبنانية، تضمّ بيروت الكبرى والمدن/المعابر (جبيل وصيدا) وعاصمة الشمال وضواحيها، وأقطاب التوازن في الداخل (زحلة وشتورة والنبطية)، والمدن التراثية العظمى (صور وبعلمك). وتمثّل هذه الأقطاب انطلاقاً من مزاياها الاقتصادية

(١) رئاسة الحكومة اللبنانية؛ الخطة الشاملة لترتيب الأراضي اللبنانية - التقرير النهائي؛ بيروت: مجلس الإنماء والإعمار؛ تشرين الثاني ٢٠٠٥.

بؤرة تحريك للتنمية التي تمتد من المراكز الرئيسية إلى عشرات الأقطاب الثانوية وما يحيط بها أرياف (الهرمل، اللبوة، دير الأحمر رياق، جب جنين....، حاصبيا، مرجعيون، الخيام، جزين، جويا، قانا، بنت جبيل، تبنين،... البترون، تنورين التحتا، اهدن، زغرتا، القبيات، شدرأ،...).

وفي كثير من الأحيان تتجاوز الوظائف الاقتصادية الممنوحة لأقطاب النمو الحدود اللبنانية. فتأهيل ميناء طرابلس المقترح في الخطة هو خيار استراتيجي غرضه اكتساب الأولوية في تأمين حركة نقل البضائع والترانزيت من سورية والعراق وإليهما عبر خط سكة حديد. الأمر نفسه بالنسبة إلى قطب التوازن (زحلة-شتورا)، الذي يمكنه احتضان منطقة صناعية حديثة تربط بشكل فعال بشبكة طرق وخط قطارات متجه نحو دمشق، ومن شأن ذلك أن يوفّر عامل جذب للاستثمارات التي يستفيد منها البلدان وتتحاشى بطريقة ما العقوبات.

وفي السياق نفسه يفترض أن تكتسب النبطية وظائف جديدة ترفعها إلى مرتبة قطب مركزي، فتشكل امتداداً خدمتياً ولوجستياً للمنطقة الصناعية على محور الغازية الزهراني، وتستفيد من موقعها المتميز على خط الترانزيت المحتمل بين الساحل المتوسطي والداخل العربي السوري والأردني العراقي فيما لو جرى استحداث مرفأ جديد متخصص جنوب صيدا (الزهراني). وتتأخم هذه المنطقة الإقليم الجنوبي السوري الذي تطمح بعض الدراسات<sup>(١)</sup> إلى جعله منطقة تنمية (تضمّ السويداء، درعا، القنيطرة)، تشغل حوالي ٦ بالمئة من مساحة سورية وتضمّ (قبل الحرب) حوالي ١٥ من سكانها. هذه الخصائص تمهد لقيام مثلث نمو يخترق الحدود اللبنانية السورية، والسورية-العراقية-الأردنية، ليكون (بعد تخطي الأزمات الراهنة) قطباً اقتصادياً (بامتدادات اقليمية وعالمية)، يحظى بإمكانات زراعية وصناعية وحرفية كبيرة،

(١) رهام فاخوري ورولا ميا: استراتيجية مثلثات النمو؛ الرياض: مجلة العمارة والتخطيط؛ م (٢٦)؛ ٢٠١٤-١٤٣٥؛ ص: ٢٥-٥٩.

وبموقع جغرافي يضعه على تماس مع أربع دول، ويمكنه في وقت ما أن يحتضن قاعدة خدماتية ولوجستية داعمة لعمليات إعادة إعمار سورية.

وفي العموم، ينبغي دمج المقدرات المتاحة في المثلثات المشرقية: الإمكانيات السورية في الصناعات الاستهلاكية والكيميائية والقدرات التي أبرزها لبنان في مجال التكنولوجيا والمعلوماتية، وخبرة كلا البلدين في الصناعات الغذائية. يمكن الارتكاز أيضاً إلى تباين جودة البنى التحتية بين البلدين، فيستفيد لبنان من الأفضلية السورية في قطاعات الطاقة والمياه والطرق، وسورية من أرجحية لبنان في مجالي النقل الجوي والبحري. ويفترض أن يُلاحظ في أي توزيع محتمل للمهام الأسبعية التي يتمتع بها القطاع الخاص في لبنان والقطاع العام في سورية، ويفترض تصميم مشاريع مشتركة يكون الغرض منها توظيف الكفاءات اللبنانية وامتصاص فوائض سوق العمل في البلدين، وإيجاد موئل للخبرات الصناعية السورية المهاجرة.

يجب التفكير أيضاً بتوطيد الصلة بين المناطق السياحية في البلدان الثلاث، التي بوسعها أن تستوعب حزماً موحدة من الخدمات بتكاليف مخفضة، وتلبية كل أنواع الطلب السياحي (سياحة دينية، بيئية، ثقافية، عائلية، ترفيهية...) والاستفادة إلى أقصى حد من اختلاف بنية الأسعار وتكاليف الإنتاج في البلدان الثلاث.

### ثلاثة محاور:

في التحليل أعلاه، تبيننا المقاربة التي ترى أنّ خيار التكامل ما بين المناطق الفرعية في لبنان وسوريا والعراق، أكثر واقعية وجدوى من التكامل على المستوى الكلي. وتعرّز فروق التنمية والموارد وتنوع المقدرات الاقتصادية فرص قيام مثلثات النمو، فيما تؤدي دوراً معاكساً في التكامل الاقليمي الشامل الذي يظلّ خياراً مطلوباً في المدى البعيد لكنه محفوف بصعوبات وعقبات كثيرة في الأفق المنظور.

ويحتاج تحديد المثلثات في المجال المشرقي إلى دراسات مستفيضة وتحليل مفصّل للموارد والإمكانات في جميع أقاليم هذه البلدان ومحافظاتها، كما يفترض انتظار

جلاء غبار الأزمات والتوترات والسياسات الخارجية الراهنة التي تحول دون تطوير السياسات العامة والاستراتيجيات المشتركة في المنطقة. ومع ذلك يمكن أن ننطلق من الاستطلاع الأولي أعلاه لتحديد المحاور الجغرافية الأساسية التي يفترض أن تتموضع في أماكن منها مثلثات النمو.

وقد راعينا في اختيار المحاور الثلاثة أدناه توفر خمسة خصائص: وجود منفذ بحري واحد على الأقل، وإمكانية إقامة نظام نقل بري سريع ومتطور عماده السكك الحديدية، والقرب من التجمّعات السكانية الكبرى بوصفها في آن معاً خزاناً لقوة العمل وسوقاً لتصريف البضائع، ووفرة الموارد الطبيعية ومصادر الطاقة، وامتلاك ركائز إنتاجية يمكن البناء عليها في جذب الاستثمارات. والمحاور هي الآتية:

### محور الزهراني / النبطية / الجنوب السوري

امتداداً إلى العمق العربي. والذي يحظى بموقع متميز ومنفذ على المتوسط (مرفأ الزهراني) يصلح لعبور البضائع إلى الداخل وتأمين مستلزمات إعادة الإعمار في سورية بأكلاف مخفضة. يمكن هذا المحور أيضاً أن يستقبل مناطق خدمتية متقدمة قادرة على استيعاب التكنولوجيا الحديثة وأيدي عاملة متنوعة الخبرة، وبوسعه كذلك أن يحتضن مناطق صناعية مشتركة في لبنان وسورية، وستحظى هذه المناطق بفرصة الحصول على إمدادات طاقة بأسعار منافسة من العراق. من الممكن أيضاً إقامة مصافي تكرير النفط ومحطّات تسييل الغاز في أماكن مختارة من الساحل الجنوبي للبنان، وسيكون لوفورات الحجم الكبير انعكاسات ملموسة على تنافسية النشاط الاقتصادي في هذا المحور الذي سيشهد تطوراً هاماً في حال العثور على البترول في الرقعة رقم ٩ على الحدود الجنوبية مع فلسطين المحتلة.

### محور خط العواصم

الذي يضمّ بيروت ودمشق وبغداد مروراً ببعبك-زحلة وامتداداً إلى وسط العراق وجنوبه. يتمتع هذا المحور بموارد وإمكانات كبيرة في مجال نقل البضائع

والأشخاص، والتي يؤدي تعزيزها بين البلدان الثلاث إلى خفض تكاليف النقل وتمهيد الطريق أمام قيام نطاق سياحي وتجاري متكامل، وفي هذا السبيل يفترض توزيع الأنشطة المرفئية وحركة العبور والسياحة والخدمات الماليّة، بين المناطق في هذا المحور بما يتناسب مع خصائصها ومميزاتها.

إن قيام مثلث نمو أو أكثر على هذا المحور سيمنح البلدان الثلاثة دوراً مفصلياً في المشاريع الاقتصادية الآسيوية، ويمكن الاستناد إلى التكامل بين العواصم في تعظيم فعالية الاستثمار في الموارد العراقيّة، والتخلّص من آثار الحرب السوريّة، وإعادة هيكلة الاقتصاد اللبناني بعد الأزمة الماليّة، وبالخصوص معالجة أوضاع القطاع المصرفي من خلال إعطائه طابعاً استثمارياً ما فوق وطني وإدخال مساهمين إقليميين فيه.

### **محور طرابلس والهرمل الذي يضم أيضاً أجزاء من الشماليين السوري والعراقي وصولاً إلى الخليج**

تحتوي هذه المنطقة على مقدرات صناعية وزراعية وخدماتية تسهّل وصل لبنان وسوريا بطريق التنمية. يحتوي المحور منفذاً بحرياً هو ميناء طرابلس الذي يمكن تطويره ليغدو قادراً على خدمة بعض مناطق الشمال السوري والعراقي ووسطهما وصولاً إلى منطقة الخليج عبر مرفأ الفاو المستحدث. يمكن أيضاً تقاسم مهام النقل البحري ضمن شبكة تضم مرفأ طرابلس ومينائي اللاذقية وطرطوس.

ويمتلك المحور قدرة على استيعاب الاستثمارات الصناعية المهاجرة من حلب، المدينة التي كانت تحتضن قبل الحرب مناطق صناعية هائلة ضمت حوالي ١٢ ألف



مؤسسة صناعية تعمل في مجالات الصلب والحديد والأجهزة الكهربائية والأدوية والالكترونيات والبرمجيات والصناعات الاستهلاكية. ويمكن إعادة إطلاق بعض هذه الصناعات في مناطق أخرى في البقاع والشمال اللبنانيين ولو بصورة مؤقتة بانتظار إعادة إعمار المدينة. ويقع في نطاق المحور نفسه سهل الغاب الذي تقارب مساحته الألف كيلومتر من الأراضي الزراعية الخصبة، والتي يمكن أن تتكامل زراعياً وفي مجال الانتاج الحيواني مع سهل البقاع ومنطقة الهرمل.

## الختم

يظهر التحليل الأولي المزايا التي يمكن اكتسابها من مثلثات النمو بوصفها رافعة للتنمية الوطنيّة والإقليميّة. تحتوي المحاور الثلاث آنفاً على إمكانيات واعدة للتكامل، ومن شأن ربط سلاسل الانتاج بعضها ببعض أن يوفر عوائد إضافية مقارنة بالوضع الراهن. وبطبيعة الحال نحتاج إلى تحليل فني وتقني معمق ومفصل من أجل تحديد النطاقات الاقتصادية والجغرافيّة لمثلثات النمو العابرة لحدود البلدان الثلاث، ويجب الاستناد في ذلك إلى رؤية عامّة للتعاون على المستوى الاقتصادي الكليّ وللمشاريع الكبرى المشتركة ونظرة مستقبلية استباقية إلى موقع دول المشرق من التحولات الاقتصادية في العالم. والطموح هو أن تكون المنطقة نقطة جذب للاستثمارات الآسيوية في مجال البنى التحتيّة، وهذا يقتضي توسيع نطاق التعاون فيما بين بلدانها وتعميق التشابك بين قطاعاتها ولا سيما في المجالات التي باتت تكتسب في عالم التنافس العالمي المحموم قيمة جيو-اقتصادية عالية.

## ملحق

التطبيع الاقتصادي وتحولاته<sup>(١)</sup>

تؤكد الأرقام والمؤشرات الواردة في الرسوم البيانية زيف الزعم الأساسي في بروباغندا، والتي تصوّره بآباً مفتوحاً على مصراعية نحو التقدم والنمو وجنة التنمية. لكن الأداء الاقتصادي للدول التي عقدت "اتفاقيات سلام" لم يتغيّر نحو الأحسن بعدها، بل إنّه ازداد سوءاً وتردياً في مجالات عدّة، وفي معظم الأحيان والحالات كان هذا الأداء أقل من أمثاله في أداء دول عربية غير مطبّعة، بل عرضّ التطبيع اقتصادات تلك الدول لانكشاف خطير على الخارج قلّل مناعتها في وجه الصدمات وكسّ طابعها المتقلّب وغير المنتج. ففي مصر أعقب توقيع اتفاقية كامب ديفيد مضاعفة نسبة الدين العام إلى الناتج المحلي، من حوالي ٦٠ بالمئة (١٩٧٨) إلى ١٤٠ بالمئة تقريباً (١٩٨٨)، كما زاد عجز حسابها الجاري (الخارجي) إلى ما يقارب ١٠ بالمئة من الناتج (١٩٨٠-١٩٨١). ولم يكن الأمر مختلفاً في الأردن الذي لامس عجز حسابه الجاري ١٥ بالمئة من الناتج عام ١٩٩٣ بالتزامن مع توقيع اتفاقية "وادي عربة". وللمقارنة سجل رصيد الحساب الجاري إلى الناتج نتائج أفضل في سورية منه في الأردن ومصر، فحقّق هذا الرصيد فائضاً في العديد من السنوات، وعجزاً أقلّ في سنوات أخرى. ويدل تفاقم اختلال الميزان الخارجي للدول الموقّعة، على عقم شعار التسوية من أجل التنمية، ووقوف "اتفاقيات السلام" حجر عثرة أمام قيام دولة قويّة قادرة على تجنيد ما تملكه من طاقات بشرية ومادية في سبيل أهدافها، أو حتى دولة صلبة لديها قطاع عام فعّال قادر على الإنجاز، لتستبدل هذه وتلك بدولة رخوة تجاه الخارج وضيقة الأفق والآمال في الداخل.

وفي العقود التي أعقبت "السلام"، كان نمو نصيب الفرد من الناتج بطيئاً في الدول المطبّعة ومتراجحاً في بعض السنوات، وفيما قدر الناتج للفرد بـ ٨ آلاف د.أ و ١٢ ألف

(١) من محاضرة للكاتب قُدّمت في ندوة التطبيع وآليات الإفقار الثقافي والاقتصادي والمجتمعي،

د.أ في لبنان وسورية على التوالي عام ٢٠٠٩ وأقل بقليل من ٦ آلاف د.أ في الجزائر كان نصيب الفرد في مصر أقل من ٤ آلاف د.أ وما يزيد عن ذلك قليلاً في الأردن.

وفي مجال التنمية وتطور الهيكل الاقتصادي، شهدت حصة الصناعة من الناتج المصري تراجعاً مطّرداً على إثر توقيع اتفاقيات كامب ديفيد وبقيت حتى تاريخه أقلّ من المعدل العام في العالم العربي ومن معدّل إيران (إلى حين تشديد العقوبات الأميركية عليها)، وكانت النسبة في سورية أعلى منها في الأردن في السنوات التي أعقبت توقيع الأخير اتفاقية وادي عربة إلى حين اندلاع الحرب السوريّة.

ويعدّ نموذج التطبيع الجديد الأخطر كونه يتموضع داخل استراتيجية تحالفية أوسع، ويعبّر عن نفسه من خلال المشاريع المشتركة ولا سيما في مجال خطوط الغاز التي حجزت للعدو مقعداً في ائتلافات الطاقة في المنطقة (مثل منتدى غاز شرق المتوسط الذي تأسّس عام ٢٠١٩)، ومن خلال التطبيع المنفلة من عقاله الذي يسعى إلى أن يكون شاملاً وبعيد المدى ومتطوراً باستمرار ومتقدماً على كل أشكال التعاون والتكامل مع الدول الأخرى.

وأكثر ما ينطبق ذلك على مشاريع البنى التحتية العابرة للحدود التي تجعل الفرد المستهلك متلقياً سلبياً للمنتجات والخدمات الوادرة من دولة الكيان (كالغاز المنزلي والكهرباء والمياه...) مقارنة بالمستهلك الإيجابي القادر على القبول والرفض في حالات التطبيع التجاري العادي. وبذلك لا تعود المقاطعة المجتمعية ممكنة أو سهلة المنال إلّا ضمن حملات واسعة النطاق تنطوي على مقاطعة للمؤسسات العامة ومواجهة مع السلطة. (وها نحن نرى كيف أن التعاون والتبادل بين الدول المطبّعة وكيان العدو لم يتأثر أبداً ولم يهتزّ للقائمين عليه جفن، على الرغم من الدماء الغزيرة التي سالت في غزّة جرّاء العدوان السافر والهمجي للعدو عليها منذ عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، وها هو التطبيع يطلّ برأسه مجدداً بوصفه جزءاً ما خارطة طريق للحلّ يكون فيها التطبيع الشامل مع دول الخليج ثمناً لوقف العدوان).

ويتجاوز تطبيع بعض دول الخليج مع العدو حدود الاعتماد المتبادل في المشاريع الكبرى، إلى الاندماج الاقتصادي الذي سيكرّس تبعية بعض الاقتصادات العربية للاقتصاد الإسرائيلي. ويرسم لهذا الاقتصاد بروية دوراً مركزيّاً في المنطقة، لتكون دولة الاحتلال بالنسبة إلى الدول المطبّعة عقدة مواصلات، ومنفذاً على المتوسط ونحو أوروبا وصولاً على المحيط الأطلسي، ومحطة إقليمية للطاقة، ومصدراً للتكنولوجيا المتطورة، وبنية مؤسساتية يمكن الاعتماد عليها في التسويق والتصنيع والتجارة وتطوير الشراكات مع الغرب... والتسلّح والحرب.

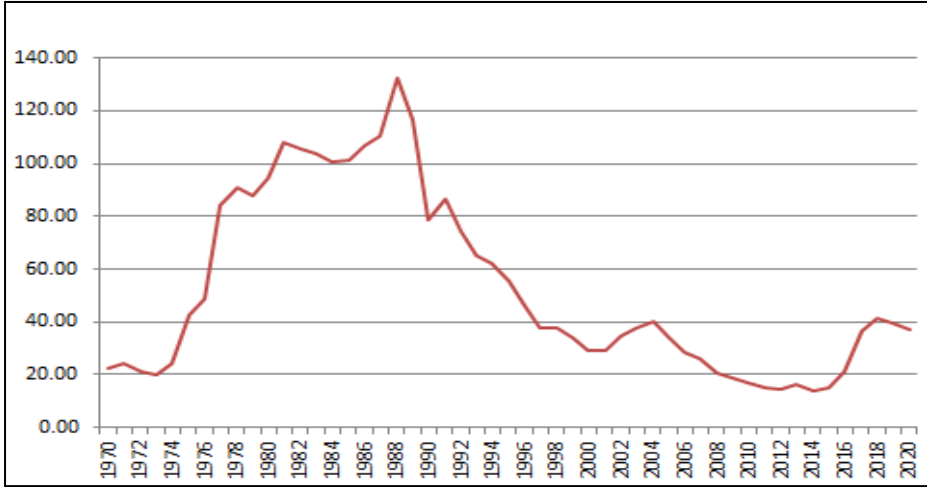
ومن النتائج المرتقبة لهذا الشكل من التطبيع إن قيّض له النجاح، حصول استقطاب إقليمي يمنع إحياء التكامل الاقتصادي العربي وتطويره وتنشيطه<sup>(١)</sup>. ومن شأنه أيضاً الإضرار بالمزايا التنافسية لبعض الدول، ومزاحمة الدول العربية غير الغنية على الموارد المالية بل وحتى البشرية، فكيان العدو أكثر جذباً لفوائض النفط من أي دولة أخرى، ولديه وفرة من الكفاءات قد تغني عن مثيلاتها الآتية من بلدان أخرى بما فيها لبنان.

---

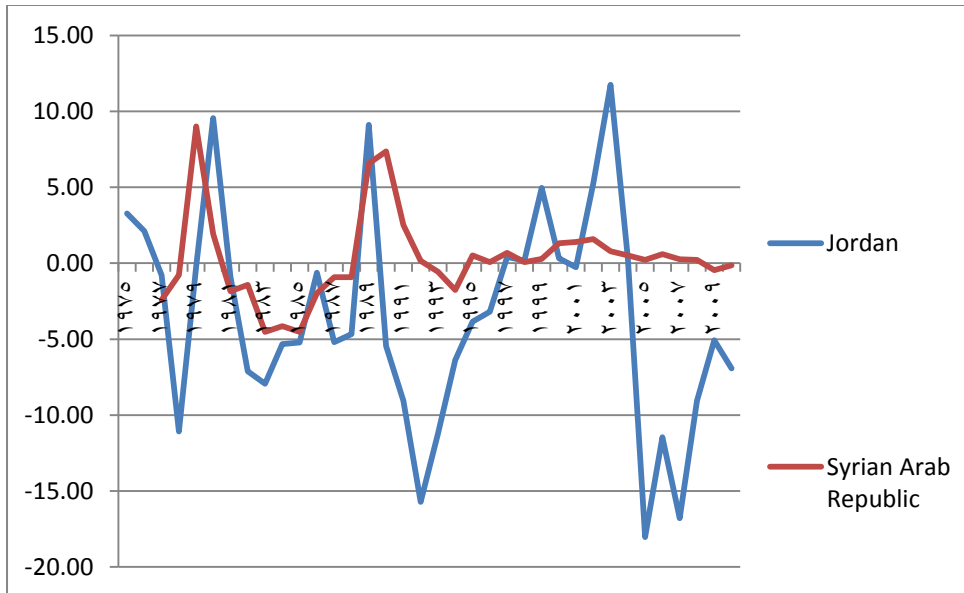
(١) في جلسة استماع أمام اللجنة الفرعية للشؤون الخارجية بمجلس النواب الأميركي عُقدت بتاريخ ٢١ أيلول ٢٠٢٢، قَدّم السفير الأميركي الأسبق في كيان العدو دان شايبير ورقة مكتوبة عن شراكات التعاون الأمني الإقليمي في الشرق الأوسط حلّ فيها مسارات التطبيع المنبثق من إتفاقيات أبراهام ومزاياها وسبل تعزيزها، ومن الاقتراحات التي أوردتها في الورقة تطوير منتدى النقب الذي أطلق في أعقاب قمة النقب التي عقدت في آذار ٢٠٢٢ بدعوة من وزير الخارجية الصهيوني ومشاركة ممثلين عن مصر والمغرب والبحرين والإمارات والولايات المتحدة، بحيث يضمّ المنتدى الدول المطبّعة الست وكيان الاحتلال و محاولة اجتذاب الفلسطينيين إلى المسار، ومن أهم المقترحات التي أوردتها شايبيرو التفاوض في إطار المنتدى للوصول إلى شراكات منظمة وأوسع نطاقاً، لإقامة اتفاقية تجارة حرة بين الدول الأعضاء ومنصة لتطوير التعاون والتشابك في مجالات التعليم والصحة والتكنولوجيا والاستثمار في الطاقة، كما يقترح تطوير منطقة إيلات-طابا-العقبة لتصبح منطقة مفتوحة للسياح بين مصر والأردن وكيان العدو.

الرسوم البيانيّة<sup>(١)</sup>

نسبة الدين العام إلى الناتج المحلي في مصر ١٩٧٠-٢٠٢٠

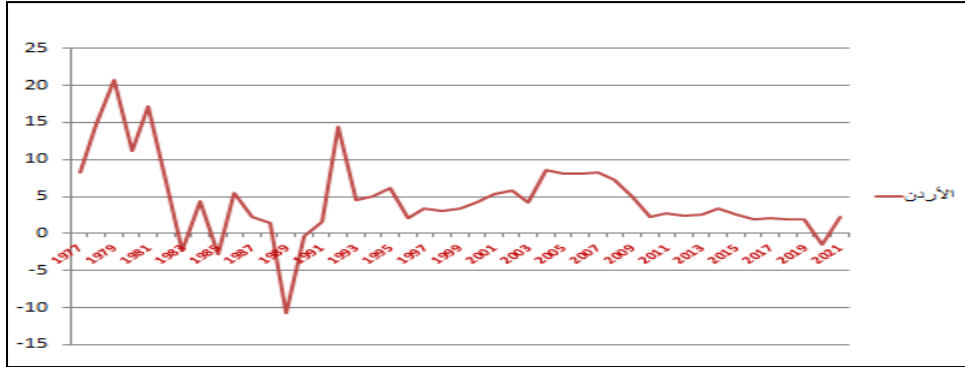


رصيد الحساب الجاري نسبة إلى الناتج في الأردن وسورية ١٩٧٥-٢٠٠٩

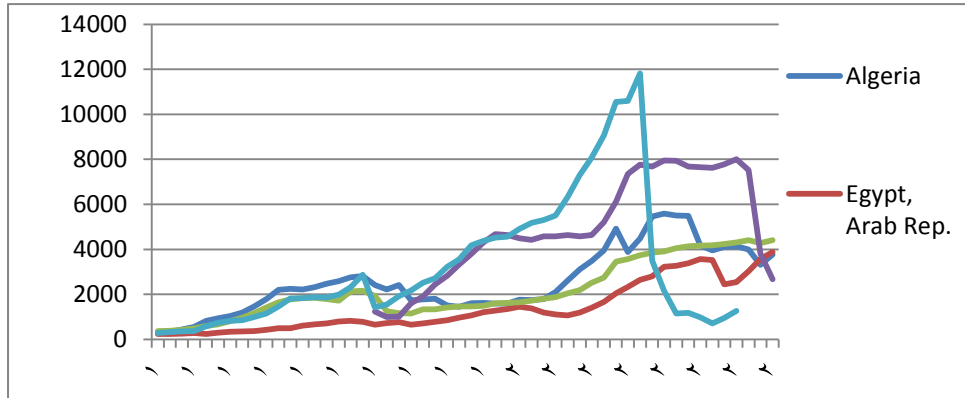


(١) من إعداد الكاتب بناء على قاعدة بيانات البنك الدولي

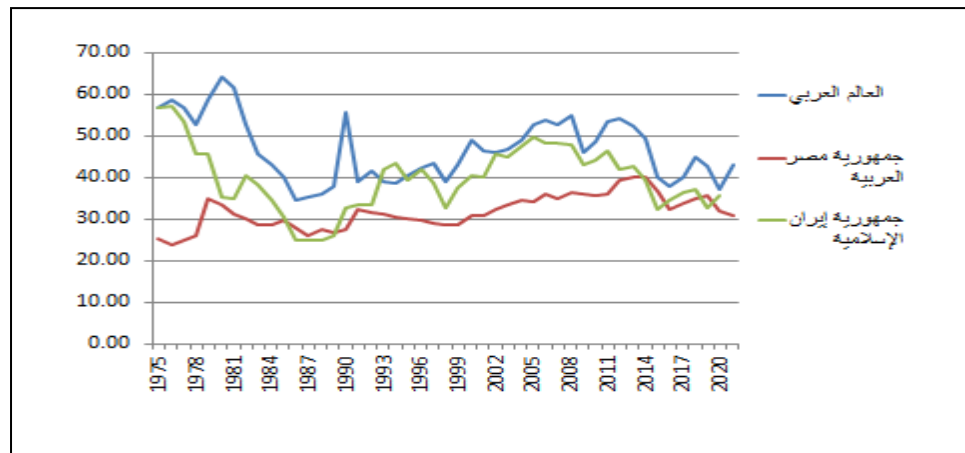
## النمو الاقتصادي في الأردن ١٩٧٧-٢٠٢١



## الناتج المحلي للفرد والأسعار الجارية (د.أ) ١٩٧٠-٢٠٢١



## تطور حصة الصناعة من الناتج في العالم العربي وايران ومصر ١٩٧٥-٢٠٢٠







**CONFERENCE ON THE FUTURE HORIZONS FOR THE FOLLOWERS  
OF AHLAL-BAYT (peace be upon them)**

Mohammed Baqer Ali Khan  
(Independent Study)

268, Bath Road, Slough, SL1 4DX, United Kingdom. Email:  
baq.khan20@gmail.com.

**Abstract**

This research paper explores the potential for collaboration among the followers of Ahlal Bayt (peace be upon them) globally to strengthen economic and educational well-being within their communities. While acknowledging the diversity within the Shia community, the paper specifically addresses opportunities, challenges, and solutions for collaboration, with a focus on the Indian Shia population. By fostering unity and cooperation, the paper aims to contribute to the socio-economic and educational

advancement of the Shia community on a global scale.

## **Introduction**

### **Background:**

The introduction provides an overview of the rich diversity within the Shia community, acknowledging the existence of various sects with unique traditions and practices. It highlights the need for collaborative efforts to address shared challenges and seize opportunities for mutual development.

### **Purpose of the Study:**

The goals of the research is to understand the potential for collaboration among Shia sects globally and identifying ways to enhance economic and educational prosperity. The purpose is to contribute to the broader well-being of the Shia community.

### **Scope and Limitations:**

The scope of the study is to specify the geographical and demographic parameters within which the research is conducted. It also acknowledges any constraints or limitations, such as cultural sensitivities or geopolitical challenges, that might affect the research.

## **Understanding the Shia at global & regional level**

Foremost, it is essential to understand the existence of the community with its strong emphasis on its faith and belief system. The followers of Ahlal Bayt (peace be upon them) or simply known as SHIA sect of Islam in general, has a long suppressed history since the time of the Holy Prophet (peace be upon him).

## **Understanding the Shia Sect:**

The Shia sect is one of the two major branches of Islam, the other being Sunni. Shia Muslims, or Shias, represent a significant portion of the global Muslim population. The division between Sunni and Shia Muslims emerged in the early years of Islam over differences regarding the rightful succession to the leadership of the Muslim community after the death of the Holy Prophet (peace be upon him). Shias believe in the leadership of Ali ibn Abi Talib (peace be upon him), the cousin and son-in-law of the Holy Prophet (peace be upon him), and his descendants, known as Imams, as the rightful successors.

## **Key characteristics and practices of Shia Islam globally include:**

**Imamate:** Central to Shia belief is the concept of Imamah, which asserts that the leadership of the Muslim community is divinely appointed and vested in the line of Imams, starting with Ali and continuing through eleven generations.

**Mourning Rituals:** Shias observe significant mourning rituals during the month of Muharram, especially on the day of Ashura, commemorating the martyrdom of Imam Hussain, the grandson of the Prophet Muhammad, in the Battle of Karbala in 680 CE.

**Distinctive Legal Schools:** Shias have their own legal traditions, with the Jafari school of thought being the most prominent. This school of thought differs from the Sunni Hanafi, Maliki, Shafi'i, and Hanbali schools in various legal interpretations.

**Cultural Diversity:** Shia communities are diverse and have distinct cultural practices depending on their geographical location. Prominent Shia populations exist in countries such as Iran, Iraq, Lebanon, Bahrain, and significant communities are found in South Asia, Africa, and other parts of the world.

Centrality of Karbala: The city of Karbala in Iraq holds great significance for Shias globally due to its association with the martyrdom of Imam Hussain. Pilgrimages to Karbala are an essential aspect of Shia religious practice.

### **Strength of the Shia sect in India:**

In India, the Shia Muslim population constitutes a significant portion of the overall Muslim community. While India has a predominantly Sunni Muslim majority, Shia Muslims have a distinct presence with their own cultural and religious traditions. Key features of the Shia sect in India include:

**Demographics:** Shia Muslims in India are spread across various regions, with notable concentrations in states such as Uttar Pradesh, Jammu and Kashmir, Bihar, Telangana, Karnataka and parts of Maharashtra. They contribute to the rich tapestry of India's religious diversity.

**Historical Heritage:** India has a historical legacy of Shia rule, notably during the Mughal period when rulers such as Akbar and later rulers were patrons of Shia scholarship and culture. This historical influence has left an indelible mark on the cultural and religious landscape of the country.

**Religious Practices:** Shia Muslims in India, like elsewhere, observe religious rituals and commemorations, with an emphasis on events such as Muharram and the mourning of the martyrdom of Imam Hussain.

**Educational Institutions:** There are Shia educational institutions in India, including schools, colleges, and religious seminaries, that play a role in the academic and religious education of Shia youth.

**Cultural Contributions:** Shia communities in India have made significant cultural contributions, including in the fields of

literature, poetry, and art. The commemoration of Muharram often involves artistic expressions like processions and performances.

**Social and Economic Diversity:** Shia Muslims in India, like any religious community, exhibit social and economic diversity. While some are engaged in traditional occupations, others have actively participated in various professional fields.

**Finance & Technology:** This sector, in specific, has served as a common interest in India by Shia youth over the last 2 decades. Technology has taken over the Shia community by storm and more into Financial Technology or simply known as FinTech. With the shift in consumer-oriented services, a lot has evolved from blockchain to artificial intelligence. With more and more Muslim population going exploring these portfolios, a plethora of services evolved as Islamic Fintech.

The Indian FinTech ecosystem has been sky-rocketing from \$2.9 Billion investment in 2020 to \$7.8 Billion in 2021, growing up to \$30.2 Billion by the end of 2022, according to EY Winds of change India Fintech report 2022. Out of 7300 startups, there was not even 1% of Shias in that segment. The reason is not the strength or expertise, but the ideological impact of serving the corporate sector like Infosys, Google, Microsoft, EY, Deloitte etc. The major setback to the growth of the community is lack of interest in initiating a business platform and almost no funding pool. Since the religious sect of the corporate owners is not declared openly, it is not possible to single out the names of such start-ups. However, companies like Focus Softnet & iCODE are good examples of Indian Shia entrepreneurs creating their footprints in the FinTech sector.

With projects delivered all over the Far-East, Asia, Middle East and Africa, Indian Shia diaspora can provide the advantage to

leverage on the tech-front and scale global initiatives to strengthen the community and growing standards of globalization. From AI to regulating financial exchange, asset management & facial recognition of work-force in corporate sector to non-profit initiatives for managing the donations, zakat & khums funds & supporting the orphanages with digital transformation, the Indian FinTech expertise is ready to collaborate with international teams.

Understanding the strength and expertise of the Shia sect in FinTech is pivotal in the journey of holistic development of the followers of Ahlal Bayt (peace be upon them) across the globe. This knowledge is essential for discussions on collaboration and development within the Shia community, both at the global and local levels.

### **Importance of Economic and Educational Well-being**

The economic well-being of the Shia community, like any religious or ethnic community, is of paramount importance for several reasons. Economic stability contributes to the overall prosperity and development of individuals, families, and the community at large.

Here are some key aspects highlighting the importance of economic well-being within the Shia community:

#### **Enhanced Quality of Life:**

Economic well-being provides individuals within the Shia community with the means to access essential goods and services, including housing, healthcare, education, and nutrition. This directly contributes to an improved quality of life.

**Educational Opportunities:**

Economic stability enables families to invest in the education of their children. Access to quality education empowers individuals to pursue higher studies, gain skills, and contribute meaningfully to society.

**Community Development:**

A financially stable community can invest in infrastructure, social programs, and community development initiatives. This includes the establishment of educational institutions, healthcare facilities, and other communal assets.

**Philanthropy and Charity:**

Economic prosperity allows community members to engage in philanthropy and charitable activities. This can include supporting those in need within the Shia community as well as contributing to broader humanitarian causes.

**Entrepreneurship and Job Creation:**

A thriving economy within the Shia community fosters entrepreneurship and job creation. This not only benefits individuals by providing employment opportunities but also contributes to the economic growth of the wider society.

**Cultural Preservation:**

Economic stability supports the preservation of cultural heritage and traditions within the Shia community. Funding for cultural events, religious ceremonies, and historical preservation

initiatives becomes more feasible with a strong economic base.

### **Empowerment of Women:**

Economic well-being often correlates with increased opportunities for women within the community. Financial stability allows for the empowerment of women through education, employment, and participation in decision-making processes.

### **Political Influence:**

Economic strength can contribute to increased political influence. Financially robust communities often have the resources to engage in political advocacy, address issues affecting the community, and participate in the political processes of the region.

### **Global Collaboration:**

Economic prosperity enables the Shia community to engage in global collaborations and partnerships. This can involve investments, trade, and cultural exchanges that contribute to the community's visibility and influence on the international stage.

### **Resilience in Times of Crisis:**

Economic stability provides a buffer against economic shocks and crises. A financially resilient community is better equipped to weather challenges such as economic downturns, natural disasters, or health emergencies.

In summary, the economic well-being of the Shia community is crucial for fostering individual and collective prosperity, preserving

cultural identity, and contributing positively to the broader societal fabric. It enables community members to not only meet their basic needs but also to actively participate in the social, cultural, and economic life of the regions they inhabit.

### **Challenges Faced by the Shia Community**

The Shia community, like any other religious or ethnic group, faces a range of challenges that can vary based on geographical location, cultural context, and historical factors. Here are some common challenges faced by the Shia community:

#### **Sectarian Tensions:**

Sectarian tensions, particularly in regions with diverse religious populations, can pose challenges for the Shia community. Historical disagreements and misunderstandings between Sunni and Shia groups may lead to discrimination or even violence.

#### **Political Instabilities:**

In some regions, Shia communities may face challenges arising from political instability. Conflicts and power struggles at the national or regional levels can impact the socio-economic and political status of Shia individuals and communities.

#### **Discrimination and Marginalization:**

Discrimination based on religious beliefs can manifest in various forms, including limited access to employment opportunities, educational resources, and social services. Marginalization may also occur in political representation and decision-making processes.

**Economic Disparities:**

Economic challenges, such as poverty and limited access to economic opportunities, can affect the Shia community. Unequal distribution of resources and economic disparities may hinder the overall well-being of Shia individuals and families.

**Educational Barriers:**

Educational challenges, including limited access to quality education and religious biases in educational institutions, can impact the academic and professional advancement of Shia individuals.

**Geopolitical Conflicts:**

Shia communities residing in regions marked by geopolitical conflicts may face heightened challenges. These conflicts can lead to displacement, loss of livelihoods, and disruption of community structures.

**Cultural and Religious Persecution:**

In certain regions, Shia communities may experience cultural and religious persecution, leading to restrictions on religious practices, destruction of religious sites, and limitations on freedom of expression.

**Lack of Representation:**

Limited representation in political, social, and economic spheres can hinder the ability of the Shia community to address its concerns and advocate for its interests.

### **Identity and Recognition:**

The question of identity and recognition may be a challenge, particularly in regions with diverse religious communities. Recognition of Shia practices, traditions, and contributions to society may vary.

### **Global Misunderstandings:**

Misunderstandings and misrepresentations of Shia beliefs and practices on the global stage can contribute to a sense of alienation and the perpetuation of stereotypes.

Addressing these challenges requires a comprehensive and collaborative approach that involves dialogue, advocacy, and efforts to promote understanding and tolerance among different religious and ethnic communities. It also involves empowering Shia individuals and communities to actively participate in social, economic, technological and political processes.

### **Opportunities for Collaboration**

Identifying and leveraging economic opportunities is crucial for the advancement and well-being of the Shia community. Here are several economic opportunities that can contribute to the economic empowerment of the Shia community:

### **Business and Entrepreneurship:**

Encouraging and supporting Shia individuals to start businesses and entrepreneurial ventures can create economic opportunities. Initiatives that provide financial support, training, and mentorship can foster a culture of entrepreneurship.

**Trade Networks:**

Developing and participating in trade networks allows Shia businesses to expand their reach and collaborate with other businesses. This can lead to increased economic growth, job creation, and the exchange of goods and services.

**Investment Initiatives:**

Promoting investment initiatives, including the establishment of investment funds or partnerships, can attract capital for economic development projects within the Shia community. Investments can be directed towards infrastructure, technology, and sustainable development.

**Islamic Finance:**

Exploring and promoting Islamic finance mechanisms can provide Sharia-compliant financial products and services. This includes Islamic banking, investment, and insurance, creating economic opportunities while adhering to religious principles.

**Technology and Innovation:**

Embracing technology and fostering innovation within the Shia community can lead to the development of new industries, job opportunities, and economic growth. Initiatives supporting education in STEM fields and technology incubators can play a vital role.

**Collaborative Economic Forums:**

Establishing collaborative economic forums, where Shia

business leaders, entrepreneurs, and professionals can network and share ideas, can facilitate economic collaboration. These forums can serve as platforms for partnerships and business growth.

### **Tourism and Cultural Heritage:**

Promoting tourism centered around Shia cultural and religious heritage can generate economic opportunities. Pilgrimages to significant Shia sites, cultural festivals, and heritage tourism can contribute to the local economy.

### **Social Enterprises:**

Encouraging the development of social enterprises that address community needs can create sustainable economic opportunities. These enterprises can focus on areas such as healthcare, education, and social services.

### **Skills Development Programs:**

Implementing skills development programs can enhance the employability of Shia individuals. Training initiatives in areas with high demand, such as technology, healthcare, and skilled trades, can open up economic opportunities.

### **Collaborative Economic Projects:**

Collaborative projects that involve multiple Shia communities working together on economic initiatives can be particularly impactful. This can include joint ventures, infrastructure projects, and community-based enterprises.

### **Supporting Local Industries:**

Encouraging the growth of local industries within Shia-majority regions promotes economic self-sufficiency. Supporting sectors such as agriculture, manufacturing, and craftsmanship can contribute to local economic development.

### **Education and Research Funding:**

Investing in education and research funding can lead to the development of skilled professionals and innovators within the Shia community. Scholarships, grants, and research initiatives can contribute to human capital development.

By identifying and capitalizing on these economic opportunities, the Shia community can enhance its economic resilience, promote sustainable development, and contribute positively to the broader socio-economic landscape. Collaborative efforts, both within the Shia community and with external partners, play a crucial role in realizing these economic opportunities.

### **Advantages for Collaboration**

Addressing challenges and striving for excellence within the Shia community involves a multifaceted approach that includes social, economic, educational, technological and political dimensions. Here are several solutions to overcome challenges and promote excellence:

### **Inter-sectarian Dialogue and Understanding:**

Encourage and facilitate dialogue between different sectarian groups within Islam to foster understanding, unity, and collaboration. Interfaith initiatives can also contribute to building bridges and dispelling misconceptions.

### **Community Empowerment Programs:**

Implement programs that empower Shia communities through education, skills development, and vocational training. Such initiatives can enhance economic prospects and social mobility.

### **Promotion of Economic Collaborations:**

Establish economic forums and partnerships that facilitate collaboration among Shia businesses and entrepreneurs. Encourage investment in community projects, job creation, and sustainable economic development.

### **Political Advocacy:**

Advocate for political representation and participation at local, national, and international levels. Engage in constructive political dialogue to address concerns, promote inclusivity, and ensure the protection of minority rights.

### **Education Reform and Access:**

Work towards reforming educational systems to eliminate biases and ensure equal access to quality education. Establish scholarships and educational programs to support the academic advancement of Shia students.

**Cultural Preservation Initiatives:**

Undertake initiatives to preserve and promote Shia cultural heritage, including language, literature, and traditions. Cultural events, festivals, and heritage tourism can contribute to community cohesion and economic opportunities.

**Humanitarian and Philanthropic Initiatives:**

Engage in philanthropy and humanitarian efforts to support vulnerable members within the Shia community and beyond. Establish charitable organizations and initiatives that address socio-economic disparities.

**Media Outreach and Representation:**

Promote positive representation of the Shia community in media to counter stereotypes and misinformation. Encourage community members to actively engage in media to share diverse perspectives.

**Global Collaborations:**

Foster global collaborations by engaging with international organizations, institutions, and communities. Participate in initiatives that promote peace, understanding, and economic development on a global scale.

**Capacity Building Programs:**

Develop programs that focus on building leadership skills, entrepreneurship, and community organizing. Empower individuals within the Shia community to take on leadership roles and contribute to community development.

### **Youth Engagement and Mentorship:**

Create mentorship programs that connect experienced individuals with younger generations. Empower youth through education, mentorship, and opportunities for leadership development.

### **Legal Advocacy and Human Rights Protection:**

Establish legal advocacy groups to protect the rights of the Shia community. Advocate for anti-discrimination laws and policies to ensure the community's equal treatment under the law.

### **Environmental and Sustainable Development Initiatives:**

Promote environmental awareness and sustainable development initiatives within the community. Sustainable practices can contribute to long-term economic and environmental resilience.

### **International Aid and Support Networks:**

Establish networks for international aid and support, especially in regions facing crises. Collaborate with global organizations to provide assistance during humanitarian emergencies.

By implementing these solutions, the Shia community can address challenges effectively, promote excellence, and contribute positively to the broader social, economic, and political landscape. The key lies in fostering collaboration, investing in education and empowerment, and actively participating in initiatives that advance the well-being of the community and society at large.

## **Case Study**

While specific case studies on collaborative initiatives among Shia sects globally and in India may be limited, there are instances that highlight inter-sectarian dialogue, community development, and collaborative efforts within the Shia community. Here are a few illustrative examples:

### **Case Study 1: The Amman Message (Global Context):**

#### **Background:**

The Amman Message is a significant initiative in the broader context of Muslim unity. It originated in 2004 in Amman, Jordan, and was endorsed by Islamic scholars from various sects, including both Sunni and Shia.

#### **Objectives:**

The Amman Message aimed to promote unity, tolerance, and mutual understanding among Muslims worldwide. It emphasized the recognition of diverse Islamic traditions, including both Sunni and Shia, as valid interpretations of Islam.

#### **Outcomes:**

The initiative resulted in a consensus on the principles of Islamic unity, highlighting the acceptance of different schools of thought, including the Jafari (Shia) school. The Amman Message has since contributed to inter-sectarian dialogue and understanding within the global Muslim community.

## **Case Study 2: Al-Khoei Foundation (Global and Regional):**

### **Background:**

The Al-Khoei Foundation, based in London, is a Shia Islamic organization with a global reach. It was established to serve the needs of the Shia Muslim community and promote interfaith dialogue.

### **Objectives:**

The foundation focuses on educational, religious, and charitable activities. It provides scholarships, supports educational initiatives, and engages in humanitarian efforts, demonstrating a commitment to community development and collaboration.

### **Outcomes:**

Through its various programs, the Al-Khoei Foundation has played a role in fostering interfaith understanding, contributing to educational development, and providing social services globally. It serves as an example of a Shia organization with a broad vision for community betterment.

## **Case Study 3: Shia-Sunni Collaboration in India:**

### **Background:**

In regions of India with diverse religious populations, there are instances of collaboration between Shia and Sunni communities. These collaborations often manifest in joint celebrations of festivals, shared religious spaces, and mutual support during social and cultural events.

**Objectives:**

The primary objective is to promote communal harmony and unity. Collaborative efforts aim to emphasize shared cultural values, religious practices, and traditions, fostering a sense of community beyond sectarian lines.

**Outcomes:**

Instances of Shia-Sunni collaboration in India have contributed to peaceful coexistence and understanding between the two communities. Shared spaces, joint events, and collaborative projects demonstrate the potential for unity and collaboration despite sectarian differences.

While these case studies provide examples of collaboration, it's important to note that challenges and opportunities may vary across regions and communities. Additionally, ongoing research and documentation of collaborative initiatives within the Shia community can further illuminate successful models and strategies for overcoming challenges.

**References**

The above study is based on my understanding developed through several articles from different journals and books, as mentioned below:

**Journals:**

1. **Journal of Islamic Studies:** Published by Oxford Centre for Islamic Studies, it delivers scholarly articles on various aspects of

Islamic studies, including inter-sectarian relations. Editor in Chief – Dr Farhan Ahmed Nizami.

2. **Islamic Law and Society:** Published in 30 volumes by Brill, it focuses on legal and social issues within the Islamic context, which may include discussions on collaboration and challenges.

3. **Journal of Shia Islamic Studies:** Published by ICAS Press for the Islamic College of London, A specific journal addressing Shia perspectives on various issues, including socio-economic development.

### **Books:**

1. **"Shi'a Islam in Colonial India: Religion, Community and Sectarianism" by Justin Jones:** Explores the historical development of Shia Islam in the Indian context.

2. **"Islamic Education in the Soviet Union and Its Successor States" by Michael Kemper:** Discusses educational challenges and opportunities for Muslims, which may include Shia communities.

3. **"The Shia Revival: How Conflicts within Islam Will Shape the Future" by Vali Nasr:** Offers insights into the dynamics of Shia communities globally, including potential collaborative efforts.

### **Conclusion**

The research paper is on collaborative initiatives among Shia sects globally, with a focus on enhancing economic and educational well-being, yielded several key findings.

It aims to provide insights into the opportunities, challenges, and potential solutions for fostering collaboration among Shia sects globally, focusing on enhancing economic and educational well-being. By examining the case of India, the paper aims to offer

practical recommendations that can contribute to the holistic development of the Shia community and serve as a blueprint for similar efforts worldwide.

The paper concludes with a call for action, urging stakeholders within the Shia community to actively engage in collaborative efforts, promote dialogue, and implement the proposed solutions for the betterment of the community.

In summary, the research findings underscored the importance of collaboration, identified challenges and opportunities, and provided practical solutions to strengthen the socio-economic and technological advancement of the Shia community globally, with specific considerations for the context in Indian Shia community.

## ورقة بحثية

# العنف ضد المرأة في الأعلام العراقي

عالية طالب(\*)

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/١١/١٥ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١٢/١ تاريخ النشر: ٢٠٢٤/١/٣٠

### الاتفاقيات الدولية

اتخذت الأمم المتحدة في عام ١٩٨١، خطوات تكميلية نحو تكريس الاهتمام بواقع المرأة. وأشار البند الخامس من الاتفاقية إلى مشكلة تنميط صورة المرأة في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، داعياً جميع الدول الأعضاء لاتخاذ الإجراءات المناسبة للقضاء على الممارسات المستندة إلى صور مقولبة "نمطية وجامدة لأدوار الرجال والنساء في العالم المعاصر .

ولعبت المؤتمرات العالمية الخاصة بالمرأة أدواراً مهمة ومنها مؤتمر كوبنهاجن (١٩٨٠) ونيروبي (١٩٨٥) وبكين (١٩٩٥) وكلها اتفقت على ضرورة إيجاد قاعدة ثابتة لمعالجة إعلامية أكثر إيجابية لصورة المرأة.

وأكد مؤتمر بكين على أهمية تولي المرأة العديد من مناصب صناعة القرارات الإعلامية، واستثمار وسائل الاتصال الحديثة من شبكة الإنترنت والوسائط المتعددة في النهوض بالمرأة وتطوير أدائها المهني.

وفي عام ٢٠٠٦، أطلق "تقرير المرأة العربية والإعلام" ليكون أول جهد علمي

(\*) أديبة وإعلامية.

يؤسس لقراءة أكثر علمية وموضوعية حول قضية المرأة العربية والإعلام. مستنداً على مجموعة كبيرة من الدراسات والمسح الميداني وكانت تقصي الواقع ومعرفة تفاصيله قبل المباشرة في أي عملية إصلاحية سواء على مستوى المحتوى الإعلامي أو المرأة الإعلامية العاملة أو على مستوى السياسات والمؤسسات الإعلامية.

### الاعلام المحلي في مواجهة الاعلام الغربي

لم يسهم الاعلام خلال العقود الماضية في الحد من ظواهر وحالات ممارسة العنف ضد المرأة، ولم يقتصر الامر على المنطقة العربية فقط بل ساهم الاعلام الغربي في تنميط صورة المرأة العربية بأنها امرأة تتعرض للضرب والإهانة على أذنه الأسباب، لا رأي لها ولا فكر، مسلوقة الإرادة.. ضعيفة ولا تتمتع بالقدرة على اتخاذ أي قرار.. فهل هي حقاً كذلك؟ وهل هي مستعبدة ضمن مجتمعها بنوعيه الحضري والريفي؟ وهل يمكن تعميم الحالات الفردية المتميزة لبعض النساء العراقيات على انها نموذجاً لشريحة متعلمة بإمكانها احداث الاثر الايجابي في حياتها وواقع مجتمعها!!

هذه الاسئلة يقابلها أجوبة عن ما قدمه الاعلام في تجسيد صورة المرأة، وهل هي صورة نمطية، جامدة، مستلبة، ثانوية، ظلاً للرجل المتسلط الذي قد يجلدتها حين تكون هي ضحية لجريمة اغتصاب على سبيل المثال أو يبنذها لأنها متحررة تسافر دون محرم، أو يستهجن عملها ان كانت فنانة، مطربة، موسيقية، مختصة بالأزياء،... الخ.

ركز الإعلام الغربي على سلبية المرأة ورضاها بالقمع الذي يُمارس ضدها، ولم يستثن الإعلام الغربي العراقية المغتربة، اذ استمر بالتأكيد على انها أسيرة وتعيش في استغلال لا حدود له، وتتعرض لضغوط وانتهاكات بسبب العادات والتقاليد والثقافة العربية التي هاجرت بها إلى تلك البلدان، وأن الاعلام الغربي كثيراً ما يتناول قضايا الحجاب وقضايا الشرف والتفرقة بين الجنسين، ودائماً تبرز صوراً للنساء العربيات وهن يُضربن أو يُقتلن من أجل الشرف أو عدم طاعة الزوج.

وقبل ان نخوض في تعاملنا المحلي مع صورة المرأة علينا ان نشير الى طريقتنا

الاعلامية في التطرق الى المرأة الغربية التي غالباً ما ننتقدها ونصفها بأنها امرأة الجنس والدعارة، وأنها أصبحت وسيلةً للتجار، وبأن الفتيات الغربيات هن اللاتي يحملن من البغاء والزنا.

وإذا ما اردنا ارجاع فهم الاسباب التي تؤدي الى الحالتين فأنا سنصل الى ان العناصر والعوامل التي تساهم في هذه الصورة هم الصحفيون أنفسهم والمحرمون الذين هم نتاج مجتمعاتهم فهم يؤمنون بأن دور المرأة الذي يتقبله المجتمع لا بد ان لا يخرج عن الاطر المتداولة ضمن الاعراف والتقاليد والتي قد يراها الغربي عجيبة لأنها بعيدة عن مسار مجتمعه كما نراها نحن عنهم بنات الصورة، اذن هي معاملة سيئة لكلا الطرفين .

### صورة المرأة في الدراما العراقية.

- ١- قدمت صورة المرأة بشكل سلبي - فهي دائماً بحاجة إلى عون وغالباً ما تتوقع هذا العون من الرجل وهي ضعيفة القدرة على اتخاذ القرار وتفتقر إلى المبادرة وغالباً ما يكون مصيرها الفشل في المواقف الصعبة
- ٢- خروج المرأة إلى العمل نتج عن عوز اقتصادي أو عن فشل في الحياة الأسرية ولم ينشأ عن إحساس بأهمية العمل أو ضرورته.
- ٣- هناك ابراز للشخصية الإيجابية والمستقلة والبناءة للمرأة ولكنها تظهرها في مواقف تدافع فيها عن قضايا شخصية (اختيار شريك حياتها مثلاً)، ونادراً ما تصور هذه القصص المرأة العصرية التي تدافع عن قضايا أو مواقف عامة .
- ٤- هناك تسلسل يعتمد النسبة في تقديم صورة المرأة فهي اولاً الأم المتفانية، ثم المرأة الشيطانية، ثم المرأة المستبدة، ثم ربة منزل، ثم منافسة للرجل أو فاسقة، ثم ساذجة، ثم المعدومة السلطة، ثم الطاهرة، ثم المرأة الرفيعة والمخلصة، وهذا في اخر السلم التسلسلي.

٥- استهانة بالدور الذي تلعبه مجتمعياً، وتكريس حالة وصورة المرأة الجاهلة، وتجاهل الدور الإيجابي الذي تقوم به المرأة في تنمية المجتمع. ويعتبر هذا إحدى سبل ممارسة العنف ضد المرأة وانتزاع أهم حقوقها. فأغلب الصور اقتصر على (ربة منزل، المرأة المستهلكة، المرأة الجانية والقاتلة، المرأة الجاهلة والتابعة لسلطة الرجل).

### مواقع التواصل الاجتماعي

لا يمكن الفصل بين صورة المرأة في وسائل التواصل الاجتماعي وبين الخلفية الاجتماعية والمتغيرات الاقتصادية والسياسية التي طرأت على المجتمع العراقي، ويمكن تأشير النقاط التالية التي توجز توجهات هذا النطاق الاعلامي:-

١- تحتل موضوعات الأزياء والموضة والماكياج وعمليات التجميل موقعاً رئيساً، ويأتي ذلك على حساب المرأة ربة البيت والمرأة المنتجة ونساء الطبقات محدودة الدخل..

٢- الاهتمام بتفسير الأحلام وقراءة الطوابع والحظ والحوار مع نجوم وكواكب السينما والمجتمع والاهتمام بالمرأة السوبر حضرية على حساب نساء الطبقات الشعبية، أما نساء الريف فلا وجود لهن إلا من خلال جريمة قتل نسائية.

٣- البرامج الاذاعية الخاصة بالمرأة وبرامج المسابقات عبر اسئلة محددة تعكس صورة المرأة التي تفتقر الثقافة العامة و العقلية العلمية .

### صورة المرأة " فنانتة، مذيعتة، مقدمة برامج، ضيفتة حوار أو قضية للنقاش

بشكل عام ما زال الاعلام يدور في طور تحريك الغرائز والمشاعر والعواطف ولم يصل بالفعل الى مرحلة خدمة قضايا المرأة والانسان ومتطلباته.. القنوات الفضائية التي تبث الأغاني الحديثة والبرامج الحوارية فيها الكثير من المشاهد المثيرة والإغرائية

والملفت للنظر أن المرأة هي الشخص المستخدم لإبراز هذه المشاهد بعيدا عن

القيم الروحية والاجتماعية للمجتمع الشرقي. والسؤال المطروح هو الى أي مدى يعد الاعلام حريصاً على القيم الأصيلة للإنسان والإنسانية؟ والى أي مدى هو مهتم بعرض الواقع وعدم الإفراط في تقليد واقتباس الآخرين دون التمييز بين ما يناسب وما لا يناسب المجتمع الشرقي؟

والى أي مدى مسموح استخدام المرأة كسلعة دون إبراز قيمتها الإنسانية؟

من الواضح، أنه حتى لو كان هناك إعلام بارز عن قضايا المرأة الذي يتحدث عن (الفقر - الأمية - العمل - الطلاق - التمييز الخ) إلا أن تطبيق ذلك على أرض الواقع يختلف. فالمرأة تظهر في الاعلام، في غالب الأحيان، على شكل النجمة أو الفنانة أو المطربة أو الممثلة أو الراقصة أو المذيعة. وقليلاً جداً ما نراها الشاعرة والباحثة والكاتبة والمفكرة.

ربما هي كذلك من وراء الستار ولكنها لا تظهر كثيراً على الشاشة. والى ذلك، فإن صورة المرأة في الاعلام لا تتطابق في كثير من الأحيان مع الواقع المعاش.

- إن حالة التطور في واقع المرأة، تستدعي تجنب حصول صدام اجتماعي وأخلاقي في المجتمع، وتستدعي أيضاً عدم استتساخ الحداثة من الغرب على ما هي عليه لأنها في أغلب الأحيان لا تتطابق مع النسيج الاجتماعي والقيمي في المجتمعات الشرقية.

- هناك خلط مقصود اليوم بين فتيات الاعلانات او الفيديو كليب والفنانة الحقيقية وهذا الخلط شوه صورة الفنانة ورسالتها الفاعلة.

- مذيوعات ومقدمات البرامج ونشرات الاخبار فأن اختلاف الازياء يعتمد على اختلاف توجهات المحطات الفضائية وتوجهات الجهات الممولة (محجبة، سافرة) وهذا ليس

هو الموضوع بقدر تأشير الامكانيات المهنية المطلوبة للعاملات في هذا الجانب،

- افتقار الاعلام المرئي الى الكفاءات المهنية المتدربة جيداً والناطقة باللغة العربية

بصورة جيدة مع افتقار واضح في اجادة لغات اخرى بالإضافة الى اعتماد مبدأ الفصل بين الاعداد والتقديم مما يجعل مقدمة البرنامج اشبه بالناقل الحرفي وبما ويؤشر خلافا فكريا وضعفا في مجال الخبرة يؤثر على صورة المرأة الاعلامية التي عليها ان تكون حاضرة البديهة ومتفاعلة مع الحوارات التي تنفذها بمختلف انواعها ثقافية، سياسية، فكرية، ايدلوجية، بالإضافة الى الخلل البين في اختيار الشخصيات النسوية اللواتي تتم استضافتهن في المحطات المحلية وبما يعكس ضعف الوعي والتحليل لقضايا مهمة وحيوية يعاني منها المجتمع وبما يؤشر قصر امكانية المرأة في تقديم صورة جيدة للمرأة المتخصصة في مجالات العمل المتنوعة.

### دعم صورة المرأة في الإعلام

لا يمكن الحديث عن إصلاح صورة المرأة في الإعلام التي هي عملية متعددة الجوانب والأبعاد، ومتعددة الحلول والطروحات بدون التحدث عن مسبباتها، فهي ظاهرة تمتد جذورها في القيم والتقاليد الاجتماعية الموروثة التي لا تنظر للمرأة على أنها كيان إنساني واجتماعي مكافئ للرجل، وهي ايضا مشكلة ثقافية أفرزتها الظروف الاقتصادية التي تواجه المرأة، بما فيها انتشار الأمية، وعدم تكافؤ فرص العمل، وتزايد الضغوط لإبقاء المرأة محاصرة في إطار فضاء اجتماعي محدد سلفاً وفق معايير مغلوبة.

الأمر ببساطة يتعلق بكون المؤسسات الإعلامية ليست سوى امتداد لمنظومة اجتماعية ثقافية تراكمت تفاصيلها عبر قرون كثيرة، لتفرز هذا الإرث الاجتماعي والثقافي الذي يحرك اتجاهات المجتمع ويؤطره نحو النساء

### مقترحات وحلول

ما الذي يمكن القيام به لتغيير الوضع القائم ؟ هل نبدأ بالمجتمع ونشرع في

إصلاحه من خلال برامج استراتيجية تقود إلى إحداث تطور اجتماعي وثقافي تتلاشى من خلاله الاتجاهات السلبية نحو المرأة مما ينعكس إيجاباً على المخرجات الإعلامية؟

أم نبدأ بالمؤسسات الإعلامية ذاتها ونعمل على إصلاحها بشكل يضمن لنا الحد الأدنى من التعامل السوي مع قضايا المرأة في المجتمع؟

مع معرفتنا بأهمية دور الاعلام بإعادة تشكيل الرأي العام وتحريك الاتجاهات نحو القضايا التي تهم المجتمع، فإننا سندرك النتائج السلبية التي ستمخض عن بروز صورة سلبية لنصف المجتمع في وسائل الإعلام بالنسبة للتنمية في أوجهها المختلفة

ونسعى لاعتماد برامج متنوعة الاهتمامات وبعيدة المدى تعمل جنباً إلى جنب بشكل متواز لرفع مستوى الوعي الاجتماعي بالدور المركزي للمرأة في المجتمع، وتحويل هذا الوعي المتقدم إلى مخرجات إعلامية متطورة، تضع صورة المرأة في سياقها الصحيح بعيداً عن الإثارة والتسليع، والقيم المستهلكة

### استثمار الخطاب الإعلامي في الحد من العنف ضد المرأة

لا بد من رفع مستوى الثقافة القانونية للمرأة والاسرة من خلال توضيح دور المؤسسات المعنية بالحد من العنف ضد المرأة والعنف الأسري بشكل عام واستخدام المؤسسة الإعلامية عبر برامج توعوية لنشر القوانين والتعليمات الخاصة بهذا الموضوع لتشمل:

- مواقع التواصل الاجتماعي
- برامج الاعلام المرئي
- ورش عمل وندوات في المراكز والمؤسسات التربوية
- تغيير الخطاب التربوي والمناهج الدراسية لتوضيح خطورة استخدام العنف

المجتمعي

- تأهيل مراكز واقسام تمكين المرأة في المؤسسات العامة لتكون فاعلة ومؤثرة
- لن تتحقق المخرجات الايجابية نتيجة لجهد فردي تقوم به جهة بعينها، بل هو عملية تثقيفية وتوعوية وتربوية متكاملة تشارك بها جميع قطاعات المجتمع.
- تعزيز الوعي السليم بدور المرأة وبمركزيتها في البناء والتطور كمرحلة أولى تمهد لتحول هذا الوعي الجمعي إلى مضامين إعلامية هادفة
- فهم عميق لطبيعة المشكلة، بشكل بعيد عن الإثارة والتضخيم، من خلال منهج علمي سليم يعالج الظواهر من جوانبها المختلفة.
- الفصل بين كون القضية مشكلة إعلامية وارجاعها الى كونها مشكلة ثقافية واجتماعية تحتاج لحلول اجتماعية مدروسة كون المخرجات الإعلامية ليست سوى مظاهر للمشكلة.

## تقرير

### **مؤتمر الآفاق المستقبلية لأتباع أهل البيت**

احتفالاً بذكرى مولد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتحت شعار "أمة وسطاً"، نظّمت مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث مؤتمرها الثاني في العاصمة بغداد، برعاية كريمة من سماحة السيد عمار الحكيم (حفظه الله) في المدة من ٢٤-٢٦ كانون الثاني ٢٠٢٤. حضر المؤتمر شخصيات أكاديمية وعلمائية من أكثر من أربع وعشرين دولة حول العالم، فضلاً عن ممثلين عن المراجع العظام في النجف الأشرف، ونخبة من الباحثين من حوزة النجف الأشرف وأكاديميين وباحثين.

شهد المؤتمر سلسلة من الورش العلمية التخصصية المركزة، إذ تمّت مناقشة ملفات محورية معينة بواسطة ورقات بحثية قدّمها المشاركون في المؤتمر. وقد جرت مناقشات معمّقة في جميع الورش، استمرت لساعات، وخرجت بتوصيات مهمّة. كان إجمالي عدد الشخصيات المشاركة في المؤتمر والقادمة من خارج العراق ٦٥ شخصية تمثل ٢٤ دولة مختلفة. ومن بينهم ٣٣ شخصية برتبة "أستاذ" أو "بروفيسور"، وبعضهم يحمل شهادة الدكتوراه، وكان هناك أيضاً ١٣ شخصية علمية، و٨ نساء، و١٢ مركز بحثي، ومنظمات دولية، ومجالس تمثيل شيعية في عدد من بلدان العالم. وفي الجلسة الصباحية لليوم الثالث من المؤتمر، ألقى كلمات عدة تضمّنت كلمة من مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث، وتوصيات الورش الأربعة، وقصص نجاح لمؤسسات شيعية في دول مختلفة حول العالم.

وقد قُسم برنامج المؤتمر إلى محاور عدّة:

المحور الأول: المحور الاقتصادي الذي تناول الإدارة والتنمية

المحور الثاني: المحور الثقافي الذي ناقش الهوية الشيعية نحو البناء والتحسين

المحور الثالث: محور المواطنة والهوية الوطنية الشيعية

المحور الرابع: محور تأثير اتباع أهل البيت (عليهم السلام) في بناء النظام العالمي الجديد

انتهت أعمال المؤتمر بجلسة رسمية حضرها جميع المشاركين، فضلاً عن عدد من المدعوين من الأكاديميين والأساتذة والمراكز والشخصيات الدينية والاجتماعية. تم افتتاح الجلسة بتلاوة آيات من الذكر الحكيم وكلمة من اللجنة العلمية، حيث خلاص سماحة الشيخ أحمد سلمان الأحمدي المحاور التي ناقشها المؤتمر في اللجان الأربعة وتمت مناقشتها. ثم ألقى سماحة السيد عمار الحكيم كلمة رحّب فيها بالحضور وشدّد على أهمية المؤتمر ودوره في تعزيز التواصل والتعاون بين العلماء والباحثين الشيعة في مختلف أنحاء العالم. وأشاد بمستوى النقاشات والورش العلمية التي تمت خلال المؤتمر، معرباً عن أمله في أن تسهم التوصيات الناتجة عنها في إثراء الواقع الشيعي. كما دعى سماحته في ختام كلمته إلى ضرورة تأسيس مركز دراسات دولي يعنى بدراسة الواقع الشيعي والفرص والتحديات التي تواجه أتباع أهل البيت (عليهم السلام) المنتشرين في دول العالم كافة. ثم تلا الدكتور علي اللواتي البيان الختامي للمؤتمر والذي تضمن عدة نقاط وأعلن عن شروع اللجنتين العلمية والتحضيرية بإعداد مسودات النسخة الثالثة للمؤتمر السنوي التي ستعقد إن شاء الله تعالى في ذات التوقيت [ ٢٠٢٤-١٤٤٥ ] .

وبعد إتمام فعاليات المؤتمر، وبالالتفات للمسارات الحضارية المختلفة، والوقائع الدولية المتسارعة، انتهى المؤتمر إلى التوصيات الآتية:

أولاً: الشروع بتحضيرات الدورة الثالثة للمؤتمر والعمل على إدامة المنهج العلمي والبحثي المراعي للأبعاد المستقبلية.

ثانياً: يؤكد المؤتمر بشكل جاد رسالته الأساسية المتمثلة بالالتفات الجاد للمستقبل القريب والبعيد والالتفات إلى ما ينضوي عليه من فرص كبرى لأتباع أهل البيت (عليه السلام) في مختلف بلدان العالم، وما يكتنفه من تحديات وتهديدات تستدعي توفراً جاداً ومسؤولاً إزائها.

ثالثاً: أهمية التأكيد على ضرورة احتفاظ أتباع أهل البيت (عليه السلام) في العالم بخصوصية هويتهم العقائدية والثقافية النفيسة المستلهمة من القرآن الكريم والعترة المطهرة، واستثمارها لتكريس التكيف الإيجابي والفاعل مع البيئات الاجتماعية والمنظومات القانونية المحيطة بهم في مختلف أوطانهم، مما يعزز مفاهيم المواطنة والاندماج الحيوي الواصل.

رابعاً: التأكيد على أهمية التديم المستمر للبناءات المجتمعية والمؤسسية الفاعلة المساهمة في الحفاظ على الخصوصيات والمؤهلة لاستثمار الفرص الكبيرة، وتطوير التواصل بين أتباع أهل البيت (عليه السلام) في العالم على الصعد المختلفة، وزيادة الاهتمام بتكاملية التجارب؛ سيما في التربية والتعليم والثقافة ومأسسة الأنشطة الاجتماعية.

خامساً: جدد المؤتمر الدعوة إلى تطوير الجهود الأكاديمية والإعلامية التي تسهم في إظهار المخزون المعرفي والقيمي لمدرسة أهل البيت (عليه السلام)، والعمل على تقديم خطاب رصين ومسؤول يمكن أن يسهم في مزيد من الحضور لهذه التجربة الإنسانية الجديرة بالإتباع.

سادساً: يوصي المؤتمر بمزيد من العمل على استثمار المشتركات مع المجتمع الاسلامي والإنساني، وتفعيل دور ريادي ومسؤول لأتباع أهل البيت (عليه السلام) في حل الأزمات وإنتاج الحلول، بما يتلاءم مع الحجم والثقل الطبيعي لهم، ويجدد المجتمعون التأكيد على أن أتباع أهل البيت (عليه السلام) هم جزء أساسي من خارطة الحضارية والإنسانية، يعيشون تحدياتها وهمومها، ويحرصون على أن تكون لهم إسهامات حضارية وإضافات إيجابية حقيقية، مع احتفاظهم بتطلعهم لتحقيق الآمال بالإصلاح الشامل والعدالة

الإنسانية على يد إمامهم المهدي المنتظر من آل محمد (ﷺ).

سابعاً: يعرب المؤتمر وقوفه إلى جانب الحقوق المشروعة التي يطالب بها أبناء الشعب الفلسطيني المسلم، ويجدد رفضه لعمليات الإبادة الجماعية التي يتعرض لها في قطاع غزة منذ اشتعال أحداث أكتوبر ٢٠٢٣، والتي ارتكبت فيها مجازر دموية راح ضحيتها الآلاف من النساء والأطفال الأبرياء.

ثامناً: يجدد المؤتمر تبجيله للمرجعية العليا في النجف الاشرف، وما تمثله من مرتكز محوري للأمم، كان لدورها الإسهام الأكبر في حفظ وجود أتباع أهل البيت (ﷺ) وحفظ عقيدتهم وثقافتهم وبناءاتهم الاجتماعية.

إن تنظيم مؤتمر مثل هذا يعكس اهتمام الشيعة بتعزيز الثقافة والتعليم والبحث العلمي، ويساهم في بناء جسور التواصل والتعاون العالمي. كما يعزز الوعي العالمي بمساهمات الشيعة في العلوم والفكر والثقافة. كما يعدّ هذا المؤتمر فرصة قيّمة للعلماء والباحثين الشيعة لتبادل الأفكار والخبرات، وتقديم الأبحاث والدراسات الحديثة في مختلف المجالات. ويشكّل منصة لتعزيز التعاون الأكاديمي والتواصل بين الباحثين والمؤسسات والمراكز العلمية. بهذا المؤتمر، يؤكّد الشيعة على رؤيتهم الإيجابية والمنفتحة نحو العالم والتعايش السلمي، ويسعون لتعزيز الحوار والتفاهم.

## **The Question of Constitution and Engineering State Building**

**Pro. Amer Hassan Fayyad<sup>\*</sup>**

**Prof. Hisham H. Abdulsattar<sup>\*\*</sup>**

Receipt date:16/10/2023 Accepted date: 24/10/2023 Publication date:30/1/2024

### **Introduction**

The nature of the question related to the relationship between civil state and constitutional documents in the Arab countries in general and in modern and contemporary Iraq in particular, is of a cluster in nature from which a number of questions may branch out, including:

- Was Iraq and is still living the 'State' or living the dream of a 'Civil State'?
- Were the successive Iraqi constitutions the product of a national constitutional movement, or were the constitutions

---

• Dean of Amal University College.

•• Chair of Political System and Public Policy Department, Alnahrain University.

expressing foreign desires?

- Were these successive constitutions issued as a result of whims and hasty decisions, or were they issued after patient transformations?
- What were the constitutional obstacles that opposed building the civil state in modern and contemporary Iraq?
- What were the constitutional changes that supported building the modern state in modern and contemporary Iraq?

### **I. Iraq the 'State': Between the Ease of Establishment and the Difficulty of Being**

Descriptions of political units abounded after Hegel's theory on the 'State' stresses that it is (given from the data of modernity), while political units and the powers of their management were clear before the era of industrial capitalism, clearly in their designations and descriptions from the single 'State' to be called the 'City-State' among the ancient Greeks and the 'State of Kingdoms' or the 'Kingdom' or the 'Empire' in ancient and medieval times, and to a lesser extent than the kingdom or empire, were small political units called the 'State', 'Emirate', or 'Metropolis'.

Iraq knew these designations for political entities over the years of its being, from city-states to kingdoms, empires, metropolises, states and emirates. The project of the modern state of Iraq was born at the hands of Prince (Faisal bin Al-Hussein), who was prepared with the permission of the Iraqi and British wills. Although Britain at that time was the authorized power for the birth of the project of modern state in Iraq.

Without going into the circumstances, controversy and conflict between the two wills, and the fragmentation and unification, on

the one hand; and between the Iraqi political identity and sub-political identities, one the other hand, the controversy over these terms is wide indeed. However, it is clear to the eye that the establishment of Iraq was easy, but it went through stumbling paths for the period between the announcement of its establishment on August 23, 1921, until to this day. Therefore, we believe that Iraq has deserved the title of what we call the "*dream project*" because it is a project whose construction has not been completed on the ground due to the many obstacles and challenges it has gone through and is still going through to this day.

So we are celebrating today the 100<sup>th</sup> anniversary of the establishment of a dream state that has not yet been realized, and the launch of the project of building a modern state, and not the 100<sup>th</sup> anniversary of the emergence and existence of a modern state. Between the dream and the obstacles of construction, we must fully realize that the construction process is a matter of paths, not decisions. It is a process of preparing elements and requirements that should not be controlled by desires or whims.

In order to achieve the dream of the 'state' in Iraq, it is necessary to put down the illusion that was spread that Iraq was a state whose construction was completed at the hands of the monarchical rule and the integration of its renewal at the hands of the successive republics, and that its modernity continued after getting rid of the totalitarian republics in 2003. Indeed, this dream that we aspire to was and still is a project whose paths have deviated and the continuity of its structure has been interrupted. Its crookedness increased, its obstacles multiplied, and its retreats accelerated.

The question of the 'state' in Iraq opens horizons for minds to think about the future more than thinking about the past. There shall be no place for Iraq as a 'state' in the future unless it is able to reach the levels of relative self-sufficiency in producing goods

and services for its people. Therefore, we have the right to ask: When will Iraq recover and leave the difficulty of being its desired state which was establishment a century ago? When will the crookedness of the process of being and construction be repaired and corrected, and its harshness and distortions through the reigns of the monarchical rule and successive republics? And when will Iraq be saved from indulging in the chaos that suffocates freedoms and encourages the proliferation of unlicensed weapons?

## II. Iraq and the Militarization of the 'State'

Revolutions derive their term from either causes or results. From where did the events of July 14, 1958 derive its term?

Iraq at the time of the Ottoman occupation was an entity divided into three states (Mosul, Baghdad, and Basra), then came the British occupation which unified these states and then controlled them and granted them the status of 'state' so that Iraq would become a democratic parliamentary state with a constitutional monarchy. But the situation in Iraq has not improved. Therefore, we believe that the events of July 1958 derived the term '*revolution*' from its societal, political, economic, social, and cultural causes that made Iraq a place saturated with misery, anger and cruelty throughout its previous years.

But the liberal democratic moments that royal Iraq has experienced, the building of a modern state remained a conscious choice for the intellectuals, and a violent act for the military. Between this choice and that act, misery mixed with anger, pain and cruelty accompanied by murder and blood has occurred. The events of July 1958 erupted to shift Iraq from Constitutional Monarchy to a Republic. It started as a '*revolution*' with its causes, but ended in a '*coup*', and later followed by another republican coups. All these regimes did not employ the middle class in

correcting the course of building the state.

The militarization of power, the urbanization of cities, hostility to partisan pluralism, the rejection of the peaceful transfer of power and the meaningless wars represented the most prominent distinguishing features of the (Iraqi republics of fear), starting from the first Republic of July in 1958 until the Republic of July 1968. Those were the most prominent factors that caused the rupture between the democratic moments of monarchical Iraq and the democracy of republican Iraq today.

Since the modern formation of the Iraqi state, the middle groups and their successive generations have lived in a state of fragmentation, decomposition and shattering. They have lived in the context of a comprehensive impoverishment process for them, along with the groups that were already classified as poor.

The middle class in Iraq has grown rapidly during the three decades of the founding of the modern state, and this class invaded state institutions from below, but remained excluded from above.

After the end of the monarchy, this class was able - as the Iraqi sociologist Faleh Abdul-Jabbar sees - to penetrate senior state positions, but at the hands of the military middle classes, i.e. what was called the '*political soldier*'.

In monarchical Iraq, there was the possibility of building a new society based on a modern civil constitution, but without the availability of the appropriate ground for such a civil society, i.e. a ground based on capitalist production relations as it is in Europe and America according to - Kadhim Habib - as he wrote about tyranny and cruelty in Iraq. Thus, this class became a (paradise of division), as Faleh Abdel-Jabbar sees it, because it brought together modern educated classes and traditional craftsmen, some of which depended on real estate capital ownership, while others

depended on the government salary. It is also divided in terms of income into upper, middle and lower levels. In terms of components, it was divided into ethnicities, religions, and sects that intersect with social distinctions, so the class became subject to fragmentation, division, and warfare. This class occupied its position between the have-nots and the big owners. This class included officers in the army, but the largest percentage of the categories of this class are not independent from the state, but rather they are contained by it, and this state has practiced with them and with civil society institutions a policy of 'swallow up', so this state has become the largest employer on the one hand and an instrument of control on the other.

However, this class has obtained a strong role, its social mobility depended on education and on government salaries after the military-security state absorbed the bulk of it, so this class became more attached than others to the military-security state.

Because of this attraction that affected the urban movements of the middle and working classes in Iraq, the political weight shifted to the role and activity of the military (the organizers of violence) within the state, as its size increased, but its role weakened after it lived on (the honey of the oil boom revenue) and little government support. Thus the revolution of 1958 –as we believe- ended in a coup.

After this brief clarification, are the events of 1958 considered a revolution or a coup? A question that will continue to be asked by many researchers!!

### **III. Iraq and the Antagonist Thought of the State**

The stories of formation recounted by the human mind throughout the ages are polemical and not collaborative and competitive. They are stories of paths and processes, not decisions

and whims.

Iraq, as everyone knows, is a country for settlement, not a country of passage. It witnessed five pre-Islamic civilizations, the Islamic civilization, the Ottoman domination, the British occupation, authoritarian and totalitarianism throughout the republican era, and lately the American-British occupation, leading to a fragile independence and democracy that has not yet been completed!

In this Iraqi community (historical, social, economic, political and cultural), three political cultures were formed (traditional, subject, and participant cultures) according to the classification of the German sociologist (Max Weber). The weakest method of thinking were the methods of scientific thinking, where mythical and then religious methods prevailed until Iraq entered the era of national state building in the early twenties of the past century.

When Iraq entered this phase, the map of thought and thinking became divided between thought and inherited thinking, on the one hand; thinking and conciliatory thinking between the inherited and the newcomer, on the other hand.

In the royal era, the pluralistic newcomer was politically dominant and the inherited was socially dominant, and in Republican eras, the authoritarian (nationalist-leftist) was politically dominant and the inherited was socially dominant. After 2003, the pluralistic newcomer, in its liberal form and traditional content, was politically dominant, while the traditional heritage was socially dominant.

This is the map of thought and thinking in its general outlines and not in its details, because the formation is polemical, and the debate was not a competitive dialogue, but rather it was and still is often bloody combative. Therefore, the history of the Iraqi present, as is its past, is a history of cruelty and pain!

How to get Iraq out being a country of combative debate to a country of competitive dialogue debates?

If Iraq wants to have a place under the sun in the future, it must work on:

- relative self-sufficiency in food,
- relative self-sufficiency in medication,
- relative self-sufficiency in knowledge.

Starting from this point begins the journey of paving the way towards building the state in Iraq, and from here begins the path of reforming Iraq from one or more political entities to a real state. A state that evokes history in order to leave it, not to live in it and live at its expense. A state that produces citizens, not subjects, followers, or clients. A state that believes that all mountain peaks are pointed, except for three that are not, rather they are large enough to accommodate everyone. These peaks are: *faith, knowledge, and patriotism*.

Iraqi society is diverse on the basis of religions, sects and ethnicities. Those who believe that diversity management is based on moral and ideological grounds only are mistaken. Managing diversity is a matter of constitutional rights for all components. They are also legal rights regulating diversities. In addition to being institutional rights that enable all components of the people to hold public office.

Therefore, we believe that those concerned with the Iraqi issue post 2003 should have thought and thinking based on not being afraid of the multiplicity of its trends, whether new coming, conciliatory, or even inherited, as long as the debate among them become a competitive, non-combative, and bloodless ones. The debate should lay the groundwork for building a modern state away from transitional chaos and repressive domination. This

matter does not concern Iraq only, but concerns every political entity in the region that wants to be a true state.

#### **IV. Iraq and the Deep Non-State**

No matter how many the terms of the political units are and how diverse their descriptions are, the contemporary terminology settled on three terms, namely: the *state*, the *deep state*, and the *deep non-state*, and since we want to warn against organized and unorganized combative chaos, and to be beware of unenlightened emotional populism and authoritarian minorities with weapons or money, then let us get to know what the *deep non-state* is.

Before getting to know the essence of the deep non-state, we have to realize that in terms of its existence, it is prior rather than subsequent to the existence of the constitutional state. As far as Iraq is concerned, its historical political entity has not yet reached the status of an already established state. Therefore, it is too early to talk about the depth of the non-state in Iraq.

Basing on the above mentioned, we may talk about the deep non-state in Iraq instead of the deep state in Iraq. Therefore, it is useful to get acquainted with what the deep non-state is in terms of being a deep state, on the one hand; and being a parallel entity of a deep state, on the other hand, in terms of their: concepts, characteristics, and the motives of their formations.

How can the deep state and the parallel entity invade the constitutional state?

The deep state means the control of the functions of constitutional institutions by political, military, media, economic and social elites whose intertwined interests unite to make them an elite that controls sovereign and non-sovereign political decisions. External parties may interfere in making or supporting

deep state groups when those external international parties want to fight local and international projects that do not serve their interests in a strategically important country for them, so they support or establish organizational networks outside the official frameworks of the state. A parallel entity may correspond to or overlap with the deep state, and the term parallel entity of the state refers to a social movement established to generate populist social influence and enter the field of political life according to a long-term vision under which it is committed to forming a broad social incubator that rotates in the path of a founding leader. The establishment of this basic incubating ground for the parallel entity of the state comes due to the absence of a political intellectual platform that pushes towards playing a national political role, which leads, due to the weakness or absence of this platform, to quota polarizations of the political scene.

Then the parallel entity circles its sole leader who established this social movement with political, economic and social extensions after he began to choose the social path to establish influence within society, and then crawls toward the political circles through guidance, reporting, education, housing, health, financial and media service institutions.

Despite the huge social, economic and populist media influence of the leader and his non-political group surrounding him, he refrains from direct political action and leaves it to his supporters to influence the decision-making circles after opening channels for alliance with political parties and forces participating in power and being able to mobilize politicians in various state institutions. But soon he disagrees with them, and the alliance turns into containment or confrontation.

The parallel entity here constitutes an alternative to the deep state or the second stage of the deep state. In any case, the deep state and the parallel entity have not yet formed in Iraq, because

the state has not yet come, and because the motives for the existence of the deep non-state are strongly available through the following indicators:

- The strength of the deep non-state is inversely proportional to the weakness of the constitutional institutions.
- The power of the deep non-state is proportional to the high rate of corruption and the proliferation of illegal weapons.
- The power of the deep non-state coincides with the militarization of the legitimate authority.
- The outgrowth of deep non-state power coincides with the rise of populism.
- The deep non-state strengthens when active political opposition is weak or absent.
- The power of the deep non-state flourishes when the supremacy of political consensus comes at the expense of the supremacy of the constitution.
- The deep state grows and hardens when internal forces are strengthened by external forces, ignoring, with or without intent, the homeland, patriotism, citizenship, and the necessity of strengthening and empowering them.
- The deep non-state takes hold when statesmen are excluded from leadership and chances are given to people who have no professional and political experience occupy senior power positions. Finally, as far as Iraq is concerned, the importance of the deep non-state is magnified when the political forces look at Iraq through the eyes of their sects, ethnicities, or narrow regionalism, and not through the broad national eyes that look at one unified Iraq.

## what to do?

In short, no prayers nor supplication will save us, no national leader nor foreign intervention will help us as well. Rather, the savior and helper we find in the elections and by continuing the elections that are based on a fair law, truly independent administration, a fair observer, a citizen candidate and a politically aware voter. Otherwise, the deep non-state will remain, and the deep state and the parallel entity of the state will come.

## V. Iraq and the Obstruction of the Term 'Components' in the 2005 Constitution

The quota system has been constitutionalized through the not-so-innocent term '*components*', which was mentioned four times in the permanent Iraqi constitution of 2005, namely:

**1. Article (9-First-A)** related to the formation of the armed forces and security agencies. It provides for religious, sectarian and ethnic quotas, which makes these Iraqi institutions a victim shared by the components and not national institutions to which citizens voluntarily belong. The said article states that "*The Iraqi armed forces and security services will be composed of the components of the Iraqi people with due consideration given to their balance and representation without discrimination or exclusion...*"

Based on the text of the aforementioned article, the military institution as well as the security agencies have been subject to a policy of distributing quotas and positions among the winning political parties, according to sectarian and ethnic divisions of positions. As the position of Minister of Defense belongs to the Sunni Arabs, while the Minister of the Interior belongs to the Shiite

Arabs. As for the Chief of Staff of the Army Forces and the Deputy Minister of the Interior, belong to the Kurds.

The idea of quota descends down to the commanders of divisions and brigades, and even to the number of students in the Military Academy.

**2. Article (12-First)** related to the Iraqi flag, national anthem, and emblem enshrined ethnic quotas, as the aforementioned article stated *“The flag, national anthem, and emblem of Iraq shall be regulated by law in a way that symbolizes the components of the Iraqi people”*

**3. Article (125)** enshrines the term ‘components’ of the political rights of Iraqi ethnicities, i.e. the consecration of quotas in political rights, instead of citizenship and the political rights of citizens within the diversity in its various forms The said article states: *“This Constitution shall guarantee the administrative, political, cultural, and educational rights of the various nationalities, such as Turkomen, Chaldeans, Assyrians, and all other constituents, and this shall be regulated by law”*.

**4. Article (142-First)** related to amending the Constitution, enshrines the term ‘components’: it stipulates that: *“The Council of Representatives shall form at the beginning of its work a committee from its members representing the principal components of the Iraqi society with the mission of presenting to the Council of Representatives, within a period not to exceed four months, a report that contains recommendations of the necessary amendments that could be made to the Constitution, and the committee shall be dissolved after a decision is made regarding its proposals”*.

- The presence of repulsive pluralism and the absence of harmonious pluralism, which made the Iraqi issue a matter of a society of emotions and not a society of interactions, a society of

bloody dissension and not a society of diversity and peaceful difference, a society escaping from restrictions and not a society free from restrictions.

- Sectarianizing politics in a country that has moved from a time when there was no freedom to a time of savage freedoms, and in this situation we are witnessing violent and various violations (the violation of places of worship and their worshipers, the violation of houses of justice and its men, the violation of educational institutions and assaults on their teachers and professors, and the violation of markets and their customers). As a result, political Sectarianization took on the risks of violence and terrorism to stir up civil war, division, or both.

Sectarianism in Iraq is linked to everything related to power, and it is largely political in nature. It was intended to turn into more dangerous, by which we mean '*societal sectarianism*' as a result of the American-British occupation and the weakness of national mechanisms for integrating the components of the Iraqi people within the framework of the comprehensive national identity and unity. The American-British occupation has realigned Iraqi society on the basis of its sectarian and ethnic identities, which constitute a real obstruction to building democracy. Civil society is fragile and weak, and the Iraqi political forces and parties are more like partisan sects or sectarian parties. Indeed, sectarianism has transferred Iraq from (military occupation to contractual occupation), and from (rough occupation to soft occupation), through a series of agreements, including *The U.S.–Iraq Status of Forces Agreement*, and *The Strategic Framework Agreement* of 2008.

The basis of the sectarian problem is not religion or it has to do with religiosity, but subordination of religion to personal interests - sectarian. A policy of survival, self-interest and development at the expense of other sects and ethnic groups. Likewise, the majority

here is not a political numerical majority, but rather a fixed and unchangeable religious and ethnic majority, i.e. work for the favor of sectarian and ethnic quota system, instead of the political quota.

Distortions occurred in the constitution, and it became a constitution full of obstacles and problems, as there were distortions in the elections, which requires the adoption of a new and real electoral system for legislative elections, and another for the elections of the regions and governorates that are not organized in a region, which adopts the principle of citizenship, and that Iraq to be a single electoral district. An electoral system that does not perpetuate the fragmentation of Iraqi people on sectarian, ethnic and regional grounds.

Moreover, another distortions occurred in partisan pluralism, so it is necessary to adopt a new and real law for partisan pluralism (the Political Parties Law) based on civil political foundations and standards that accept parties that adopt the principle of peaceful transfer of power and transparent financing, and do not accept partisan organizations that embrace armed military or paramilitary structures within them. It does not accept religious sectarian quotas and national intolerance, in order to overcome distortions in this regard. Adding to that, there is a need for a free press law that guarantees the principle of pluralism of opinion and freedom of expression.

These reforms to the distortions of the political process should be accompanied by a process of national reconciliation, and whoever wants to be an Iraqi citizen living and participating in a civil state must call and work for the national interest. On the other hand, the political system must be more open in a way that allows the formation of social forces that are not based on local sub-cultures, but rather on a participant culture that is consistent with the philosophy of the political system on which it was formed

post 2003.

Based on the foregoing, and since the society in Iraq is ethnically, religiously and sectarianly diverse, then only the culture, values and concepts of civil society are the ones that can extract the Iraqi individual from the enforcement of his ethnicity, religion and sect, to put him on the path of citizenship, so that his feeling of loyalty to his country becomes stronger than his feeling of ethnicity, religion, sect or clan, and at that time he will stop distinguishing individuals by saying, for example: This is Shiite, that is Sunni, and the third is Christian, or this is an Arab, or a Kurdish, or a Turkman, etc., but it is enough to say: "He is an Iraqi citizen".

## VI. Constitutional Description of the 'State' in Iraq

A deep reading of the articles of the Iraqi constitution issued in 2005 shows us that the term "civil state" is absent, and that "civilian" was never mentioned in its texts. Rather, the term 'state' was mentioned 30 times, as detailed in the following table:

No.	Role	Article	Function
1	Federal State	1	<i>The Republic of Iraq is a single federal, independent and fully sovereign state in which the system of government is republican, representative, parliamentary, and democratic, and this Constitution is a guarantor of the unity of Iraq.</i>
2	Religion of the State	2	<i>Islam is the official religion of the State and is a foundation source of legislation.</i>
3	The state is commit	7 (Second)	<i>The State shall undertake to combat terrorism in all its forms, and shall work to protect its territories from being a base,</i>

	ted		<i>pathway, or field for terrorist activities.</i>
4	The state guarantees	22 (Third)	<i>The State shall guarantee the right to form and join unions and professional associations, and this shall be regulated by law.</i>
5	The state guarantees	24	<i>The State shall guarantee freedom of movement of Iraqi manpower, goods, and capital between regions and governorates, and this shall be regulated by law.</i>
6	The state guarantees	25	<i>The State shall guarantee the reform of the Iraqi economy in accordance with modern economic principles to insure the full investment of its resources, diversification of its sources, and the encouragement and development of the private sector.</i>
7	The state guarantees	26	<i>The State shall guarantee the encouragement of investment in the various sectors, and this shall be regulated by law.</i>
8	The state maintains	29 (First-A)	<i>1. The family is the foundation of society; the State shall preserve it and its religious, moral, and national values.</i>
9	The state guarantees	29 (First-B)	<i>1. The State shall guarantee the protection of motherhood, childhood and old age, shall care for children and youth, and shall provide them with the appropriate conditions to develop their talents and abilities.</i>
10	The state	30	<i>The State shall guarantee to the individual and the family - especially children and</i>

	Guarantees	(First)	<i>women – social and health security, the basic requirements for living a free and decent life, and shall secure for them suitable income and appropriate housing.</i>
11	The state Guarantees	30 (Second)	The State shall guarantee social and health security to Iraqis in cases of old age, sickness, employment disability, homelessness, orphanhood, or unemployment, shall work to protect them from ignorance, fear and poverty, and shall provide them housing and special programs of care and rehabilitation, and this shall be regulated by law.
12	The state Maintains	31 (First)	<i>Every citizen has the right to health care. The State shall maintain public health and provide the means of prevention and treatment by building different types of hospitals and health institutions.</i>
13	The State Supervises	31 (Second)	<i>Individuals and entities have the right to build hospitals, clinics, or private health care centers under the supervision of the State, and this shall be regulated by law.</i>
14	The state Undertakes	32	<i>Individuals and entities have the right to build hospitals, clinics, or private health care centers under the supervision of the State, and this shall be regulated by law.</i>
15	The state guarantees	33 (Second)	<i>The State shall undertake the protection and preservation of the environment and its biological diversity.</i>
16	The state	34	<i>Education is a fundamental factor for the progress of society and is a right guaranteed</i>

	Guarantees	(First)	<i>by the state.</i>
17	The state guarantees	34 (First)	<i>.. state guarantees that it shall combat illiteracy.</i>
18	The State Encourages	34 (Third)	<i>The State shall encourage scientific research for peaceful purposes that serve humanity and shall support excellence, creativity, invention, and different aspects of ingenuity.</i>
19	The State Promotes	35	<i>The state shall promote cultural activities and institutions in a manner that befits the civilizational and cultural history of Iraq, and it shall seek to support indigenous Iraqi cultural orientations.</i>
20	The State Encourages	36	<i>Practicing sports is a right of every Iraqi and the state shall encourage and care for such activities and shall provide for their requirements.</i>
21	The State guarantees	37 (Second)	<i>The State shall guarantee protection of the individual from intellectual, political and religious coercion.</i>
22	The State guarantees	38 (First, Second, Third)	<p><i>The State shall guarantee in a way that does not violate public order and morality:</i></p> <ol style="list-style-type: none"> <li><i>1. <b>First:</b> Freedom of expression using all means.</i></li> <li><i>2. <b>Second:</b> Freedom of press, printing, advertisement, media and publication.</i></li> <li><i>3. <b>Third:</b> Freedom of assembly and</i></li> </ol>

			<i>peaceful demonstration, and this shall be regulated by law.</i>
23	The State guarantees	43 (Second)	<i>The State shall guarantee freedom of worship and the protection of places of worship.</i>
24	The State Seeks	45 (First)	<i>The State shall seek to strengthen the role of civil society institutions, and to support, develop and preserve their independence in a way that is consistent with peaceful means to achieve their legitimate goals, and this shall be regulated by law.</i>
25	The State Seeks	45 (Second)	<i>The State shall seek the advancement of the Iraqi clans and tribes, shall attend to their affairs in a manner that is consistent with religion and the law, and shall uphold their noble human values in a way that contributes to the development of society. The State shall prohibit the tribal traditions that are in contradiction with human rights.</i>
26	The President	67	<i>The President of the Republic is the Head of the State and a symbol of the unity of the country and represents the sovereignty of the country. He shall guarantee the commitment to the Constitution and the preservation of Iraq's independence, sovereignty, unity, and the safety of its territories, in accordance with the provisions of the Constitution.</i>
27	The State	101	<i>A State Council may be established, specialized in functions of the administrative</i>

	Council		<i>judiciary, issuing opinions, drafting, and representing the State and various public commissions before the courts except those exempted by law.</i>
28	State Properties and Assets	127	<i>The President of the Republic, the Prime Minister, members of the Council of Ministers, the Speaker of the Council of Representatives, his two Deputies, members of the Council of Representatives, members of the Judicial Authority, and people of special grades may not use their influence to buy or rent any state properties, to rent or sell any of their assets to the state, to sue the state for these assets, or to conclude a contract with the state under the pretense of being building contractors, suppliers, or concessionaires.</i>
29	The State Guarantees	132 (First)	<i>The State shall guarantee care for the families of the martyrs, political prisoners, and victims of the oppressive practices of the defunct dictatorial regime.</i>
30	The State Guarantees	132 (Second)	<i>The State shall guarantee compensation to the families of the martyrs and the injured as a result of terrorist acts.</i>

## VII. Amending the constitution to Ensure a Civil State in Iraq

Amending the constitution is the basic procedure for reshaping the future of the political system as well as the democratic political process in Iraq if the intention is to have a civil state. However, The crucial question is: which constitutional texts require amendment?

Before answering the question related to amendment of the Constitution, we are keen to mention the golden commandments in order to make the Constitution the common denominator among all members of the Iraqi society regardless of their affiliations. These commandments are:

- **The first commandment:** The function of the constitutional rule is to settle differences and disputes and not to reproduce them in the political community.
- **The second commandment:** The relationship between general satisfaction and full acceptance of the constitutional document and the large number of exclusions and exceptions in the texts of this document is an inverse relationship. The greater the exclusions and exceptions, the less complete acceptability and the less general satisfaction with this document.
- **The third commandment:** The constitutional document should include general principles and starting points that guarantee compatibility and thus partnership between all components of the political community on the one hand, and on the other hand, the texts of this document should avoid - as much as possible - preoccupation with details because they often raise disputes and disagreements.
- **The Fourth Commandment:** Setting a correct constitutional rule that is not applicable today but would be applicable in the future is much better than setting an incomplete and incorrect constitutional rule that is applicable today and that applying it after this day under the pretext of (realism) would be disastrous. Not everything that is (a reality) is true, and not everything that is true is (a reality). What is most important for the constitution, is to include everything that is true today and tomorrow, whether this true is a tangible reality today, or a tangible truth in future.

- **The Fifth Commandment** It happens that the constitutional document contains unforeseen obstacles at the time of its writing. However, the danger lies in the mechanism of amendment in the future. Therefore, the makers of the constitution and those working to amend it must beware of such cases and be more careful and accurate when drafting constitutional articles, especially those that are subject of disagreement between the components of a pluralistic society.
- **The Sixth Commandment:** All democratic constitutional documents are based on consensual principles. These consensual principles are political in nature, they are based on civil political criteria and not the criteria of racial, sectarian and clan quotas -as found in the Iraqi texts. The latter criteria made the Iraqi constitutional document look modern in its form, but traditional in its content.
- **The Seventh Commandment:** The manufacture of democratic constitutional documents and their applications are based on the principle of partnership and participation, and not on the basis of exclusivity and hegemony for one party over others in the political community. Failure to work in the formula of one team will make each group of these parties in the political community think and act on the basis that it is victorious in this constitutional document over the other parties. In fact, thinking in this way and this behavior is the beginning of defeat and the beginning of loss for all parties.
- **The Eighth Commandment:** The democratic constitutional document is the foundational and basic requirement for building a strong state (with) the citizen, and it has no possibility of being (against) the citizen.
- **The Ninth Commandment:** The democratic constitutional document of a federal state does not allow the division of

political power nor its concentration in the hands of the central government, but rather allows the distribution of powers: legislative, executive and judicial between the federal government and the governments of regions, states and provinces.

- **The Tenth Commandment:** The existence of a constitutional text affirming the independence of the state, its sovereignty, unity of land, and its people makes the demand for complete independence and the completion of sovereignty a legitimate demand and an endeavor that has no objection to it. It is better for there to be a constitutional text that allows the citizen to demand the completion of the sovereignty and independence of his country rather than just granting him the freedom of assembly and expression of opinion.

We make these commandments and hope that they will gain the attention of the Parliamentary Constitutional Amendment Committee.

### **The Constitutional texts that require amendment:**

The constitution carries within it, especially in its preamble, an acceptable general framework for the philosophy on which it is based. Despite its rhetorical, constructive and confused nature, and its attention to the past more than its aspiration towards the future, it included important basic principles and starting points.

- Every Iraqi citizen who wants to defend Iraq's independence and sovereignty must rely on this document (The preamble as well as Articles 1, 50, and 67).
- Every Iraqi citizen who wants to defend the unity of Iraq in terms of its people, land, and sovereignty must rely on this constitution (The Preamble).
- Every Iraqi who wants to defend the state of law, national

unity, peaceful transfer of power, the principle of equitable distribution of wealth, the principle of equal opportunities for all, and the principle of citizenship) can rely on this constitution (The Preamble and Article 18).

- Those who want to combat sectarianism and racism must resort to this constitution (The Preamble).
- Whoever wants to renounce and combat terrorism and keep Iraq away from being a headquarters, channels or arena for terrorist activity must adopt this constitution (Article 7-Second).
- We can see the principle of the ‘*internationalization*’ of the Iraqi Constitution not in the sense of lacking national values, but rather in the sense of ensuring the international acceptability of this national constitutional document (Articles 8, 9- e, and Article 21- Third).
- We find in this constitution the principle of supremacy of the constitution (Article 13) and the principle of political equality between men and women in voting and candidacy (Article 20).

The foregoing represents some of the advantages mentioned in the constitution. As for the failures and obstacles contained in the articles of this document, they are many, and they must be addressed in the next amendment. We hereby mention the most prominent of them:

### **1. The principle of citizenship:**

It was stated in Article 9 (First-A and B) that:

A. *“The Iraqi armed forces and security services will be composed of the components of the Iraqi people..”* We believe it is correct to suggest that the word ‘*components*’ be removed and be replaced by the word ‘*citizens*’, because ‘*components*’ may be interpreted in a way that makes the armed forces and security

service agencies of nationalities, sects and clans under the pretext that they are components.

B. *“The formation of military militias outside the framework of the armed forces is prohibited”*. The correct proposal as we believe is to ban the formation of military militias inside and outside the framework of the armed forces.

## **2. The obstruction to liberal democracy:**

This obstruction is represented by Article (29- First-A), which states that *“The family is the foundation of society...”* We believe that the correct proposal to amend this text is by suggesting that *‘the individual is the foundation of society’* and to add that the *‘citizen is the foundation of the state’*.

## **3. The Social chaos:**

This problem that is contradicted with the civil social system is represented by (Article 41). It states that *“Iraqis are free in their commitment to their personal status according to their religions, sects, beliefs, or choices, and this shall be regulated by law.”* This text calls upon Iraqis to be free to bind and restrict themselves to their personal status according to their religion, sect, beliefs or choices. The most dangerous in this text is the consecration of customs and norms inherited in a male-dominated society such as the Iraqi society. These uncivil values lead to social chaos because they conflict with the most basic human rights and with the rights and freedoms due to women as a citizen of the free citizens. The best proposal is to abolish this article in the first place.

## **4. Tribes and civil society organizations:**

The Iraqi Democratic Constitution linked traditional and civil values in one article. This is what was stipulates in Article 45. It strangely combined the state's keenness to *“strengthen the role of*

*civil society institutions" and "advance the Iraqi tribes and clans".* This strange combination does not consistent with the general orientation of the philosophy of the new political system of Iraq which is intended to be democratic, pluralistic on a civil basis. The best proposal as we see is to abolish the part that is concerned with the traditional values in the first place.

## **5. Composition of the Federal Supreme Court**

This problem is represented by (Article 92 - Second), which states that the Federal Supreme Court consists of *"The Federal Supreme Court shall be made up of a number of judges, experts in Islamic jurisprudence, and legal scholars,.."*. We suggest that the membership in this court be made up of judges and jurists from different religions and sects.

## **6. Oil and gas**

This obstruction is represented by (Article 111), which states that *" Oil and gas are owned by all the people of Iraq in all the regions and governorates"*. The fundamental question is: What about the rest of the natural resources other than oil and gas? Therefore, we suggest that the amendment stipulate "all natural resources..."

## **7. Oil and gas (currently extracted)**

This obstruction is represented by (Article 112), which limited the federal government only manage the oil and gas extracted from the existing fields. The fundamental question is: What about the oil and gas fields that will be discovered in the future? The practical proposal related to this article is to cancel it from the constitution so that it will not be a problem in the future.

## **8. The supremacy of the law of the regions and provinces over the federal laws**

This obstruction was mentioned in (Article 115) in its reference to the case of dispute between the federal government and the regions and governorates with regard to joint powers, in which priority is given to the law of the regions and governorates that are not organized in a region. The said article stated that *“All powers not stipulated in the exclusive powers of the federal government belong to the authorities of the regions and governorates that are not organized in a region. With regard to other powers shared between the federal government and the regional government, priority shall be given to the law of the regions and governorates not organized in a region in case of dispute”*. The correct proposal is to leave the case of determining priority to the Federal Supreme Court.

### **9. An easy condition for a complex and dangerous subject**

The easy condition for a complex as well as dangerous subject is what is stated in (Article 118), which states that *“The Council of Representatives shall enact, in a period not to exceed six months from the date of its first session, a law that defines the executive procedures to form regions, by a simple majority of the members present”*, which means a majority of (51%) of those present. It is indeed an easy condition to achieve a complex and difficult issue.

Moreover, (Article 131) confirmed this easy condition for the same complex and dangerous issue, as it asserted that *“Every referendum mentioned in this Constitution is deemed successful with the approval of the majority of the voters unless otherwise stipulated”*. In the sense that the success of the referendum to form a region depends on achieving the condition of (majority of the voters), which is an easy condition for a complex and dangerous subject.

### **10. Application of federal law in the region**

The numerous paragraphs of (Article 121), perpetuates two main problems and obstacles, namely paragraphs (IV) and (V):

**(Paragraph IV)** states that *“Offices for the regions and governorates shall be established in embassies and diplomatic missions, in order to follow cultural, social, and developmental affairs..”* The issue of establishing offices for regions and provinces in diplomatic missions is something that Belgian legislators invented and later was copied by Iraqi legislators without realizing the size of problems that would result in these missions if this paragraph was applied.

**(paragraph V)**, states that *“The regional government shall be responsible for all the administrative requirements of the region, particularly the establishment and organization of the internal security forces for the region such as police, security forces, and guards of the region”*. The term ‘*regional guards*’ mentioned in the said paragraph could easily be interpreted as the (regional army), especially since this military force is equipped with heavy weapons. The correct amendment of this term - as we believe - is to delete the term ‘*regional guard*’ and insist on the term (internal security forces of the region) to include the police and local security forces only.

## Conclusion

We conclude to affirm that the civil state is a presumption in its existence and continuity, and before that in its establishment, with a vision with the most prominent characteristics:

- It should be futuristic, and this vision is missing in Iraq as long as political Iraq retreats to the state of traditional components after overcoming the authoritarian state, so we find the general situation today evokes history in order to live in it and to live at its expense, and not to leave it.

- The civil state is a state of citizenship, however, the case in Iraq is different in the sense that its individuals are distributed among subjects, followers, and clients.

### References:

1. Iraqi Constitution of 2005.
2. Abbas Radi Al-Amiri, Obstacles to Democratic Transformation in Iraq, Dialogue of Thought Journal, Baghdad: Iraqi Institute for Dialogue of Thought, 2013. (Arabic)
3. Abdullhusein Shaaban, The Controversy of Identities in Iraq (State and Citizenship), Dar Beirut: Arab Science, 2010. (Arabic)
4. Ali Hassan Al-Rubaie, Challenges of Building the Iraqi State, Arab Future Journal, Vol. No. 337, Beirut: 2007. (Arabic)
5. Amer Hassan Fayyad, Iraq and the Dream of the State, Baghdad: Anki publications, 2020. (Arabic)
6. Amer Hassan Fayyad, Narratives of Reason and the Misery of Democratic Transformation in Contemporary Iraq, Baghdad: Al-Subh Al-Thaqafi Book, 2016. (Arabic)
7. Amer Hassan Fayyad, The Islamized States of Evil, Beirut: Arab House, 2019. (Arabic)
8. Burhan GHalun, The sectarian issue and the problem of minorities, Beirut: Dar Alitalia, 1979. (Arabic)
9. Jabir Habib Jabir, State and identity struggle in Iraq, Iraq, Alnajaf: Dar Aldhia, 2009, (Arabic)
10. Mahdi Al-Shara, The Political Components of Sectarianism in Iraq, Oriental Affairs Journal, Vol. No. 1, Center for Arab Orient Studies: 2008. (Arabic)

11. Mazen Marsool Muhammad, The Sociology of Crisis (Iraqi Society as a Model), Beirut: Al-Aref Foundation, 2005. (Arabic)
12. Nazih Al-Ayoubi, Expanding the Arab State, Arab Organization for Translation, Beirut: 2010. (Arabic)
13. Salim Matar, The Wounded Self: Problems of Identity in Iraq and the Arab World, Beirut: The Arab Institute for Studies and Publishing, 1997. (Arabic)



# Education policies and building social awareness to confront extremism in Iraq (scientific article)

**Prof. Dr. Ali Faris Hameed\***

Receipt date:11/12/2023 Accepted date: 19/12/2023 Publication date:30/1/2024

## Introduction

Policies related to education and peace building in any region of the world assume the degree of awareness and knowledge that individuals possess, as well as the seriousness of resorting to dialogue as an entry point to settling differences and building values of tolerance in society, which require mature laws with the ability to convince citizens that consent and acceptance is part of the commitment of individuals. with this culture. Confronting extremism requires social awareness capable of preventing, deterring and dispersing extremist ideas.

Since 2003, Iraq has been suffering from waves of social threats because of the awareness resulting from the lack of social satisfaction with the state's policies, some of which coincided before 2003 because of the political conditions that resulted in the growth of many social risks that greatly affected education policies and other methods of socialization until these ideas began Affect social security and weaken peace. Terrorist organizations have expanded horizontally in different regions of Iraq, relying on

---

\* Professor of International and Strategic Studies / Al-Nahrain University.

exploiting weak public policies to achieve social justice, growing unemployment, and the weak ability of citizens to meet public needs.

The reliance of education policies on traditional means, especially in the societal fields, negatively affects building the culture of citizens in society, especially if the community education methods are more influential than government education policies - because education in Iraq depends on government support and not private education, whether in curricula or educational message. - Because of the impact of this on social awareness and knowledge of peace politics and building a culture of dialogue as an alternative to violent means.

Education represents the method that the state relies on in building social awareness and purifying the negative values that are formed due to the habits of society. In this regard, a group of factors related to the educational process in Iraq can be dealt with:

### **weakness response to the educational message**

One of the most important problems of education in Iraq is the weakness response to the educational message based on building awareness and rationalizing behavior among individuals. The educational method does not aim at a real message that accompanies the performance of the institution and the social requirement. The assessment of this situation in Iraq is the result of reasons related to the method of education, as the explanatory means are declining and there are almost no curricula related to dialogue and dealing with society and other cultures, which are necessary for the purpose of expanding the culture of acceptance of the other in society.

The different traditions and values have an important influence as a substitute for the values of education and preference

compared to the education policies that begin in the school and sometimes continue to the universities. **Therefore**, the weakness of building the values of education or the educational message among individuals inside or outside the institution greatly affects the state of extremism in society due to the connection. Some values violence or think inequality. There are various examples of this effect. Dealing with doctors by some individuals in different regions is one aspect of these cases, and because of that, the doctor is forced to resort to social values and deal with them in order to protect himself. This may move to the work of civil society organizations that cannot go against the status of traditions in a particular region.

The weakness of integration between the mission of the educational institution and social values, or the difference between them without the existence of criteria to bring them closer, weakens the amount of cooperation and negatively affects the situation of dealing and response between them in terms of integration.

### **Education and Peace Strategies in Iraq**

National plans related to building peace in Iraq focus on education, and the Ministry of Education and the Ministry of Higher Education give an important aspect to this strategy. This strategy focuses on culture and social awareness to prevent and prevent violence. These need programs with important academic institutions such as universities and international organizations such as UNESCO.. UNESCO is working with the University of Mosul to discuss new ideas about education and peace-building in order to address the problems and crises of the state after the control of ISIS in Mosul, as well as the United Nations Mission and the European Union Mission. With Iraqi experts at Al-Nahrain Center

for Strategic Studies to develop and build capacities in different regions of Iraq for the purposes of supporting peace building through education policies.

The educational mission aims to serve society and deal with social issues related to the behavior and lives of citizens. The aim of educational programs is to be able to build a culture of peace and prevent extremism. Universities in Iraq demand to enhance community service through educational programs and research projects. In pure science, they aim to find solutions to health or engineering problems, as important inventions related to the needs of individuals are continuously registered in the Ministry of Planning (the authority responsible for inventions in Iraq). As well as in the social sciences, where academics present new methods of education based on field studies and digital data in order to identify means that can increase the culture of dialogue and peace-building, such as development programs in Anbar Governorate, which have contributed to supporting government programs for peace-building.

### **Peace building culture and education policies**

Awareness of justice in society requires critical thinking related to the human role as a citizen and not just an individual in society. Education and culture institutions contribute to building values of peace and tolerance as an alternative to the culture of extremism in society. This needs direct applications in the field of human rights. The government program contributes to supporting A culture of peace through several applications related to work, sports, and planning for the application of scientific research. The appropriate way to combat extremism is through development and capacity building. In addition, the culture of building peace requires foundations and approaches related to ways of building

awareness and rationalizing behavior in society.

According to the literature of political thought, fair policies are of great importance in the field of changing the awareness of thinking about belonging, as the criteria related to injustice usually lead to the violation of rights, the feeling of grievance, and the political and social alienation, so the image turns into a mere sign of hatred, and from here comes the importance of rights and duties as a criterion for dealing with logical choices. Because of the individual's sense of belonging and his behavior in society, the criteria related to political alienation usually strip the individual of his total affiliations and push him towards individual affiliations. Here, it is possible to focus on a new path in sharing education and building culture through cooperation with institutions, research centers and universities that have scientific programs in this field<sup>(1)</sup>.

The University of Mosul and the Al-Nahrain Center for Strategic Studies, with the support of UNESCO, the United Nations and the European Union, began developing these programs to include schools, the Ministry of Interior and civil society institutions. The Ministry of Higher Education is working through academics, research projects and advanced studies to develop this aspect, and national plans can help build peace by expanding Aspects of knowledge and culture to expand the culture of peace building, which needs development projects in education for the purpose of stabilizing it, which is the premise of this article.

Academic institutions are trying to implement a set of techniques related to building peace and addressing problems related to the environment and culture to provide new elements of satisfaction in society, and this effort is linked to national

---

(1) Katie Nash, *Contemporary Political Sociology: Globalization, Politics, and Power*, translated by Theeb bin Hamad Al-Dosari, Riyadh, King Saud University Press, 2017.

initiatives undertaken by some international institutions and agencies such as the German Agency for Development in order to provide platforms that support dialogue and participation between the local community And the government, which aims to build peace as an alternative to the culture of confrontation and violence.

Working in accordance with the requirements of the educational mission of academic institutions and promoting modern means of clarification and education will enhance the culture of dialogue and participation in building peace, especially if there is support for these platforms from specialized agencies such as UNESCO and similar agencies because the indoctrination methodology and other traditional means will not lead to sustainable peace.

### **Remodeling means of thinking**

The Counter-Terrorism Service (CTS) adopted the combat doctrine as a cognitive and basic effort to deal with the challenges facing the tasks of the agency at the level of operations and combat, as well as the prevention and prevention techniques on which the Iraqi counter-terrorism strategy was based. The basic principle on which the strategy was based is based on the fields of knowledge that it is not easy for armed groups to expand without developing feelings in the minds of some individuals, as that criterion is linked to a large extent with the extremist approach intellectually, which works to control the orientation of individuals. belonging to these groups, and then the expansion of the level of recruitment and the ability to carry out infiltration operations and spread terror among citizens.

The method of confronting violent extremism according to a strategic logic based on intellectual confrontation will help the

state overcome the challenges of the expansion of terrorist groups and the weakening of the extremist enemy. Penetrating it and developing a sense of citizenship and civility will strengthen the principle of moderation versus extremism, in addition to helping decision-makers to weaken the influence of random groups.

One of the pillars of the anti-terrorism strategy is that it relied deliberately on systematic methods in terms of the use of experts and academics and highlighting the academic content in the method of formulating the strategy for the purpose of having a common aspect in the scope of its implementation. Iraqi terrorism that accompanied many of the paragraphs in the follow-up process

The importance of this focus and thinking about its entries are associated with reasons related to the nature of the strategies adopted by the terrorist organization ISIS on the one hand, and other armed terrorist groups, and by referring to the intellectual significance of savagery, we see that savagery is a word used by (Abu Bakr Naji) to express that state of chaos that will creep into the body of a state What or a specific area if it still has the grip of the ruling authorities, and the author believes that this state of chaos will be “savage” and the local population will suffer from it, so Al Qaeda - which will replace the ruling authorities in preparation for the establishment of the Islamic state - must improve the “management of savagery” to settle things.

The book (Management of Savagery) indicates that the process of selecting regions to enter the “Circle of Major Regions”; That is, passing through the stage of “managing savagery” that relied on studies and research “related to current events.” Therefore, he confirms that “after the events of September 11 and the subsequent developments, the leadership announced some amendments, so it excluded some areas from the group of main areas, provided that they are included to work in The system of the rest of the countries, and two countries were introduced, namely

the countries of the Two Holy Mosques and Nigeria, and then the countries that are initially nominated to enter the group of the main regions are the regions of the following countries: Jordan, the countries of the Maghreb, Nigeria, Pakistan, the countries of the Two Holy Mosques and Yemen. According to this methodology, adopting the scientific methodology in dealing with terrorist groups will have a positive impact on the state's effectiveness in confronting these groups, and this is what made it one of the pillars of the Iraqi strategy in combating terrorism<sup>(1)</sup>.

The nature of the pillars on which the counter-terrorism strategy was based came for the purpose of enhancing the level of performance and raising the readiness of institutions in dealing with terrorist challenges after the victory over ISIS, which made it characterized by a number of its own criteria in terms of diagnosis and performance in this aspect.

Confronting extremism and building social awareness within education policies is a responsibility with institutional integration and requires several types of procedures. The integration that Iraq aims to establish at the level of strategic planning for these policies is one of the most important elements of the experience that Iraq gained after 2017.

---

(1) Ali Faris Hameed, Managing Savagery: Managing the Moment or the Future, Future Center for Strategic Studies, by link: <https://www.annabaa.org/arabic/referenceshirazi/8791>

# **The Position of the Kingdom of Saudi Arabia Toward Iraqi Governments After 2003**

**Prepared by: Hussam Ali Omran**

## **Introduction**

The Saudi-Iraqi relations have been a subject of increasing interest on both bilateral and regional/international levels due to the strategic importance of these two nations. This importance grants them added value and geopolitical strength, characterized by mutual influence on regional and international developments. The Saudi-Iraqi relations have gone through multiple phases, taken various paths, and been affected by local, regional, and international factors. These circumstances necessitated a transition from one phase to another based on the interests of both nations, their foreign policy objectives, and the factors influencing their mutual interaction. Iraq has experienced internal events that led to rapid reactions and counter-reactions in its relations with Saudi Arabia, marked by chaos and clashes amid shifting dynamics.

From this perspective, this study explores Saudi Arabia's stance toward successive Iraqi governments post-2003—a new political phase that witnessed instances of attraction and tension, severed ties, mutual accusations, and most recently, significant rapprochement over the past four years.

## **First: Saudi Arabia's Position on the U.S. War on Iraq in 2003**

Shortly before the war began, Saudi Arabia's official and popular stance crystallized in rejecting the aggression on Iraq, aligning with the broader Arab and Islamic consensus formed before the conflict. Moreover, Saudi Arabia's position resonated with that of the Arab League, which issued a resolution rejecting any harm to Iraq's security and stability. Similarly, the Islamic nations within the Organization of Islamic Cooperation (OIC) expressed their opposition to the idea of aggression.

This stance was officially reflected in the statements of Saudi Crown Prince Abdullah bin Abdulaziz on March 17, 2003, shortly before the war broke out. He declared that the Saudi government opposed the war on Iraq, even though it had no means to prevent its occurrence<sup>(1)</sup>.

On April 4, 2003, Saudi Arabia proposed an initiative announced by its Foreign Minister, Saud Al-Faisal, which called for the resignation of Iraqi President Saddam Hussein to spare the country from war. This initiative was, in fact, the first of its kind introduced by Saudi Arabia. It was later followed by several similar proposals from other countries, advocating for the deployment of Arab forces to Iraq following Saddam's resignation and the conduct of elections under United Nations supervision. However, all these initiatives were categorically rejected by the Iraqi regime at the time<sup>(2)</sup>.

- 
1. Dr. Hisham Suwadi Hashim, "The Position of Saudi Arabia on New Developments in Iraq," Published Research, University of Mosul, College of Education, History Department, Journal of Education and Science, Vol. 19, Issue 3, 2012, p. 191.
  2. Al-Inteqa Magazine, Beirut, Issue 2410, April 4, 2003.

Saudi Arabia also requested that the United States exhaust all diplomatic avenues before deciding to go to war. Publicly, the stance of Saudi religious scholars and the media, which opposed the aggression, exerted significant public pressure on the government to adopt an anti-war position. Based on these positions, Saudi Arabia ultimately managed to persuade the United States to designate Qatar as the launch point for the invasion of Iraq to avoid provoking Arab and Islamic public opinion.

Simultaneously, Saudi Arabia maintained logistical support for U.S. forces, providing substantial financial assistance during the war to preserve its strategic relationship with the United States. Riyadh feared that the invasion could result in the emergence of a pro-Western Iraqi regime that might reduce Washington's reliance on Saudi Arabia, particularly as the U.S. began discussing the importance of democratizing the region.

In the event that the new Iraqi regime was not aligned with Saudi interests, it would likely gravitate toward the Iranian-Syrian axis, a scenario deemed highly unfavorable for Saudi Arabia, which shares a 700-kilometer border with Iraq. Consequently, Saudi Arabia decided to increase its support for the U.S. to ensure the continuity of their strategic partnership. During the 2003 invasion, the Dhahran Airbase was among the facilities utilized for military operations in Iraq<sup>(1)</sup>.

It can also be argued that Saudi Arabia feared the possibility of Iraq emerging victorious from the war, even though such an outcome seemed unlikely given the firm resolve of the United States. However, if it were to happen, Iraq would return stronger than before, shedding the political, economic, and military

---

3. Methaq Khairallah Julood, "Saudi-American Military Relations: Dhahran Base as a Model," Published Research, University of Mosul, Center for Regional Studies, May 15, 2007, pp. 65–66.

constraints that had previously weakened its regional political role. This, naturally, would pose a significant threat to Saudi Arabia.

As a result, Saudi strategic perception aimed for a change in Iraq's political system without direct intervention. This approach reflected Riyadh's interest in ensuring that Iraq would not regain its former strength, which could disrupt the balance of power in the region and undermine Saudi Arabia's security and influence<sup>(1)</sup>.

It also appears that the United States feared a potential rapprochement between Iran and Iraq, particularly as both parties sought to resolve their longstanding disputes from the eight-year war, in addition to their positions opposing the United States and Israel.

## **Second: Saudi Arabia's Position on Iraq and Shifts in Political Discourse After 2003**

(From Cautious Openness to Delegitimization to Accelerated Openness)

Following the occupation of Iraq on April 9, 2003, Saudi Arabia's stance shifted significantly. Riyadh began to worry about Iraq turning into a battleground for regional conflicts, particularly with key regional powers that Saudi Arabia viewed with suspicion, chief among them Iran.

It seems that curbing Iranian influence within Iraq became a growing Saudi priority, which strengthened the hypothesis that Saudi Arabia might have been willing to accept Iraq as a theater for regional power struggles. This reflected Saudi concerns over Iran's

---

4. Ghazi Daham, "Regional Conflicts: Reality and Future," Center for Strategic Studies, University of Jordan, Published Research, 2009, p. 52.

expanding foothold in Iraq<sup>(1)</sup>, When Saudi Arabia evaluates Iraq, it identifies several strategic risks, which can be categorized as follows:

### **1. The Perception of Iran as a Regional Power:**

Saudi Arabia views Iran as an influential regional force neighboring Iraq and a competitor to Saudi interests. It is believed that Iran would significantly intervene in shaping Iraq's political landscape. Therefore, Saudi Arabia might prefer Iraq to maintain relative independence with a capable military force that can safeguard its sovereignty and prevent Iranian interference. However, this preference is conditioned on Iraq not posing a threat to Saudi security through possessing such military capabilities, to avoid a recurrence of the "Saddam Hussein model"<sup>(2)</sup>.

### **2. Islam as the Official Religion:**

While Islam is the official religion of both Iraq and Saudi Arabia, it was expected to serve as a unifying factor strengthening bilateral relations. However, post-2003, religious issues have been a primary obstacle to fostering such relations. This is largely due to sectarian differences, with Saudi Arabia adhering to Sunni Islam and the majority of Iraq's population being Shia. Additionally, Saudi Arabia's approach to leveraging religious tools for political objectives has further complicated these relations<sup>(3)</sup>.

- 
5. Asim Mohammed Omran, "The Saudi Political System in the American Perception," Published Research, Journal of International Studies, Center for International Studies, University of Baghdad, Issue 26, 2005, p. 75.
  6. Mohammed Mujahid Al-Zayat, "Iran and the Situation in Iraq," Middle East Papers, National Center for Middle East Studies, Issue 36, 2007, p. 47.
  7. Joseph McMillan, "Saudi Arabia and Iraq...", Previously Mentioned Source, p. 8.

### 3. Fear of the Iraqi Federal Model:

Saudi Arabia harbors concerns about Iraq's federal model, which could naturally encourage marginalized and impoverished regions—particularly the Shia-majority Eastern Province—to demand federalism. Within this context, Saudi Arabia remains wary of scenarios involving potential divisions, as previously hinted at by the United States following accusations of Saudi support for terrorism. Consequently, Saudi policy has leaned towards opposing federalist tendencies in Iraq and advocating for a centralized governance structure<sup>(1)</sup>.

Therefore, Saudi Arabia structured its relations with Iraq post-2003 based on this vision, which can be outlined as follows:

#### **Phase One: Saudi Arabia's Cautious Engagement with Iraq (2003–2014)**

One of the significant paradoxes faced by the Iraqi political process post-2003 at the regional level was the clear contradiction between the orientations of Saudi Arabia and the United States, despite the existence of a deep strategic alliance between the two nations since the 1990s. This contradiction can be attributed to several key Saudi concerns, most notably, (Possibilities of Iraq's growing role and significance in the American strategic perspective, accompanied by a decline in Saudi Arabia's influence and standing; suspicions regarding the transfer of Iraq's democratic political experience and peaceful power transitions to Gulf political systems in general and Saudi Arabia in particular; concerns about the strengthening of Iranian influence in Iraq due

---

8. Haider Ali Hussein, "Iraq and Neighboring Countries: Goals and Interests," Published Research, Center for Arab and International Studies, Al-Mustansiriya University, Baghdad, Issue 33, 2011, p. 14.

to the dominance of Shiite political forces in the Iraqi political scene post-2003, which might contribute to enhancing Iran's regional role and status).

These factors led Saudi Arabia to structure its relationship with Iraq during this period based on the successive Iraqi governments in power, as follows:

### **1. Saudi Position on the Iraqi Governing Council:**

After the U.S. occupation of Iraq, the United States initially sought to manage Iraq directly. However, due to internal and external circumstances, both regional and international, it decided to establish an Iraqi government to support its efforts. On July 13, 2003, the formation of the Iraqi Governing Council was announced, which would eventually lead to the establishment of a transitional government<sup>(1)</sup>.

The establishment of the Iraqi Governing Council had a notable impact on the regional, particularly Gulf, stance. The Gulf Cooperation Council (GCC) countries welcomed and recognized the council, driven by the understanding that Iraq faced two potential scenarios: Stability and New Relations: Iraq could achieve stability, paving the way for establishing new relationships with Gulf states, Collapse and Internal Chaos: Alternatively, Iraq might descend into internal chaos, potentially becoming a new source of exported terrorism, which would have adverse effects on Gulf states.

In response, these countries adopted a pragmatic approach, choosing to acknowledge the council despite any legal dilemmas,

---

9. Mohammed Kareem Kazem & Mustafa Farouq Majid, "Iraq and the Arabian Gulf Region: The Race for Status and Regional Role," *Journal of International Studies*, Center for International Studies, University of Baghdad, Issue 66, 2016, p. 68.

recognizing it as a representative authority in Iraq<sup>(1)</sup>.

Accordingly, Saudi Arabia's position aligned with that of the Gulf states in welcoming and recognizing the Iraqi Governing Council. Saudi Arabia regarded this step as significant in enhancing Iraq's security and stability. Furthermore, it encouraged Iraq to participate in the meetings of the Arab League, as expressed by the former Saudi Foreign Minister Saud Al-Faisal. He stated that this occasion could be an opportunity to restore Saudi-Iraqi relations to their natural state<sup>(2)</sup>.

The Gulf states reiterated their support for this step, and Saudi Arabia also welcomed the formation of the transitional government led by Iyad Allawi. On July 28 of the same year, Allawi visited Saudi Arabia, signaling a clear development in bilateral relations following the political change. Subsequently, the Saudi government announced the resumption of its diplomatic relations with Iraq on July 30, 2004<sup>(3)</sup>.

In 2004, Saudi Arabia initiated a project aimed at uniting Iraqis and encouraging them to adopt a comprehensive national political program based on reconciliation among various factions and rebuilding the state. This initiative involved inviting all Iraqi political forces to meet in Cairo, with the goal of encouraging Arab Sunnis to participate in the political process. Representatives of most Shia political forces attended, along with delegates from the Iraqi Association of Muslim Scholars, headed by its Secretary-General Harith al-Dhari. The discussions focused on two key issues: the participation of Arab Sunnis in the political process, including drafting a constitution and conducting parliamentary elections,

---

10. Dr. Hisham Suwadi Hashim, "The Position of Saudi Arabia on New Developments in Iraq," Previously Mentioned Source, p. 193.

11. Al-Zaman London Newspaper, Issue 1708, January 12, 2004.

12. Al-Sharq Al-Awsat Newspaper, Issue 7377, July 31, 2004.

and reaching an agreement on defining the U.S. presence in Iraq and ceasing military operations by Sunni armed groups.

However, the initiative quickly failed, marking the onset of sectarian war between Sunnis and Shias in Iraq, which claimed thousands of lives due to armed conflicts. In 2006, Saudi Arabia attempted once more to bring the opposing sides together during the Hajj season in Mecca to calm tensions and prevent further conflict. Despite these efforts, the initiative failed due to a lack of engagement from Shia political forces. Subsequently, Saudi Arabia announced what became known as the "Mecca Declaration," which called for an end to sectarian violence<sup>(1)</sup>.

## **2. Saudi Position on the Ibrahim al-Jaafari Government:**

Saudi Arabia praised the success of the January 2005 elections, considering them a significant step for the Iraqi people toward reclaiming their sovereignty and independence. In an official statement, the Kingdom declared, "We congratulate the government and people of brotherly Iraq on the success of the electoral process," adding, "We hope that the results of the Iraqi elections will lead to national reconciliation, ensuring the unity and independence of the country"<sup>(2)</sup>.

However, the election results, in which the Shiite-dominated United Iraqi Alliance secured 143 parliamentary seats out of 275 members in the National Assembly, caused concern and posed a threat to Saudi Arabia. The Kingdom feared that Iran would extend its influence in Iraq through this coalition. Saudi Arabia was

---

13. Moayad Al-Wondawi, "Iraqi-Saudi Relations: Where to?" Published Research on the Arab News Agency Website, June 13, 2017, Available at: <http://arab-newz.org/archives/8609>.

14. Jassim Younis Al-Hariri, "Strategic Relations between Iraq and GCC Countries (Past, Present, and Future) 2003–2020," University of Basra, Center for Gulf Studies, 2012, p. 327.

particularly apprehensive about the potential of this Shiite momentum to impact political leadership decisions and the selection of key officials, which could, in turn, inspire Shiites in Gulf countries, especially in Saudi Arabia, to awaken politically and demand their rights"<sup>(1)</sup>. This prompted the Saudi Foreign Minister, Saud Al-Faisal, to state, "The deteriorating situation in Iraq continues to pose a serious challenge to the security of the region, calling for an end to all forms of interference in Iraq." This was a clear reference to Iranian influence in Iraq and the threat it represented, according to the Saudi perspective"<sup>(2)</sup>.

These developments later had negative repercussions on the bilateral relations between the two countries. This became evident following the formation of the government on April 28, 2005, headed by Prime Minister Ibrahim Al-Jaafari. Despite his visit to Saudi Arabia on November 29 of the same year to initiate the activation of bilateral relations, the Kingdom refused to receive Iraqi pilgrims and engaged in media escalation against his government until the end of his term in December 2005<sup>(3)</sup>.

### **3. Saudi Arabia's Stance Toward the Al-Maliki Governments (2006–2014):**

After the Iraqi Council of Representatives elections on December 15, 2005, the United Iraqi Alliance, with its predominantly Shia political identity, again emerged victorious, this time securing 128 parliamentary seats out of 275 members. In

---

15. Refer to: Independent High Electoral Commission in Iraq, "Names of Winners in the First Elections for the National Assembly and Provincial Councils," 2005.

16. Joseph McMillan, "Saudi Arabia and Iraq...," Previously Mentioned Source, pp. 10–11.

17. Dr. Lama Al-Imarah, "Security Implications for the Arabian Gulf Post-March 2003 Events," Journal of Political Issues, Vol. 4, Issue 13, 2008, p. 108.

contrast, the Iraqi Accord Front, representing the Sunni political faction, won 44 parliamentary seats, on which Saudi foreign policy heavily relied to introduce a semblance of balance<sup>(1)</sup>.

Political relations between Saudi Arabia and Iraq began to strain, entering a phase of deterioration and decline. Shia political factions in Iraq directed explicit accusations at Saudi Arabia, alleging its support for terrorist groups in Iraq, such as al-Qaeda, Tawhid wa al-Jihad, and others. Despite this tension, several prominent political figures and leaders, both governmental and partisan, maintained positive relations with Saudi Arabia. Among these figures were Iyad Allawi, Muqtada al-Sadr, Sayyid Ammar al-Hakim, and the Secretary-General of the Association of Muslim Scholars, Harith al-Dhari, alongside many other leaders.

However, the indicators of worsening relations between the two countries significantly escalated. Saudi Arabia accused Iraq's Shia and Kurdish political factions of marginalizing the Sunni community from political participation, particularly during the first elections for the National Assembly in 2005 and the subsequent drafting and ratification of the Iraqi constitution in the same year. This development gave rise to a Saudi political perception opposing the new Iraqi constitution, which at the time posed a challenge for Saudi Arabia in terms of recognizing the legitimacy of Iraq's political system<sup>(2)</sup>.

Saudi Arabia's hostile stance toward the Iraqi regime

- 
18. Methaq Khairallah Julood, "The Future of Iraq's Relations with Gulf Countries in the Political Domain," Published Research, Journal of Regional Studies, University of Mosul, Center for Regional Studies, Issue 21, January 2011, pp. 350–351.
  19. Refer to: Final Report on the December 15, 2005, Iraqi Parliamentary Elections, International Electoral Mission in Iraq, Annex No. 4: Summary of Seats and Votes, 2005, p. 28.

intensified following the ascension of Nouri al-Maliki, leader of the Shiite Islamic Dawa Party, to the Iraqi premiership. Developments in Iraq did not align with Saudi interests, as al-Maliki pursued policies that diverged from both Saudi and U.S. preferences. From Saudi Arabia's perspective, this represented an American leniency in applying pressure on Iraq.

Consequently, Saudi Arabia adopted a strategy of direct pressure, aiming to delegitimize Iraq's entire political process on both regional and international platforms. Through various slogans and pretexts, the kingdom sought to support Sunni political factions in their quest for greater political representation and access to power. Among the prominent justifications put forth by Saudi Arabia during this period were Claims of political marginalization of Sunni Arabs in favor of Shia and Kurdish factions, The Iraqi government's failure to foster national reconciliation among the country's diverse components<sup>(1)</sup>.

With the improved security situation in Iraq and the initiation of dialogue with the United States toward signing a strategic agreement, Saudi Arabia found itself faced with two potential courses of action: Reopening diplomatic relations with Iraq and discreetly working to replace the current government with one that would be more aligned and responsive to Saudi interests. Officially declaring its refusal to reestablish diplomatic ties with Iraq, which, however, was not the preferred option for the Saudi administration. As a result, Saudi Arabia opted to allow Iraq to reopen its diplomatic mission in Riyadh, appointing Ghanem Al-Gamili as the head of the Iraqi mission on April 25, 2009. It is notable that this step was taken only after American pressure, highlighting the U.S. influence on Saudi decisions during this

---

20. Anwar Adel Mahdi, "Iraqi-Saudi Relations: Legacy of the Past and Future Prospects," Previously Mentioned Source, p. 203.

period<sup>(1)</sup>, On the other hand, Saudi Arabia appointed its ambassador to the Hashemite Kingdom of Jordan, Fahd Al-Zaid, as a non-resident ambassador to Iraq in 2012. This occurred three years after Iraq reestablished diplomatic relations with Saudi Arabia<sup>(2)</sup>. It is worth noting that Saudi Arabia's alignment with U.S. policy is neither unusual nor new. Amid the Iraqi-Saudi crisis in 2007, Saudi Arabia, prompted by the United States, forgave 80% of Iraq's debts incurred during the Gulf War with Iran, which amounted to an estimated 15 billion U.S. dollars<sup>(3)</sup>.

**Based on all the above, Saudi Arabia feared a series of challenges, risks, and repercussions arising from the post-2003 political situation in Iraq that could threaten its national security, as outlined below:**

- a. The Return of a Strong Iraq Saudi Arabia might desire a moderately strong Iraq with a capable military that can deter external interventions and protect its sovereignty. However, it would not accept Iraq becoming as powerful as it was in the past. The legacy of Iraq's pre-2003 regime, with its military and political adventures in the region, remains deeply ingrained in Saudi perceptions<sup>(4)</sup>, Saudi Arabia has often likened Iraq to a "Russia in the Middle East"—a nation with significant military

---

21. Mona Hussein Obeid, "Iraqi-Saudi Relations Post-2003," Published Research, Center for Strategic and International Studies, University of Baghdad, Journal of the College of Education for Women, Vol. 29, Issue 1, 2018, p. 7.

22. Mona Hussein Obeid, "Iraqi-Saudi Relations Post-2003," Previously Mentioned Source, p. 9.

23. Al-Sharq Al-Awsat Newspaper, Issue 12139, February 22, 2012.

24. Hussein Hafidh Wahib, "Iraqi-Saudi Relations," Journal of Political Studies, Bayt Al-Hikma, Baghdad, Issue 13, 2008, p. 65.

power, a robust technocratic system, and a strong industrial base, enabling it to play influential roles on the international stage.

- b. Tribal Empowerment: Saudi Arabia views the tribal councils it supported and funded in western Iraq, such as the model of Sheikh Abdul Sattar Abu Risha's efforts to combat the terrorist group Al-Qaeda, as a double-edged sword. On one hand, these councils contribute to extending security and political disputes into Saudi Arabia through their presence in Iraq. On the other hand, the growing role of these tribes and their involvement in Iraq's political, security, and social landscape could encourage Saudi tribes to pursue similar actions, thereby posing a potential threat to Saudi Arabia's internal security<sup>(1)</sup>. The fears of the Saudi royal family intensify, particularly regarding Arab tribes with shared affiliations with their Iraqi counterparts. These tribes could potentially merge and exert pressure on the Kingdom, compelling it to make concessions that would weaken its authority. As a countermeasure, Saudi Arabia actively encouraged the integration of these tribal councils into Iraqi security forces to isolate them from tribal influence and limit their autonomy<sup>(2)</sup>.
- c. Saudi Arabia fears the resurgence of terrorism in Iraq, which could once again pose a threat to its national security, as it did during the years 2003 to 2007<sup>(3)</sup>. However, some hardliners

---

25. Haider Ali Hussein, "Iraq and Neighboring Countries," Previously Mentioned Source, p. 17.

26. Same Source, p. 18.

27. Haider Ali Hussein, "Iraq and Neighboring Countries," Previously Mentioned Source, p. 19.

within the Kingdom believe that the resurgence of terrorism in Iraq could provide Saudi Arabia with an opportunity to send more fighters, thereby deflecting the threat away from its borders and redirecting it toward Iraq. Ultimately, this could serve the interests of the ruling family.

### **The Second Phase: Saudi Arabia's Accelerated Engagement with Iraq (2014–2022)**

Following the formation of the Iraqi government under the leadership of Haider al-Abadi, Saudi Arabia adopted a different approach toward Iraq. The Kingdom decided to restore diplomatic relations and engage seriously with Iraq, particularly in combating terrorism and fighting ISIS. This shift aligned with Iraq's new strategy of opening up to its Arab neighbors in general and the Gulf states in particular, Saudi Arabia took the initiative to resume relations by reopening its embassy and appointing Thamer al-Sabhan as its ambassador to Baghdad on December 30, 2015, after a diplomatic break that lasted two decades<sup>(1)</sup>, This marked the beginning of a new phase, followed by a visit from Saudi Foreign Minister Adel Al-Jubeir in February 2017. This visit paved the way for a series of significant exchanges between officials from both countries.

The trajectory of the relationship took a downturn during the tenure of Ambassador Thamer Al-Sabhan due to his controversial statements and sharp criticism of the Popular Mobilization Forces (PMF) <sup>(2)</sup>. This prompted the Iraqi government to formally request

---

28. Reopening of the Saudi Embassy in Baghdad, News Report, Al-Arabiya, June 1, 2016, Available at:

<https://www.youtube.com/watch?v=QjluPeCFbxM>

29. Statements by Iraqi Foreign Minister Ibrahim Al-Jaafari and Saudi Foreign Minister Adel Al-Jubeir in Baghdad, February 25, 2017, Available at:

the replacement of the ambassador, a request that was granted on October 16, 2016. Ambassador Abdulaziz Al-Shammari was appointed as his successor, continuing the mission of strengthening bilateral relations between the two countries. This development culminated in the establishment of a Joint Coordination Council aimed at elevating the relationship to a strategic level and opening new avenues of cooperation across various sectors, including economic, political, security, and intelligence domains<sup>(1)</sup>.

The year 2017 can be regarded as a turning point in Saudi Arabia's political approach toward Iraq, marking a shift from cautious engagement, skepticism, and attempts to delegitimize Iraq's political system to a new phase of consistent and positive relations between both parties. This transformation was facilitated by the presence of Haider al-Abadi as Prime Minister and the significant military victories Iraq achieved against the terrorist organization ISIS. These developments created a foundation for common interests and eased the previous tensions. This progressive openness was evident in a series of visits and agreements between the two nations, highlighting their growing cooperation<sup>(2)</sup>.

One of the most significant visits during this period was the visit of Saudi Foreign Minister Adel Al-Jubeir to Baghdad. The visit aimed to discuss several key strategic issues, most notably the fight against terrorism and enhancing cooperation between the

---

<https://www.youtube.com/watch?v=bjZuHUmp4ul>.

30. Saudi Ambassador Attacks Popular Mobilization Forces and Accuses Iran of Interfering in Iraqi Affairs, News Statement, Shafaqna News Agency, January 24, 2016, Available at:

<https://iraq.shafaqna.com/AR/23671>.

31. Iraq Officially Requests Saudi Arabia to Replace Its Ambassador for "Exceeding Diplomatic Duties," News Report, BBC Arabic, August 28, 2016.

two countries to eliminate terrorist organizations<sup>(1)</sup>.

Following the visit of the Saudi Foreign Minister to Iraq, Iraqi Prime Minister Haider Al-Abadi met with the Saudi King in March 2017 during the Arab League Summit in Jordan. Subsequently, Saudi Energy Minister Khalid Al-Falih visited Iraq in May 2017 to discuss oil-related matters and Iraq's relationship with OPEC. On June 12, Al-Abadi received an official invitation to visit Saudi Arabia and participate in the Arab Islamic American Summit.

This visit occurred at a highly sensitive time for Iraq, both domestically and internationally. Iraqi forces were on the brink of defeating ISIS, and attention was focused on how the government would manage a post-ISIS Iraq. The country was also preparing for general elections scheduled for April 2018, while tensions with the Kurdistan Region over potential independence were escalating.

Iraq's relations with its Arab neighbors were under constant scrutiny, with criticisms about its perceived alignment with Iran and its distance from its Arab identity. Furthermore, some parties were encouraging Iraq to deepen its involvement in the Syrian conflict, potentially placing it in confrontation with multiple regional and international actors.

Economically, Iraq was struggling due to low oil prices and faced urgent needs for funds to rebuild the country after the devastation caused by the war against ISIS. Saudi Arabia saw an opportunity to improve its relationship with Iraq for various reasons. The Kingdom could offer Iraq financial loans and open new avenues for trade with more favorable terms than those Iraq currently enjoyed.

This visit marked a pivotal moment, culminating in the

---

32. Mona Lisa Freiha, "Saudi Arabia Extends a Hand to Iraq Post-ISIS with U.S. Encouragement," Al-Nahar Newspaper, February 27, 2017.

establishment of the Iraqi-Saudi Joint Coordination Council. This council was designed to elevate bilateral relations to a strategic level and strengthen cooperation across various sectors<sup>(1)</sup>.

In a strategic shift, Saudi Arabia moved from a policy of alienating Iraq's Shia population to a more indirect engagement approach. This shift was part of a long-term reassessment of its policies over 14 years, culminating in the realization that a significant portion of Iraqi Shia were willing to prioritize their national identity over their sectarian affiliation.

Building on this understanding, Saudi Arabia initiated efforts to penetrate Iraqi society through the Shia community and their southern provinces. In August 2017, the Kingdom took a symbolic step by partially reopening the Arar border crossing with the Shia-majority Najaf province to facilitate trade. This move was accompanied by plans to reduce customs tariffs on Saudi goods, paving the way for a broader economic engagement. The border crossing was officially inaugurated on November 19, 2020, marking a milestone in Saudi-Iraqi relations<sup>(2)</sup>. Later, in October, direct flights between Baghdad and Riyadh resumed at a remarkable rate of 140 flights per month after a long historical hiatus. Saudi efforts were particularly focused on Basra, Iraq's wealthiest province and home to a Shia-majority population. This was highlighted by the Kingdom's announcement of plans to open a consulate in the province, coinciding with an unprecedented influx of Saudi-owned companies seeking investment opportunities.

Leading the charge was the Saudi petrochemical giant SABIC,

---

33. Moayad Al-Wondawi, "Iraqi-Saudi Relations: Where to?" Previously Mentioned Source.

34. Development of Saudi-Iraqi Relations: Motives and Challenges, Strategic Vision Center for Studies, Kingdom of Saudi Arabia, Available at:

<https://fikercenter.com/position-papers>.

which expressed its intention to revive Basra's dilapidated petrochemical plant. This initiative aimed to reduce the market dominance of Iranian products in the region. Additionally, Saudi Arabia expressed interest in investing in the fertile agricultural lands along the shared border, capitalizing on the availability of groundwater in the area.

On the other hand, Iraqi officials hoped to leverage these developments to persuade Saudi Arabia to reopen the pipeline that had been closed since 1990, enabling the transport of Iraqi oil via the Red Sea. This initiative symbolized a mutual interest in advancing strategic economic ties between the two nations<sup>(1)</sup>.

Following the Iraqi parliamentary elections held on May 12, 2018, the results revealed significant political shifts. The Al-Nasr Alliance, led by Saudi Arabia's primary Shia ally, Haider al-Abadi, secured third place among Shia groups, winning 42 parliamentary seats. This positioned it behind the Sairoon Alliance, led by Muqtada al-Sadr, which claimed 54 seats, and the Al-Fateh Alliance, led by Hadi al-Amiri, representing the Popular Mobilization Forces (PMF) with strong ties to Iran, which secured 48 seats.

In fourth place came the State of Law Coalition, led by Nouri al-Maliki, a traditional adversary of Saudi Arabia, with 25 seats. Following this was the National Wisdom Movement (Tayar Al-Hikma), led by Ammar al-Hakim, known for his moderate political stance and his openness to Arab countries, with 19 parliamentary seats<sup>(2)</sup>. The political blocs began initiating steps to form alliances

---

35. Inauguration of Arar Border Crossing Between Saudi Arabia and Iraq, Russia Today, November 19, 2020, Available at:

<https://www.youtube.com/watch?v=kuYRevTc8rs>.

36. Mohammed Al-Saeed, "Can Saudi Arabia Sway Iraq's Shiites in the Power Game?" Political Report Published on Al-Jazeera, Available at:

aimed at creating the largest parliamentary coalition responsible for forming the government<sup>(1)</sup>.

The consultations resulted in the formation of the government led by Adel Abdul Mahdi, marking the beginning of a new phase in Iraq-Saudi relations. This phase was characterized by cautious openness and apprehension on the part of Saudi Arabia toward the incoming Iraqi leadership, which had a historical record of serious understandings with Iran. Initially, the Kingdom welcomed Iraq's newly formed leadership, as the Saudi leadership congratulated the elected Iraqi President, the designated Prime Minister, and the Speaker of the Parliament on gaining the confidence of the Iraqi people<sup>(2)</sup>.

The Saudi political perspective anticipated the amplification and strengthening of the shared Iraqi-Saudi political orientations achieved during the tenure of Haider al-Abadi. It hoped to see the continuation of a framework for strategic bilateral relations between the two neighboring countries. This new Iraqi leadership structure was expected to consider Iraq's internal political balances and avoid leaning towards Iranian orientations<sup>(3)</sup>.

Subsequently, the Kingdom received a high-level Iraqi governmental delegation aimed at enhancing mutual cooperation and bilateral relations. The delegation was accorded a grand

---

<https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2018/6/12/>.

37. Independent High Electoral Commission, "Results of the Fourth Term Iraqi Parliamentary Elections," July 2018, Available at: <http://www.ihec.iq/HOME/IconFiles/pageC3.aspx>.

38. Joseph McMillan, "Saudi Arabia and Iraq...", Previously Mentioned Source, pp. 10–11.

39. Hussam Al-Hasani, "Reform and Reconstruction Alliance: Origins and Formation," Unpublished Research for the General Secretariat of the Reform and Reconstruction Alliance, Baghdad, January 24, 2019, p. 2.

reception by Saudi officials at the highest levels. During this visit, several meetings and discussions were held, culminating in the signing of 13 new agreements covering economic and security sectors, as part of a plan for mutual openness and collaboration<sup>(1)</sup>.

On September 25, 2019, the Iraqi Prime Minister paid a brief visit to the Kingdom of Saudi Arabia, lasting only a few hours. During the visit, he met with King Salman bin Abdulaziz and Crown Prince Mohammed bin Salman in the city of Jeddah. Ostensibly, the visit focused on discussing bilateral relations, regional developments, and efforts to ease tensions, emphasizing Iraq's firm commitment to playing a positive role in mitigating the risks of conflicts and disputes, and fostering strong relations with all neighboring, friendly, and fraternal countries<sup>(2)</sup>.

However, the deeper objective of this visit was to distance Iraq from the ongoing tensions and to condemn and denounce the terrorist attack that targeted Saudi Arabia's Aramco oil facility on September 14, 2019. Additionally, the visit included the delivery of an Iranian message to the Saudi leadership, advocating for a return to political dialogue between Saudi Arabia and Iran. The message reportedly urged Saudi Arabia to exercise caution and avoid hasty retaliation for the Aramco incident, as Iran had denied any involvement in the attack, according to the content of the message<sup>(3)</sup>.

---

40. Custodian of the Two Holy Mosques and His Crown Prince Congratulate Iraq's New Leadership, Al-Sharq Al-Awsat Newspaper, Saudi Arabia, Issue 14555, October 4, 2018.

41. Abdul Rahman Al-Rashed, "Welcome to Iraq's New Leaderships," Al-Sharq Al-Awsat Newspaper, Saudi Arabia, Issue 14555, October 4, 2018.

42. Signing of 13 Agreements Between Saudi Arabia and Iraq, News Report, Al-Arabiya.net, April 16, 2019, Available at:

<http://ara.tv/nmpfn>.

Although the Iraqi government subsequently engaged in regional political efforts with Egypt and Jordan to express solidarity with Saudi Arabia during the United Nations General Assembly meetings in New York and to condemn the unjust aggression that impacted Saudi Arabia's oil production capacity, the suspicions of Iraq's involvement in the incident were not entirely dispelled within Saudi circles. These lingering doubts led Saudi Arabia to adopt a cautious and wary stance, reevaluating its bilateral relations with Iraq and contemplating the possibility of Iraq's alignment with Iran in its political orientations<sup>(1)</sup>.

Saudi apprehensions grew increasingly over Iran's influence within the Adil Abdul-Mahdi government, particularly due to the internal political dynamics in Iraq during the government formation process. These concerns were fueled by the expansion of Iranian influence, which extended to the prime minister's office through the assertive role played by the Al-Binaa Alliance, led by Hadi Al-Amiri, a figure widely regarded by Saudi Arabia as Iran's proxy in Iraq, exerting significant influence over the Iraqi government<sup>(2)</sup>. The relations between Saudi Arabia and Iraq gradually regressed into a phase of apprehension and decline until the resignation of Adil Abdul-Mahdi. This was followed by the appointment of Mustafa Al-Kadhimi, the head of Iraq's intelligence service, on April 9, 2020, to form a new government. Al-Kadhimi is known to have strong ties with Saudi Crown Prince Mohammed bin Salman, marking a potential shift towards improved bilateral

---

43. Prime Minister Dr. Adel Abdul Mahdi Arrives in Saudi Arabia, Iraqi Embassy in Riyadh, September 25, 2019, Available at:

<https://www.mofa.gov.iq/riyadh/?p=1307>.

44. Exclusive Interview with Former Iraqi Prime Minister Adel Abdul Mahdi, Baghdad, November 30, 2020.

relations<sup>(1)</sup>.

Saudi Arabia's position on the October 2019 protests in Iraq and the subsequent resignation of the Iraqi government was clearly influenced by the strategic shift in Saudi attitudes towards Iran following the Aramco oil facility attack. This incident had a profound impact on Saudi-Iranian relations, indirectly affecting Iraq's internal dynamics.

Saudi Arabia perceived that Iraq was rapidly aligning with the Iranian axis, leading to a disruption in strategic balance due to Iraq's government policies favoring Iran, both in the volume and nature of agreements between the two countries.

In response to the Aramco attack, Saudi Arabia acted swiftly—within approximately two weeks—to counterbalance the perceived alignment. Alongside the UAE, Saudi Arabia reportedly played provocative roles against the Iraqi government during the October 2019 protests. These roles included Extensive media support through Gulf-based outlets to amplify the protests. Political endorsements aimed at legitimizing the demonstrations and highlighting their demands. Allegations of financial and intelligence involvement, including claims of supporting attempts to destabilize or overthrow the Iraqi political system. This period marked a significant escalation in the tensions between Iraq's government and its Gulf neighbors, fueled by broader regional rivalries<sup>(2)</sup>.

---

45. Hamza Mustafa, "Iraqi-Egyptian-Jordanian Solidarity with Saudi Arabia in a Summit That Included Saleh, Sisi, and King Abdullah in New York," \*Al-Sharq Al-Awsat Newspaper,\* Saudi Arabia, Issue 14910, September 24, 2019.

46. Fadel Al-Nashmi, "Debate in Iraq Over the Implications of Al-Sadr Appearing with Khamenei and Soleimani," Al-Sharq Al-Awsat Newspaper, Issue 14898, September 12, 2019.

With the formation of Mustafa Al-Kadhimi's government, Saudi Arabia's stance became increasingly clear in its support and endorsement of the new administration. This backing was rooted in the strong relationship between Saudi Crown Prince Mohammed bin Salman and Iraqi Prime Minister Mustafa Al-Kadhimi, which had been established since 2015 when Al-Kadhimi oversaw political relations and economic agreements that eventually led to the establishment of the Saudi-Iraqi Coordination Council.

The early Saudi welcome of Al-Kadhimi's government was neither surprising nor unexpected. Both King Salman and Crown Prince Mohammed bin Salman sent congratulatory messages to the new prime minister. However, Saudi Arabia's support did not stop at formal gestures. On May 7, 2020, the Crown Prince made a direct phone call to Al-Kadhimi, expressing Saudi Arabia's support for Iraq's growth and security and emphasizing the kingdom's commitment to strengthening bilateral relations.

This was followed by an official announcement from the Iraqi Prime Minister's office, confirming that Al-Kadhimi had received an invitation to visit Saudi Arabia, highlighting the intent to deepen ties between the two countries<sup>(1)</sup>.

The Kingdom of Saudi Arabia hoped that Mustafa Al-Kadhimi would be capable of restoring the lost balance and bringing Iraq back to its Arab fold, curbing the influence of Iran-aligned factions, and reestablishing the state's authority while enforcing the rule of law<sup>(2)</sup>.

---

47. Mustafa Al-Kadhimi: Iraqi President Assigns Intelligence Chief to Form New Government, News Report, BBC Arabic, April 9, 2020.

48. Nour Ayoub, "Complete Security Narrative of Iraq's Protests: Retaliatory Plan Sponsored by Washington and Abu Dhabi, Funded by Riyadh!" Political Report, Al-Akhbar Newspaper, Lebanon, October 26, 2019.

In conclusion, it appears that the Iranian and Saudi stances towards Iraqi governments have remained divergent and polarized. If Iran's position was positive, Saudi Arabia's position would be negative, firmly opposing alignment with Tehran. This divergence likely stems from each side's fear of the other expanding its influence within Iraq since 2003.

After the 2021 elections, which saw significant disagreements between factions supporting Mustafa Al-Kadhimi's continuation and the Coordination Framework forces opposing it, the Coordination Framework's candidate Mohammed Shia Al-Sudani was ultimately selected as Prime Minister.

The Gulf Cooperation Council (GCC) countries actively engaged with developments in Iraq, particularly after Al-Sudani's government gained parliamentary approval. Both the GCC and Saudi Arabia congratulated Iraq on the formation of the new government. Following this broad Gulf reception, Iraq issued a statement affirming its commitment to regional dialogue with all neighboring countries to ensure security and stability in the region.

In an interview with Asharq Al-Awsat, Al-Sudani emphasized, "Iraq and Saudi Arabia can establish a regional axis that serves as a cornerstone in the region and globally. I had discussions with His Royal Highness Prince Mohammed bin Salman and found him receptive, forward-thinking, and genuinely committed to achieving this goal. We have laid out an agenda for reciprocal visits during my participation in the Arab-Chinese Summit."

It can be concluded that predictions suggesting a potential deterioration in relations between Iraq and Saudi Arabia under Al-Sudani's government were inaccurate. These predictions were largely based on Saudi Arabia's stance towards the Coordination Framework forces and failed to distinguish between the Kingdom's position on Iraqi political factions and its post-2017 approach of

engaging directly with Iraqi governments rather than political parties. This shift is supported by the significant economic and diplomatic collaboration between Iraq and Saudi Arabia under the current government.

### **Conclusion:**

In conclusion, Iraqi-Saudi relations have been and continue to be influenced by various regional and international dynamics, leading to fluctuations between periods of stability and instability. Notably, Iraq, post-2003, struggled to achieve integration with Gulf states, a situation largely impacted by Saudi Arabia's stance on Iraq's political process. However, the approaches adopted by the governments of Haider Al-Abadi, Adel Abdul Mahdi, and Mustafa Al-Kadhimi significantly reshaped Iraq's relationships with both Saudi Arabia and the Gulf Cooperation Council (GCC).

Based on these developments, Iraq has the potential to enhance and strengthen its ties with the Gulf region by leveraging several shared files and issues with the GCC, as outlined below:

#### **1. Iraq's Utilization of Arab and Islamic Factors in its Relations with Saudi Arabia:**

Arab nationalism and Islam form a shared foundation between Iraq and Saudi Arabia, providing a significant gateway for creating common ground rather than points of conflict. This highlights that nationalism and religion can serve as an effective entry point, if utilized appropriately, to strengthen relations and establish mutual interests within Iraq and the broader region. Achieving this requires Iraqi foreign policy decision-makers to grasp the potential of shifting the relationship from confrontation and discord to healthy competition, ultimately ensuring a relationship that safeguards the interests of both parties.

#### **2. Iraq as an Economic Market, Not a Battleground for Regional Rivalries:**

This premise stems from the Iraqi vision of transforming its territory into a thriving economic market, rather than a battleground for political disputes among regional powers. Achieving this goal requires creating objective conditions and preparing an enabling environment for Iraq to play its role as a promising economic hub. Iraq possesses significant economic resources and opportunities that, if strategically leveraged, can realize this vision effectively.

### **3. Leveraging Iraq-Saudi Economic Exchange:**

Iraq can utilize its economic relations with Saudi Arabia as a diplomatic tool to encourage Saudi Arabia to take meaningful steps toward dialogue with Iran. This could be achieved by emphasizing the potential increase in trade volume between Iraq and Saudi Arabia and activating the agreements outlined in the Iraqi-Saudi Coordination Council. Notably, Saudi Arabia has demonstrated a serious commitment to economic engagement with Iraq, especially after 2017, following Iraq's victory over the terrorist organization ISIS, along with Saudi Arabia's expressed interest in investing billions of dollars in Iraq across various sectors<sup>(1)</sup>.

### **4. Security and Military Balance and the War on Terrorism:**

Given the security challenges that have affected both Iraq and Saudi Arabia, the Iraqi strategic outlook has the potential to capitalize on various factors to establish a joint security hypothesis. This could pave the way for alliances, agreements, or coordinated security and military efforts between the two nations to counter extremism and combat terrorism effectively.

Saudi Arabia's commitment to combating terrorism, especially under the leadership of Crown Prince Mohammed bin Salman,

---

49. Hassan Al-Mustafa, "Saudi-Iraqi Cooperation: A Pillar for Gulf Stability," Political Report, Al-Arabiya News Network, May 15, 2020, p. 3.

presents a critical opportunity for Iraq. The Crown Prince's initiatives, including combating extremist ideologies and dismantling radical networks within Saudi Arabia, have significantly weakened the financial, intellectual, and human resources that previously fueled such movements.

The threat of terrorism has had far-reaching political, security, and economic repercussions for Saudi Arabia, representing a direct and existential challenge to its standing in the region. Therefore, Iraq's collaboration with Saudi Arabia in this realm is of strategic importance, as it can strengthen both nations' efforts to maintain stability and eradicate terrorism. By engaging Saudi Arabia in joint anti-terrorism efforts, Iraq can help establish a shared security framework that aligns the interests of both countries and contributes to regional stability.



## For The Humanities And Social Sciences

---

Issued by Strategic Research & Studies Center in Iraq with Enkl Scientific Association

---

### Chief Editor

Prof. Dr. Amer Hassan Fayyadh

### Managing Editor

Dr. Dhakaa Talib Al-Rubaie

### Editorial Board:

Prof. Dr. Kamil H. Alqayim, College of Literature- Babylon University

Prof. DR. Hassan Abbas, University of Washington, Senior Adviser at Harvard University

Prof. Dr. Qasim Mohammed Abd, College of Political Science - Al-Nahrain University.

Prof. Dr. Shirzad Ahmed Al-Najjar, Professor of Political Science in Salahaddin University- Erbil

Prof. Dr. Jamal Abdulmanuiam Al-Zawi, prof of Media and International Relations, Libya

Prof. Dr. Mahmood Haider, Reasercher and Thinker in Political Philosophy and Theology of Religious - Lebanon, Prof. Dr. Sabreen Zaghoul Al-Sayed Shabaan, Girle College- Ain Shams University - Egypt

Prof. Dr. Thoraya bin Mosmia, Al-Zaytouna University - Tunisia

Prof. Dr. Zuhair Mohammed Ali, Ibn Rushed College - University of Baghdad

Prof. Abbas Kadhim - Director of Iraq Program - Atlantic Council, DC Assist.

Prof. Dr. Hassan Ahmadian, University of Tehran, Fellow of Shixism and Scientific Affairs Program at the Harvard University Prof. Dr. Suhad Ismael Khaleel, College of Political Science - Al-Nahrain University

Dr. Firas Abdulkareem Mohammed AlBayati, College of Political Science - Al-Nahrain University

Assist. Prof. Dr. Adel AlBedwai, College of Political Science- University of Baghdad

Assist. Prof. Dr. Ali Faris Hameed, College of Political Science - Al-Nahrain University Assist.

Prof. Dr. Musadeq Adel Talib, College of Law- University of Baghdad

Assist. Prof. Dr. Muntasser Majeed Hameed, College of Political Science- University of Baghdad Assist. Prof. Dr. Ahmed Kareem Alwan AL Aliwai, Director of Iraqi Manuscripts

Department, Dr. Ali AlYaqobi, Al Mansour University College, Law Department

### Proofreading:

Prof. Dr. Zuhair Mohammed Ali, Ibn Rushed College - University of Baghdad

D.R Zina Abdul Hussein Ashammari, Imam Jaafar Al Sadiq University

### Administration Director:

Kawther Hameed Lttayef AlGhourabi

### Financial and Administrative Supervision:

Muhammad Sultan Al Quraishi

Wissam Ali

### Cover Design:

Noor Faiz Al-Araji